الدكتور فاروق أبوزيد



انهيار وصعود النظام الإعلامى الدولى

من السيطرة الثنائية وهيمنة القطب الواحد إلى الأقطاب المتعددة



انهيار وصعود

النظام الإعلامى الدولى

* أبوزيد، فاروق.

*** انهيار وصعود النظام الإعلامي الدولي**

* فاروق أبوزيد

* ط **1** . – القاهرة : عالم الكتب؛ 2012 م

* 248 ص ؛ 24 سم

* تدمك : **977-232-863-1** * رقم الإيداع : **2012/2747**

1- الاعلام الدولي

أ- العنوان 341.76

عالم الكتب

* الإدارة :

16 شارع جواد حسني - القاهرة

تليفون : 23924626

فاكس : 002023939027

* المكتبة :

38 ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون: 23926401 – 23959534

ص . ب 66 محمد فريد

الرمز البريدي : 11518

www.alamalkotob.com -- info@alamalkotob.com

انهيار وصعود
النظام الإعلامى الدولى

من السيطرة الثنائية وهيمنة القطب الواحد
إلى تعدد الأقطاب

دكتور
فـــاروق أبـــو زيـــــد

عالم الكتب



مقدمة

لا شك أن هناك نظامًا إعلاميًا دوليًا جديدًا تشكل مع بداية الألفية الثالثة، وهذا النظام يختلف تمامًا عن النظام الإعلامى الدولى الذى سعت إليه دول العالم الثالث منذ ثلاثة عقود من الزمان، وأقره المؤتمر العام لليونسكو فى مطلع الثمانينات، والذى يدعو إلى تعديل أساليب تدفق الإعلام الدولى لكى يكون أكثر عدلاً وتوازنًا بين الدول النامية والدول المتقدمة.

وهو يختلف بالطبع عن النظام الإعلامى الدولى الذى تشكل عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، والذى يقوم على السيطرة الثنائية للنظامين الإعلاميين الغربى الليبرالى وتمثله الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوربا واليابان وكندا وأستراليا، والشرقى الاشتراكى الذى كان يمثله الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا وكوبا والصين.

أما النظام الإعلامى الدولى الحالى، فهو يقوم على سيطرة نظام إعلامى دولى واحد، هو النظام الإعلامى الدولى الغربى الليبرالى، وهيمنة قطب واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية !

إن التعرف على هوية النظام الإعلامى الدولى يتطلب البدء بعرض المتغيرات التى طرأت على وسائل الإعلام الدولية، وذلك من خلال الحديث عن ثورة المعلومات والاتصال، وآثارها على وسائل الإعلام الدولية، بدءًا من الصحافة الدولية ووكالات الأنباء الدولية، ومرورًا بالإذاعة الدولية والتليفزيون الدولى، وانتهاء بالبث المباشر عبر الأقمار الصناعية، والإنترنت.

ثم ينتقل الحديث فى الكتـاب إلى البـاب الثـانى ويتنـاول الإعـلام الـدولى فى المجتمعات النامية من خـلال الحـديث عـن التبعيـة الإعلاميـة، والإعـلام العـربى الدولى كنموذج لإعلام العالم الثالث، وفى الباب الثالث يرصد الكتاب بداية انهيـار النظام الإعلامى الدولى مع مقدم البيروسـترويكا والجلاستوسـت ومـا نـتج عـنهما من سقوط النظام الإعلامى الشرقـى، وبـذلك فـتح الطريـق أمـام ظهـور النظـام الإعلامى الدولى الحالى، والذى يقوم على سيطرة النظام الإعلامى الواحد وهيمنـة القطب الواحد. ولكن الوضع الدولى الراهن وكذلك المستقبل غـير البعيـد نسـبيًا يشير إلى أن التطور قد يجىء بتعدد الأقطاب الإعلامية.

ومن المهم أن نعترف بأن هذا الكتاب يطرح من الأسئلة أكثر مما يقدم من إجابات، وهذه هى طبيعة هذا النوع من المؤلفات التـى تعنـى بالمسـتقبل أكـثر مما تعنى بالحاضر أو الماضى، وإن كانت تضعهما فى الاعتبار، ففـى الطبعـة الأولى من الكتاب توقعنا انهيار النظام الإعلامى الثنائى، ولذلك وضـعنا للكتـاب عنـوان: "انهيار النظام الإعلامى الدولى"، وقد تحقـق مـا توقعنـاه، واليـوم نطـرح تصـورًا جديدًا يرى أن هناك تطورًا فى النظام الإعلامى الـدولى يقـوم عـلى صـعود نظـام جديد سوف يبنى على أساس تعدد الأقطـاب الإعلاميـة، ولـذلك أعطينـا للطبعـة الجديدة من الكتاب عنوان: "انهيار وصعود النظام الإعلامى الدولى".!

وفى النهاية فإن ما يحويه الكتاب من نتـائج وأفكـار وآراء وتوقعـات، هـى مجـرد اجتهــاد فكـرى قابـل للصـواب أو الخطـأ، كـما أنـه يخضـع للنقـاش بـل والمراجعة.

الباب الأول

وسائل الإعلام الدولية

الفصل الأول
ثورة الاتصال والمعلومات

لا خلاف أن ربع القرن الأخير قد شهد من ألوان النمو والتطور، ما يتضاءل أمامه كل ما تحقق فى عدة قرون سابقة...! ولعل من أبرز وجوه هذا التطور، ذلك الاندماج الذى حدث بين ظاهرتى: "انفجار المعلومات" و "ثورة الاتصال".

والمظهر البارز لانفجار المعلومات يتمثل فى "المعالجة الآلية للمعلومات"، حيث تمت الاستعانة بالحاسب الآلى فى تخزين واسترجاع خلاصة ما أنتجه الفكر البشرى، فى أقل حيز متاح، وبأسرع وقت ممكن.

أما "ثورة الاتصال"، فقد تجسدت فى "معالجة المعلومات عن بعد"، وباستخدام أقمار الاتصال الصناعية، أمكن لملايين الأنباء والبيانات أن تتدفق عبر الدول والقارات والمحيطات، بطريقة فورية، ومكتوبة وبالصوت والصورة...!

وبذلك انفتحت أمام الإعلام الدولى، آفاق لا حدود لها للنمو والتطور...! وعندما تصدت اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، والتى اشتهرت باسم لجنة ماكبرايد، لتحديد معنى الإعلام، فقد توصلت بعد بحث طويل، إلى أن المفهوم يجب أن يشمل جمع ومعالجة المعلومات ونشرها من أجل فهم الظروف المحيطة بالأحداث، للوصول إلى وضع يمكن الشعوب من اتخاذ القرارات المناسبة.

ومن المدهش أنه قريب من هذا، التعريف شبه المعتمد لمعنى "المخابرات" إذ يؤكد "هارى رانسوم"، الذى يوصف عادة بأنه مؤرخ وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن "المخابرات هى التعبير العصرى عن المعلومات"، فالموضوع الأساسى لنشاط المخابرات هو تقصى المعلومات المطلوبة لاتخاذ القرارات المناسبة!.

وكما هو واضح فإن المعلومات، هى القاسم المشترك فى عمل كل من المخابرات ووسائل الإعلام، حيث يبدأ دور كل منها بجمع المعلومات، ثم معالجتها

بالتحليل أو التفسير، ولا يختلف طريقها بعد ذلك كثيرًا، إلا فى مدى ما تسمح به مصالح كل منها فى نشر بعض أو كل ما يحصلان عليه من معلومات...!

وإذا كان الشائع أن الطابع الغالب على وسائل الإعلام، قيامها بنشر أو إذاعة ما تحصل عليه من معلومات على الجمهور، فى حين يغلب على أجهزة المخابرات حجب معلوماتها ! إلا أن العكس قد يحدث أيضًا، فقد تسعى بعض أجهزة المخابرات إلى نشر وإذاعة معلوماتها على أوسع نطاق ممكن، فى حين قد تحرص بعض وسائل الإعلام على حجب الكثير مما تحصل عليه من معلومات...!

أما الهدف النهائى للحصول على المعلومات ونشرها على نطاق محدود أو واسع، فهو واحد بالنسبة للاثنين، وهو المساعدة فى اتخاذ القرارات المناسبة، ومن المهم أن نلاحظ أن اتخاذ القرار المناسب بالنسبة لشخص ما، سواء كان رئيسًا للدولة، أو مواطنًا عاديا رهن بمدى توافر المعلومات عن الموضوع الذى يحتاج فيه إلى قرار، ولا فرق فى ذلك أن يكون هذا القرار بالنسبة لرئيس الدولة، هو إعلان الحرب، أو يكون بالنسبة للفرد العادى، اختيار نوع العطر الذى يهديه إلى زوجته...!

ولعل هذا يعطينا مؤشرًا مهمًا، لأن نفسر أسباب حرص الكثيرين على إخفاء حقيقة أن أجهزة المخابرات كانت وراء أكثر المحاولات جدية لتطوير أساليب جمع المعلومات وتوصيلها، وإن ما أنفقته تلك الأجهزة على بحوث التطوير فى هذا المجال، قد لعب دورًا يكاد أن يكون حاسمًا فى إنجاز الثورة التكنولوجية فى مجال المعلومات، وبصرف النظر عن الأغراض التى عمل لها من كانوا وراء هذا التطور، فقد كانت أبرز نتائجه إضفاء الطابع الدولى على الكثير من وسائل الاتصال الجماهيرية، بدءًا من الكتاب والصحافة ووكالات الأنباء، ومرورًا بالإذاعة والتليفزيون وانتهاء بالقنوات الفضائية والإنترنت. لذلك كان الفهم الكامل لأبعاد التطور الحاصل فى وسائل الإعلام الدولية، لا يمكن إدراك مغزاه الحقيقى بدون محاولة استيعاب الطفرة الهائلة التى حدثت فى إنتاج المعلومات من ناحية، والثورة التكنولوجية التى تحققت فى مجال الاتصال من ناحية ثانية.

-1-

انفجار المعلومات

إن مصـطلح انفجـار المعلومـات Information Explosion أو فيضـان المعلومات Information Flood يشير بشكل أو بـآخر إلى اتسـاع المجـال الـذى تعمل فيه المعلومات ليشمل كافة مجالات النشاط الإنسانى، بحيث تحول إنتـاج المعلومات إلى "صناعة" تنتج "سلعة"، تخضع لما تخضـع لـه السـلع الأخـرى مـن عرض وطلب، وأصـبح لهـا سـوق كبـير لا يختلـف كثـيرًا عـن أسـواق البـترول أو الذهب أو غيرهما من السلع، وقد يزيد مـا ينفـق عـلى إنتـاج المعلومـات، عـلى المستوى الدولى، عما ينفق على الكثير من السلع الإستراتيجية المعروفة فى العالم.

ولقد تمثلت الطفرة فى إنتاج المعلومات فى النمو المتعاظم فى حجـم الإنتـاج الفكرى، حيث وصل معـدل النمـو السـنوى إلى 12.5%، ومعنـى ذلـك أن حجـم المعلومات يتضاعف كل ثمانى سنوات ويتزايد معدل النمو كل عدة سنوات.

وتبين الإحصاءات أن الإنتاج السنوى من المعلومات، مقـدر بعـدد الوثـائق المنشـورة، يصـل إلى حـوالى 12-14 مليـون وثيقـة، وأن عـدد الأشـخاص الـذين يساهمون فى هذا الإنتاج بشكل أو بآخر يقدر بحوالى 30-35 مليون شخص. لقد بلغ رصيد الدوريات على المستوى الدولى مـا يقـرب مـن مليـون دوريـة، يضـاف إليها كل عام ما يقرب من 15 ألف دورية جديدة، أما الكتـب فقـد بلـغ الإنتـاج السنوى منها حـوالى 600 ألـف عنـوان، أى 1650 كتابًـا كـل يـوم، و 70 كتابًـا فى الساعة..!

وتشير إحصـاءات اليونسـكو إلى أن مـا بـين 300 إلى 350 شخصًـا مـن كـل

ألف من سكان العالم يصلهم توزيع صحيفة يومية فضلاً عن استقبال الراديو والتليفزيون، وهناك 30 دولة فى العالم وصلت إلى نقطة التشبع فى مجال الصحف، و 48 دولة وصلت إلى نقطة التشبع فى مجال الراديو، و 42 دولة وصلت إلى درجة التشبع فى مجال التليفزيون، وهناك 31 دولة قد وصلت إلى نقطة التشبع بالنسبة لوسائل الإعلام الثلاث الصحف والراديو والتليفزيون.

ومن ناحية أخرى يوجد بدول العالم المختلفة 160 مكتبة قومية، يبلغ رصيدها من المجلدات حوالى 260 مليون مجلد، وتوجد أيضًا ما يقرب من 120 وكالة أنباء دولية ووطنية، تتعامل يوميًّا فيما يزيد عن 2 مليون خبر ومعلومة، نصفها على الأقل مسجل بالصوت والصورة.

ومن الظواهر اللافتة للنظر، تنامى الدور الذى تقوم به الدولة الحديثة فى مجال إنتاج المعلومات ويرجع ذلك إلى تعدد وظائف الدولة وتشعب مهماتها، وعلى سبيل المثال فإن غرفة المقاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية الخاصة بالمعلومات العلمية والتكنولوجية الفيدرالية فإنها تحتوى على ملايين النسخ من حوالى 3 مليون تقرير بحثى يضاف إليها كل عام 200 ألف تقرير جديد، وتمثل هذه التقارير بعض نتائج البحث التكنولوجى المدعم فيدراليًّا.

ولقد بلغ إجمالى الإنفاق الفيدرالى فى مجال المعلومات المتعلقة ببحوث التطوير فى مجال الزراعة والتجارة والدفاع ولجنة الطاقة النووية والطيران والصحة والتعليم والداخلية والعلوم حوالى 15 مليار دولار سنويًّا..! تتضاعف كل عشر سنوات، ويشكل الجانب الخاص بتلبية احتياجات الدولة بالمعلومات فى المجال العسكرى والأمن القومى قدرًا كبيرًا من حجم إنتاج المعلومات الحكومية، وعلى سبيل المثال، فى حوزة الجيش الأمريكى ما يزيد عن 350 مركزًا مستقلاً للسجلات تشتمل على ملفات ضخمة تتعلق بالنشاط المدنى، فلديها حوالى 200 ألف ملف لشخصيات مدنية لا تربطهم أية صلة بالقوات المسلحة، ولدى المخابرات العسكرية 25 مليون بطاقة ترمز لملفات تتعلق بالأفراد، و760 ألف بطاقة لملفات

متعلقة بتنظيمات وأحداث معينة، أما مكتب التحقيقات الفيدرالية والمباحث FBI فإنه يحتفظ بملفات تحتوى على ثلاثة ملايين بطاقة مسجل عليها المعلومات الأساسية حول المشكلات المحتملة، وهناك قائمة تحتوى على 2 مليون بطاقة مسجل عليها التحريات الشخصية المتعلقة بالمستخدمين، وفضلاً عن ذلك فإن المخابرات المركزية، هى مجرد وكالة من ست وكالات على الأقل تعمل فى نشاط المخابرات خارج البلاد، وقُدرات التكلفة السنوية لمجمع أنشطة المخابرات التى تقوم بها حكومة الولايات المتحدة فى عام 1990 بحوالى 15 مليار دولار، وهذه المبالغ تتضاعف مرة كل عشر سنوات ! وترجع بعض المصادر أن 2 مليون شخص على الأقل يشاركون فى هذه العمليات منهم ربع مليون من العسكريين..!.

ولقد أدى تزايد الحاجة إلى خدمات المعلومات إلى البحث الجدى فى استخدام الإمكانات التكنولوجية الحديثة فى معالجة المعلومات، وقد بدأ ذلك منذ وقت بعيد نسبيًا، ولعل أهم هذه المحاولات، ابتكار المصغرات الفيلمية، وهى عبارة عن أوعية تسجل عليها البيانات عن طريق التصوير المصغر من الوثائق الأصلية باستخدام أجهزة تصوير خاصة، ومن أهم تلك المصغرات الميكروفيلم Microfilm وهو يأخذ شكل لفاف Roll أو شرائح شفافة Strips، وهناك الميكروفيش Microfiche وهو على هيئة شريحة فلمية توضع فى حافظة Jacket، وهناك أيضًا المعممات المصغرات Micro – opaque، وهى شريحة فيلمية تسجل الصور فيها على مواد معتمة وتسمى أحيانًا بالبطاقات المصغرة Micro Cards والمصغرات بكافة أشكالها لا يمكن قراءتها بالعين المجردة، ولهذا تستخدم أجهزة استرجاع خاصة بها مثل جهاز قارئ الميكروفيلم، وقارئ الميكروفيش وغيرهما.

وقد حقق استخدام الميكروفيلم فى مراكز المعلومات الإعلامية، وفرا يصل إلى ما بين 95% و 99.9% من الحيز المطلوب لحفظ المعلومات، خاصة أن مشكلة توافر المكان الملائم لحفظ المعلومات، كانت أهم المشكلات التى تعانى منها

مراكز المعلومات الإعلامية، أمام الكميات الهائلة من المعلومات التى تنتج يوميًّا، كذلك فإن المادة التى يصنع منها الميكروفيلم أقوى وأطول عمرًا من المواد المستخدمة فى الكتب والوثائق والدوريات، وبالتالى فالمصغرات الفيلمية يمكن أن تعيش أكثر من مائة عام، ويمكن تجديدها بسهولة لكى تعيش إلى ما لا نهاية.

وقد أدت الطفرة الهائلة فى إنتاج المعلومات، إلى طفرة مشابهة فى مجال تخزين واسترجاع المعلومات، فقد تم ابتكار الأشرطة الممغنطة والذاكرة التكنولوجية Buble Memory والهولوجراف Holography الذى يقوم على التسجيل الميكروفيلمى والبصريات الشفافة Fiberopitc والتى تقوم على المعالجة الآلية للمعلومات عن طريق الحاسب الآلى.

وعندما دخلت الحاسبات الآلية بإمكاناتها الهائلة فى مجال إعداد المعلومات إلكترونيا، اعتبر الميكروفيلم الحل المثالى لمشكلة فارق السرعة بين وحدة معالجة البيانات وبين المدخلات والمخرجات فى الحاسب الآلى، كذلك ساهم استخدام الحاسب الآلى فى تحقيق التوحيد القياسى لمقاسات صور الوثائق بعد فترة من المعاناة بسبب تباين أحجامها واختلاف أشكالها.

وقد توافق التطور فى مجال حفظ المعلومات واسترجاعها آليا، مع تطور آخر فى أشكال المؤسسات العاملة فى مجال تخزين المعلومات فقد ظهرت أولاً مراكز المعلومات، ثم تحول بعضها إلى بنوك للمعلومات، وبمرور الوقت وجدت شبكات للمعلومات، وبذلك أمكن تحقيق إنجاز كبير فى مجال تخزين واسترجاع المعلومات مع خفض التكلفة وخفة الوزن وصغر المكان، كما أمكن التغلب على مشكلات الفقد والضياع وأخطاء الترتيب، مع إمكانية استخدام المعلومة بواسطة عدة أشخاص فى نفس الوقت.

وقد انخفضت تكلفة تخزين المعلومات بما يقرب من 60% خلال الخمسة عشر عامًا الأخيرة، كما ارتفعت سرعة استرجاع المعلومات إلى قرابة 40% فى السنة الواحدة.

-2-

ثورة الاتصال

من الملاحظات اللافتة للنظر أن النمو فى ظاهرة إنتاج المعلومات، وما رافقها من ابتكار الوسائل الفنية الحديثة فى حفظ واسترجاع المعلومات، قد توافق مع نمو ظاهرة الثورة التكنولوجية فى وسائل الاتصال، والتى هى أدوات نقل وتوصيل المعلومات وتبادلها، وقد وجدت علاقة جدلية بينهما، بحيث إن ظهور ابتكار جديد فى أى مجال منهما، يؤدى بالضرورة إلى ابتكار آخر فى المجال الثانى، يكمله ويساعد فى الوقت نفسه على ظهور ابتكار ثالث فى المجال الأول، وهكذا تباعًا، بحيث صار انفجار المعلومات، والثورة التكنولوجية فى وسائل الاتصال، أشبه بوجهى عملة واحدة..!

ولقد تعاقبت الاكتشافات التكنولوجية فى مجال الاتصال منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر، عندما اكتشف إديسون الفونوغراف واخترع صمويل مورس التلغراف فى عام 1840م، وفى عام 1876م أرسل بيل أول رسالة تليفونية سلكية، وكذلك نجح ماركونى فى إرسال واستقبال رسائل لاسلكية، وفى عام 1906م بث فيسندر الصوت الإنسانى عبر الإذاعة، وكان داجير قد اخترع فى عام 1839م أسلوبًا علميًا للتصوير الفوتوغرافى، وتم تصوير أول فيلم عام 1894م، وفى عام 1904م تم إرسال أول الصور برقيًا، وأذيعت أول صورة تليفزيونية عام 1923م، وأقيمت أول شبكات الإرسال الإذاعى فى العشرينيات، فى حين بدأ الإرسال التليفزيونى الملون عام 1954م، وفى عام 1957م بدأ الاتصال السريع فيما بين القارات عبر الكابل البرقى تحت ماء المحيط الأطلسى بين أمريكا

وأوروبا، وبدأ تشغيل أول كابل تليفزيونى عبر الأطلسى عام 1956م، وتـم إطـلاق أول قمر صناعى تجارى للاتصالات فى عام 1962م.

وقد كـان للتـزاوج بـين تكنولوجيـا الحاسـب الآلى، والأقـمار الصـناعية أثـر مذهل فى تطور وسائل الاتصال عبر الدول، حيث أصبح التبادل الثنـائى والإرسـال من عدة دول فى آن واحد، ممكنًـا عـلى المسـتوى العـالمى، وذلـك عـبر القمـرين الصناعيين أنتلسات (1965م) وأنترسبوتنك (1971م) وأمكن عن طريقهما إرسـال جميع أنواع الرسائل عبر الفضاء، بما فيها التليفـون والتلغـراف والـتلكس والمـواد المطبوعة والصور والبيانـات، بالإضـافة إلى الـبرامج الإذاعيـة والتليفزيونيـة، وقـد أمكــن الآن تحقيــق الانتشــار الفــورى للرســائل التــى يبعــث بهــا انتلســات وأنترســبوتنك عــلى مســتوى عــالمى بــالربط بــين الشــبكات الأرضــية الوطنيــة والإقليمية، ثم ابتكرت نظم بمقدورها بث الـبرامج لأجهـزة الاسـتقبال فى البيـوت مباشـرة فى دولة واحدة أو مجـمـوعــة دول، ثـم إلى أيـة دولـة فى العـالم وأخـيرًا أمكن إرسال واستقبال الرسائل فى ذات اللحظـة فى جميـع أنحـاء العالم.

كذلك تم إحراز تطور تقنى شامل فى كافة وسائل الاتصال، فقد تـم اخـتراع الفيديو كاسيت فى عام 1969م، وأصبح الكاسيت السـمعى المـرئى حقيقـة قابلـة للتسويق فى عام 1971م، وأصبح أول نظام للفيديو ديسك متوافرًا لمستخدميه فى عام 1979م، وفى مجال الراديو ابتكرت الكابلات المحورية والموجات القصيرة جدًا والألياف البصرية، وهو الأمر الذى قضى عـلى مشـكلات التـداخل بـين الموجـات، وزاد من كفـاءة البـث عـبر المسـافات البعيـدة، كـما أنـه يـوفر قنـوات جديـدة للاتصال، كما حدث تقدم مبهر فى مجال الاستشعار عن بعـد، باسـتخدام الموجـة الدقيقة من الطيف الترددى والقادرة على الوصول إلى معلومات لم تكـن متاحـة بالوسائل التقليدية عن باطن الأرض وأعماق البحار والمحيطات وأجواء الفضاء.

وقد زادت بشكل عام فعالية الاتصالات الهاتفية، وابتكر الهاتف المـرئى الـذى يضيف الصورة إلى الصوت، ولم يمر وقت طويل حتى تـم تعمـيم خدمـة التليفـون

المرئى فى العديد من المناطق، ويحمل المستقبل القريب إمكانـات غـير محـدودة لنمو تكنولوجيا المعلومات والاتصال فى السنوات العشرة القادمة ومن المتوقع أن نصف الإنتاج العلمى فى العالم سـيكون متـوافرًا فى بنـوك المعلومـات الآليـة، وأن 90% من التقارير الفنيـة الجديـدة ستصـدر بالشـكل الإلكـترونى، وأن 25% مـن الصحف والدوريات ستأخذ الشكل الإلكترونى.

-3-

آفاق جديدة للإعلام الدولى

لا تتجاوز الحقيقة عندما نقول إن انفجار المعلومات وثورة الاتصال، قد أضافا بشكل عام طابعًا دوليًا على كافة وسائل الإعلام الجماهيرية، وقد أصبح من الصعوبة بمكان التفرقة الدقيقة بين ما هو إعلام وطنى وما هو إعلام دولى، فالإعلام الوطنى الذى ينتجه مجتمع ما لمواطنيه، قد أصبح له، بشكل من الأشكال، ومقصودا أو غير مقصود، بعدًا دوليًا، فالبرامج التى تبثها محطات التليفزيون فى الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وكندا واليابان ودول غرب أوربا، ثم بقية دول العالم، والتى أعدت من الأساس لجمهورها المحلى، أصبحت تشاهد عبر الأقمار الصناعية فى أنحاء متفرقة من العالم، وقد اكتسبت بذلك بعدًا دوليًا لم تسعى إليه أصلاً، ولكن تطور تكنولوجيا الاتصال جعل ذلك ممكنًا، كذلك فإن برامج محطات الراديو الوطنية فى معظم دول العالم، أصبحت تسمع فى أماكن أبعد من حدودها الوطنية، بفضل تطوير إمكانات الموجات المتوسطة والقصيرة، وبرامج هذه المحطات - بخلاف الإذاعات الموجهة، يستهدف فى الأصل المستمع المحلى، ولكن التطور التكنولوجى أضاف إليها بدرجة ما بعدا دوليًا.

نفس الظاهرة تنسحب أيضًا على الصحف سواء منها الجرائد اليومية أو المجلات الأسبوعية أو الشهرية أو الفصلية، فإن التقدم الكبير فى وسائل المواصلات اختصر الكثير من الوقت والجهد والمال اللازم للتوزيع خارج الحدود الوطنية، وقد شجع هذا التطور العديد من الصحف الوطنية"، وخاصة التى تصدر باللغات الأكثر تداولاً فى العالم، على التواجد فى الأسواق العالمية، أما الصحف

الدولية من الأصـل، فقـد زادت فعاليتهـا واتسـع مجـال انتشـارها، ووصـلت إلى أماكن لم تصل إليها من قبل بفضل تطور تكنولوجيا الاتصال، فعن طريـق جهـاز الفاكسميل أمكن إرسال صـفحات الجريـدة بالكامـل مـن المقـر الـرئيسى إلى أى مكان آخر فى العالم، حيث تطبع وتوزع على القراء فى نفس الوقـت الـذى تطبـع وتوزع فى مقرها الرئيسى، ولم يعد مستغربًا أن نجد صـحفًا دوليـة تطبـع فى عشر عواصم فى وقت واحد..!.

إن التطور قد شمل كافة مجالات الإعلام الدولى بدءًا من جمـع المعلومـات ومرورًا بمعالجتها وانتهاء بنشرها أو إذاعتهـا عـلى المسـتوى الـدولى، وقـد وفـرت مراكز وبنوك المعلومات الإعلامية خدمات لا بديل عنها لكافة المشتغلين بـالإعلام الدولى من مندوبين أو مراسلين أو محررين فى مختلف وسائل الإعلام التى تعمل على النطاق الدولى، فهى تمدهم بالمعلومات والحقائق الخلفية للأحداث الدولية الجارية، وتضع أيديهم على الكثير من مصادر المعلومات والتى كان من الصـعب أن تتـاح لهـم بالوسـائل التقليديـة، وهـى تتـولى إعـداد القـوائم البيلوجرافيـة والملخصات المتصلة بالموضوعات التـى تـدخل فى مجـال اهـتمام وسـائل الإعـلام الدولية، كما أنها تقوم فى كثير من الأحيان بتقديم خـدمات الترجمـة وملخصـات الكتب والدوريات، وتحيط العاملين بوسائل الإعلام دوريًّا بالأحـداث الجاريـة أو بكل ما يستجد فى مجالات اهتمامهم أو التى ذات صلة بها، مما يساعدهـم عـلى متابعة الجديد فى تخصصاتهم وبشكل منتظم، وخاصة أن كافة مجالات النشـاط الإعلامى، مهما بلغ التخصص الدقيق فيها، أصبحت تواجه بفيض من المعلومـات التى لم يعد باستطاعة العاملين بوسائل الإعلام الإحاطة بها بجهدهم الفردى.

وقد أدى استخدام الحاسب الآلى فى المعالجة الآلية للمعلومات وفى الاتصـال الـدولى، إلى تمكـين المكاتـب الخارجيـة لوسـائل الإعـلام والمراسـلين الخـارجين مـن الاستفادة الفورية بإمكانات مراكز المعلومات وبنوك المعلومـات الإعلاميـة، والتـى غالبًا ما توجد بالمركز الـرئيسى للمؤسسـة الإعلاميـة، ولقـد أصـبح ممكنًـا الاتصـال

الفورى بين المكاتب الخارجية والمراسلين الخارجيين فى أى مكان بالعالم، وبين المقر الرئيسى للمؤسسة الإعلامية.

وفى الوقت الذى دعمت فيه التطورات التكنولوجية من دور وكالات الأنباء الدولية والوطنية فى تحقيق أغراض الإعلام الدولى، فقد أدت من ناحية أخرى إلى تزايد الطلب على الأنباء المرئية، مما أوجد نوعًا جديدًا من وكالات الأنباء المتخصصة فى أشرطة الفيديو وأفلام التليفزيون الإخبارية، وقد أحدثت هذه الوكالات المصورة نقلة ضخمة فى الإعلام الدولى، حيث توفر لوسائل الإعلام، وبطريقة فورية، أنباء الأحداث الدولية الجارية بالصوت والصورة.

وقد تأكد الآن أن أكبر إنجاز حققته الثورة التكنولوجية فى مجال الاتصال، أن المسافات لم تعد عقبة أمام تبادل الأنباء والمعلومات على المستوى الدولى، وأمكن قيام نظام اتصال عالمى يربط بين أى بقعة وأخرى على كوكب الأرض، وكان أفضل تعبير عنها ظهور "الإنترنت" كوسيلة إعلام جديدة.

وفى البداية قوبلت ظاهرة انفجار المعلومات وثورة الاتصال بترحيب مبالغ فيه من كافة الأمم، وكان الأمل يحدوها جميعًا فى أن تعم فوائدها على الكافة، ورغم أن بعض الدول النامية قد أبدت تخوفًا مما كان يحدث من تحول لبعض وسائل الإعلام الغربية إلى الطابع المؤسسى الدولى الضخم، وإن هذا التحول قد يهدد حرية التبادل الدولى للأنباء والمعلومات، إلا أن العديد من الأصوات ارتفعت لتؤكد أن التدفق الهائل للمعلومات سوف يوازن بين سيطرة الاحتكارات على المؤسسات الإعلامية الدولية الكبرى وبين حرية تبادل الأنباء والمعلومات، وإن قوة الأنباء والمعلومات على الانتشار سوف تقلل من هيمنة الاحتكارات المالكة لوسائل الإعلام الدولية.

ولكن الآثار التى نجمت عن تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال، قد خيبت بعض الآمال التى عقدت عليها، وأسكتت فريقًا من الأصوات المتفائلة، إذ

أدى التطور التكنولوجى إلى زيادة الفجوة بين الدول الصناعية المتقدمة من ناحية والدول النامية من ناحية أخرى حيث وجدت دول تتمتع بوفرة فى الإنتاج الإعلامى، ودول أخرى تعانى من مجاعة فى هذا الإنتاج.

ونتيجة للتكاليف الباهظة التى يتطلبها إنشاء البنية الأساسية الملائمة لتخزين البيانات والمعلومات، فضلاً عن نفقات تطويرها وصيانتها بل واستخدامها، فقد عجزت معظم الدول النامية عن السير فى هذا السباق، ولم تستطع أن تتحمل تكاليفه سوى الدول الصناعية المتقدمة، ولعل هذا هو السبب فيما تعانيه اليوم الدول النامية من شح شديد فى المعلومات اللازم توافرها قبل اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية، وهو السبب أيضًا فى الصعوبات التى تواجه تلك الدول، أثناء المفاوضات بينها وبين الدول المتقدمة أو مع الشركات المستوردة أو المصدرة فى الأسواق العالمية، وهذا أحد المجالات التى يكون فيها تدفق المعلومات والحصول عليها بكفاءة، شرطًا أساسيًّا لتخفيف درجة التبعية فى العلاقات السياسية والاقتصادية والإعلامية على المستوى الدولى.

ومن الأمثلة الصارخة للمضار التى تقع على الدول النامية، ما حدث من تطور مذهل فى تكنولوجيا الاستشعار عن بعد، التى صارت تهدد السيادة الوطنية للشعوب التى يجرى مسحها، إذ تمكنت الدول المتقدمة من الحصول على معلومات مهمة عن الدول النامية، لا يتوافر أغلبها لدى هذه الدول نفسها.

إن الفجوة تتسع يومًا بعد يوم بين الدول المتقدمة والدول النامية فى كافة مجالات الاتصال والمعلومات، وهو الأمر الذى يعوق تحقيق أهداف الاتصال والإعلام الدولى.

ويوجد مظهر آخر لمخاطر الثورة التكنولوجية فى مجال المعلومات، على البناء السياسى داخل الدول المتقدمة نفسها، ثم على العلاقة بين هذه الدول، وغيرها من الدول النامية، فقد تضخمت إمكانات المؤسسات الخاصة العاملة فى مجال إنتاج

المعلومات فى الدول المتقدمة، وأصبح لها نفوذ كبير على عملية صنع القرار على المستوى الوطنى، وغالبًا ما يتعدى هذا النفوذ الحدود الوطنية إلى المستوى الدولى، وخاصة بالنسبة للمؤسسات ذات النشاطات الدولية، أو المؤسسات المتعددة الجنسية، وهو الأمر الذى أصبح يهدد ديمقراطية الاتصال والإعلام، سواء على المستوى الوطنى أو الدولى.

إن صورة المستقبل تبشر بآفاق لا حدود لها لتطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ويظل الأمل قائمًا فى أن تتوصل البشرية إلى تعميم فوائد هذا التطور، بحيث لا يظل حكرًا على الدول القادرة، فى حين تحرم منه الدول الأقل قدرة، فمن المهم للسلام والأمن الدولى أن يستغل التقدم التكنولوجى فى مجال الاتصال والمعلومات لتحسين التفاهم بين الشعوب، وتعزيز الديمقراطية داخل كل بلد، وفيما بين الدول وبعضها، بدلاً من أن يستخدم فى دعم المصالح الخاصة على المستوى الوطنى أو تكريس سيطرة عدد محدود من الدول على المستوى الدولى.

مراجع الفصل الاول

(1)Brown. Lance: Computer Net Work: (SAGE Publication). Bevery Hills, California, U.S.A. 1989, pp. 122-125.

(2)Mervill. John: New Technology, Electronic Communication. “Holt, Renebort and Winston” New York, 1990. pp. 12-13.

(3) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، الاتصال والمجتمع – اليوم وغدًا. "اليونسكو – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع". الجزائر، ص 575-576.

(4)Ransom. Hrry Howe: The Intelligence Eslablishmen. “Harvard University Press” U.S.A. 1998, pp. 8-10.

(5) الوردى. زكى: مختارات من مصطلحات علوم المعلومات والاتصالات. "مجلة التوثيق الإعلامى" المجلد الخامس، العدد الثانى، السنة الخامسة، بغداد، 1986، ص106.

(6)**UNESCO**: World Communication. “The Unesco Press”. Paris, 2008, pp. 63-65.

(7)Curtis. Ted: News Agency. “The Free Press”. New York, 2007, pp. 12-14.

(8) شيللر. هربرت: المتلاعبون بالعقول، "عالم المعرفة". الكويت. ص 43، 44، 51.

(9) الوردى. زكى: مختارات من مصطلحات علوم المعلومات والاتصالات. ص 119.

(10) عبد الهادى. فتحى وآخرون: مراكز المعلومات الصحفية. "دار المريخ". الرياض. بدون تاريخ. ص 173.

(11) المصدر السابق، ص 185 – 186.

(12)**UNESCO**: World Communication, pp. 27-29.

(13) Emery. Edwin: World press. Random House” New York. 1988, p. 112.

(14)Frank, Brone: The New Journalist. “Heinemann” London. 2008. pp. 217-221.

(15)Kiviluru. Ullamaija: Approaches to International Communi-cation. "Finnish National Communication for **UNESCO**, Helisnki, 1986, pp. 72-74.

(16)**UNESCO**: World Communication. P. 14, 22, 87.

(17)Boyd. Barrett: Mass Communication and Society, "Longman". New York. 1988. pp. 42-45.

(18)Merril. John: Global Journalism. "Longman". New York. 2009. pp. pp. 67-69.

(19)Alexander. A. Lison. Dwers: Media Economics. A Pelican Book. London. 2003. pp. 137-142.

(20)Mever. Thomas: Media Democracy. Mpg books Great Britain. 2002. pp. 118-120.

(21)Mcphall. Thomas: Global Communication. Augn and Brcon. London. 2002. p. 73.

الفصل الثانى

الصحافــة الدولــية

ليس من قبيل التواضع الاعتراف بصعوبة تعريف الصحافة الدولية. وفى الوقت نفسه فمن السهولة بمكان أن نفند ادعاءات كثير من الصحف التى تدعى لنفسها صفة الدولية !.

وما أكثر الصحف التى تدعى لنفسها هذه الصفة، وما أقل الصحف التى ينطبق عليها هذا الوصف بالفعل...!

ولكى ندرك مدى الصعوبة فى إيجاد تعريف جامع مانع لمفهوم الصحافة الدولية، يكفى أن نعرف أن عدد الصحف التى تصدر فى العالم يصل إلى 410 آلاف صحيفة، وذلك طبقـًا لإحصاء الاتحاد الدولى للصحافة الدورية، وأن عدد الصحف العلمية فقط بلغ زهاء مائة ألف دورية وأن عدد الصحف اليومية يصل إلى ثمانية آلاف جريدة يبلغ توزيعها 400 مليون نسخة فى اليوم!.

ويصطف فى قائمة الصحف التى تدعى لنفسها صفة (الدولية) طابور طويل متعدد الأشكال والألوان والأنماط، فهناك الصحف ذات الصبغة السياسية والإخبارية والتى توزع بأسلوب تجارى ويتخطى بعضها حدوده الوطنية ليصل إلى قراء فى العديد من الدول، وينتمى إلى هذا اللون من الصحف بعض الجرائد اليومية مثل:

نيويورك تايمز The new york times وواشنطن بوست The Washington Post ووول استريت جورنال The Wall Street Journal الأمريكية. والتايمز The Times والجارديان The Guardian والفينانشيال

تايمز Financial Times والصنداى تايمز The Sunday Times والأوبزرفر The Observer البريطانيـة، ولومنـد Le Monde ولوفيجـارو Le Figaro الفرنسـية، وينتمـى إلى هـذا اللـون مـن الجرائـد جريـدة إنترناشـونال هيرالـدتريبيون International Herald Tribune التـى تصـدر مـن بـاريس بالتعـاون بـين النيويورك تايمز، والواشنطن بوست. ومن المجلات التى تندرج تحت هـذا اللـون مـن الصـحف مجـلات تـايم Time ونيوزويـك Newsweek الأمريكيـة وإيكونومسـت The Economist البريطانيـة، وبـارى مـاتش Parismatch الفرنسية. وهناك لون آخر من الدوريات التى يغلب عليها الطـابع الثقـافى مثـل مجلة ريدرز دايجست The Reader's Digest والتـى يقـترب توزيعهـا مـن 29 مليون نسخة، وهـى تصـدر شـهريًا بالإنجليزيـة وتصـدر مـن الولايـات المتحـدة الأمريكية وتوزع فى كافة أنحاء العالم، وإن كان يصدر منهـا عـدد مـن الطبعـات الدولية بلغات أخرى ومنها اللغـة العربيـة. وتوجـد أيضًـا الـدوريات المتخصصـة والتى توجه إلى قطاعات معينة من القراء على مستوى العـالم كلـه مثـل صـحف الأزياء والصحف النسائية ولعل أبرزها الـ Elle الفرنسية والبوردا الألمانية.

وهناك الصحف التى تصدرها هيئة الأمـم المتحـدة والوكـالات التابعـة لهـا وتوزع فى كافة أنحاء العالم وبعضها يصدر بأكثر من لغة ومن أهمها مجلة رسالة اليونسكو.

وهنـاك لـون آخـر مـن الصـحف الوطنيـة، ذات قـوة مـؤثرة فى اتجاهـات السياسة الدولية، باعتبارها لسان حال بعض الدول الكبرى رغم عدم وجود قـراء لها خارج حدودها الوطنية مثل جريدة "الشعب" الصينية.

وقريب من هذا اللون الصحف الرسمية التى تصدرها كثير من الدول بأكثر من لغة وتوزع عن طريق السفارات وبعضها يطرح للبيـع التجـارى، ومنهـا عـلى سبيل المثال مجلة "بناء الصين" التى تصدر عن حكومـة الصـين الشـعبية ومجلـة "صوت الشرق" التى تصدر عن الحكومة الهندية.

وتضم القائمة أيضًا لونًا من الصحف يصدر بلغته الوطنية، ولكن فى دول أجنبية، وذلك بهدف مخاطبة أبناء لغته القومية المنتشرين فى أنحاء متفرقة من العالم، ومثال ذلك جريدة "الشرق الأوسط" التى يصدرها صحفيون سعوديون من لندن وتوزع فى أى مكان توجد به تجمعات من القراء العرب بالإضافة إلى توزيعها داخل العالم العربى نفسه، وقريب منها جريدة "الحياة" التى تصدر من لندن، وهى جريدة لبنانية، صدرت فى البداية ببيروت، ثم انتقلت أثناء الحرب الأهلية اللبنانية إلى لندن، ثم بيعت إلى مستثمرين سعوديين. وهناك الطبعات الدولية التى تصدرها بعض الصحف العربية مثل الطبعة الدولية للأهرام المصرية والطبعة الدولية للقبس الكويتية.

-1-

تعريف الصحيفة الدولية

والسؤال الآن هو: ما الدولى من هذه الصحف ؟ وما غير الدولى منها ؟ وكيف نفرق بين الصحيفة الدولية والصحيفة غير الدولية ؟ وهل توجد معايير موضوعية تصلح لأن تكون مقياسًا للحكم على مدى دولية الصحيفة ؟.

وهنا نعود لنواجه الإشكالية التى طرحناها فى البداية، وهى صعوبة إيجاد تعريف جامع مانع لمفهوم الصحافة الدولية !

ورغم ذلك فإن هذه الصعوبة لا يجب أن تثنينا عن المحاولة. ولتكن وسيلتنا إلى تعريف الصحيفة الدولية، هى محاولة طرح فرض علمى، ثم اختبار هذا الفرض من خلال التطبيق على الأوضاع السائدة فى الصحافة العالمية.

وهذا الفرض العلمى الذى نراه صالحًا لتعريف الصحافة الدولية يقول: إن هناك ارتباطًا بين الطابع الدولى لصحيفة ما وبين انتشار توزيعها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول، وقوة تأثيرها داخل الحدود الوطنية وخارجها والنابعة من عمق المضمون وتنوعه وإصدارها بلغة تسمح لها بالانتشار على النطاق العالمى، أو إصدار طبعات منها بلغات متعددة.

وكما نرى فإن هذا الفرض يوجز عناصر التعريف العلمى للصحافة الدولية فى ثلاثة محددات وهى:

الأول: انتشار التوزيع عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول.

الثانى: قوة التأثير خارج الحدود الوطنية وخارجها، وهى قوة نابعة من عمق المضمون وتنوع المادة الصحفية.

الثالث: الصدور بلغة تسمح بالانتشار على النطاق العالمى، أو إصدار طبعات بلغات متعددة تسمح للصحيفة بالوصول إلى قراء خارج نطاق حدودها الوطنية.

ومن المهم أن نشير إلى ضرورة توافر العناصر الثلاثة مجتمعة فى الصحيفة الدولية، بحيث إذا فقدت الصحيفة عنصرًا منها، فقدت طابعها الدولى.

وإذا حاولنا أن نطبق العنصر الخاص باللغة مثلا على الصحافة العالمية، سوف نجد على سبيل المثال أن الاتحاد السوفيتى السابق كان يصدر 639 صحيفة يومية بلغ إجمالى توزيعها 81 مليون نسخة، أى بمعدل 336 نسخة لكل ألف مواطن، كما وجد به ثمانية آلاف مجلة يبلغ توزيعها 60 مليون نسخة، وكان يوجد بالاتحاد السوفيتى نحو ستة آلاف دورية فصلية ومتخصصة يتم نشر خمسة آلاف منها باللغة الروسية، فى حين كانت تصدر 910 دوريات باللغات الأخرى للشعوب التى يضمها الاتحاد السوفيتى السابق ومن بينها 140 دورية تصدر بثلاث وعشرين لغة.

ومن بين الصحف اليومية التى كانت تصدر فى الاتحاد السوفيتى جريدة البرافدا Pravda وتوزع حوالى 11 مليون نسخة وازفستيا Izvestia وتوزع حوالى تسعة ملايين نسخة، ورغم ارتفاع توزيع هاتين الصحيفتين، ورغم قوة تأثير كل منهما داخل الاتحاد السوفيتى وخارجه بسبب كون البرافدا كانت لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى بينما تعتبر ازفستيا لسان حال الحكومة السوفيتية، فإنهما لا تعتبران بحال من الأحوال صحفًا دولية، وذلك لاقتصار توزيعها على مواطنى الاتحاد السوفيتى بسبب عدم انتشار اللغة الروسية على مستوى عالمى، وظل الاتحاد السوفيتى لا يملك صحيفة دولية رغم كونه كان إحدى القوتين العظميين فى النصف الثانى من القرن العشرين.

ولأهميـة الكثـير مـما كانـت تـنشره الصـحف السـوفيتية وبخاصـة برافـدا وازفستيا، فإن مراكز التحليل السـياسى فى الكثـير مـن دول العـالم كانـت تكتفـى بترجمة العديد من أخبار ومقالات وافتتاحيات هـاتين الصـحيفتين حيـث تؤخـذ كدليل ومؤشر على مواقف واتجاهات الاتحاد السوفيتى الدوليـة: وينطبـق ذات التحليل على الصحافة الصينية، فالصين الشعبية تصدر ألفى صحيفة يومية توزع 1455 منها نحو 21 مليون نسخة، ويزيـد توزيـع إحـدى صـحفها اليوميـة وهـى جريدة (الشعب) عن خمسة ملايين نسخة!.

ولكن جريدة (الشعب) وغيرها من الصحف الصينية لا تعتبر صحفًا دوليـة بسبب إصدارها باللغة الصينية التى لا تنتشر على نطاق عالمى، رغم قـوة الصـين الدولية، وتكتفى مراكز التحليل السياسى فى العديد من الدول بترجمة افتتاحيات جريدة (الشعب) باعتبارها مؤشرًا لمواقف الصين الدولية.

ورغم أن الهند تحتل المركز الخامس بين أكثر الدول إصـدارًا للصـحف بعـد الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسـا وإنجلـترا وألمانيـا الاتحاديـة، فـإن صـحفها لا تتمتع بالصبغة الدولية أيضًا، فالهند تصدر 721 صحيفة يومية ولكـن بـأكثر مـن 20 لغة، وهـى تصـدر أيضًـا أربعـة آلاف مجلـة، ونحـو 11 ألفًـا مـن الـدوريات الفصلية والمتخصصة، ولكـن بــ 52 لغـة لدرجـة أنـه لا توجـد فى الهنـد صـحافة وطنية تربط بين المساحات الجغرافية الشاسعة والثقافات واللغات المتعددة بها، ومن الصعوبات التـى تواجـه دوليـة الصـحافة الهنديـة، بـل وتحـول أيضًـا دون قوميتها، أنه لم يمكن حتى الآن تصنيع حروف طباعة للعديد من اللغات بها مثل اللغة الأوردية.

ومن الملاحظ أن دول العالم الثالث المنتشرة فى ثلاث قارات، آسـيا وأفريقيـا وأمريكا اللاتينية، ويشكل عدد مواطنيها حوالى ثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضـية، لا تملك أى منهـا صـحيفة دوليـة..! ويرجـع ذلـك إلى البدايـة المتـأخرة للصـحافة الوطنية فى غالبية هذه الدول، وكثرة عدد اللغات المستخدمة ونقص المطابع مـع ارتفـاع تكـاليف ورق الصـحف المسـتورد ونـدرة تسـهيلات الاتصـالات السـلكية

واللاسلكية لإرسال الأنباء، وبطء وصعوبة الاتصال بين المدن والمناطق الريفية الشاسعة!.

وفى الجهة المقابلة، أى فى الدول الصناعية المتقدمة نجد فى الولايات المتحدة الأمريكية ثلاث مجلات دولية هى تايم ونيوزويك وريدرزدايجست. وبها ثلاث جرائد يومية ذات طابع دولى وهى: نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، ووول استريت جورنال، أما إنجلترا فلها خمس جرائد دولية وهى: التايمز، والجارديان، والفينانشيال تايمز، والصنداى تايمز، والإندبيندت، ولإنجلترا مجلة واحدة دولية وهى الإيكونومست.

أما فرنسا فلها أربع جرائد يومية دولية وهى لوموند والفيجارو وفرانس سوار ولومانتيه، ولها أربع مجلات دولية وهى بارى ماتش، ولواكسبريس ولوبوان ولوكانار أنشينيه بالإضافة إلى مجلة "إل" النسائية.

وكما نرى فإن دولية اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية ساعدتا بشكل كبير إلى جانب عوامل أخرى على إكساب بعض الصحف الفرنسية والبريطانية ثم الأمريكية طابعها الدولى.

ومن المهم أن نشير إلى أن بداية ظهور الصحافة الدولية فى العالم توافقت مع بداية انتشار اللغة الفرنسية كلغة دولية، أى لغة السياسة والدبلوماسية الدولية، فقد نشأت الصحافة فى أوربا الغربية فى نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر بعد اكتشاف المطبعة على يد جوتنبرغ فى منتصف القرن الخامس عشر، وقد ظلت الصحافة تأخذ طابعًا محليًا، أو وطنيًا حتى مطلع القرن الثامن عشر وذلك لتخلف وسائل الاتصال والمواصلات فى ذلك الوقت.

وفى القرن الثامن عشر أخذت اللغة الفرنسية تحل مكان اللغة اللاتينية كلغة للسياسة والدبلوماسية وفى مجال الثقافة والأدب والفن، وذلك نظرًا لموقع فرنسا الجغرافى المتميز فى الوسط الأوربى، وزعامتها القارية، الأمر الذى جعل اللغة

الفرنسـية لغـة التخاطـب للطبقـة الأرسـتقراطية والمثقفـة فى مختلـف البلـدان الأوربيـة، وقـد سـيطرت اللغـة الفرنسـية فى القـرن الثـامن عشر والتاسـع عشر ومطلع القرن العشرين، وأصبحت غالبية المعاهدات الدولية الأوربية تكتـب بهـا حتى ولو لم تكن فرنسا طرفًا فيها، إلا أن البريطانيين وكقوة أوربية كبرى آنذاك لم يخضعوا لهذا الأمر الواقع بل حاولوا مرارًا إدخـال لغـتهم الإنجليزيـة إلى جانـب الفرنسية، وبعد انهيار فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية، وانحسـار إمبراطوريتهـا وتغير موازين القوى وبروز الولايات المتحـدة الأمريكيـة كـأقوى وأغنـى دولـة فى العالم وقيام منظمة الأمم المتحدة ونقل مقرها إلى نيويورك، ساهمت كافة هـذه العوامل فى دفع اللغة الإنجليزية إلى مركز الصدارة بين لغات العالم، وصارت لغـة الدبلوماسية الدولية الأولى.

ومع كل هذه المتغيرات الدولية ظلت اللغـة الفرنسـية هـى اللغـة الثانيـة بعد الإنجليزية فهى لا تزال تحتفظ بمكان الصـدارة فى منطقـة البحـر المتوسـط، وتقتسم مع اللغة الإنجليزيـة قـارتى أفريقيـا وأمريكـا الشـمالية، كـذلك تحـتفظ اللغة الفرنسية بمركز ممتاز فى سـويسرا وبلجيكـا وهولنـدا وموناكـو وفى جنـوب أوربا، وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال كـما يوجـد عـلى الأقـل حـوالى خمسـة ملايـين نسمة يتحدثون اللغة الفرنسية فى لندن وبروكسل وبرشلونة وروما وموسكو، ولا تزال الفرنسية من أكثر اللغات تأثيرًا فى مجـالات الثقافـة والفكـر والفـن والأدب على المستوى العالمى.

ولعل هذا كلـه يـفسر لنـا كيـف اسـتحوذت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وإنجلترا وفرنسا على النصيب الأكبر من الصحافة الدولية..!

-2-

وظائف الصحافة الدولية

إن الصحافة الدولية شأنها شأن كافة وسائل الإعلام الدولية تعتبر أداة من أدوات السياسة الخارجية للدولة التى تصدرها، ومهما ادعت هذه الصحف من حياد وموضوعية، فحقيقة الأمر أنها تستخدم من قبل الحكومات والمؤسسات والجماعات التى تملكها فى تحقيق أغراض سياسية واقتصادية وثقافية، فهذه الصحف تحرص على تقديم صورة إيجابية للنظام الاجتماعى الذى تنتمى إليه وللشعب الذى تعبر عنه، فالدول تعكس من خلال صحفها الدولية مبادئها ومنجزات حضارتها، فلكل دولة صورة عن نفسها، تهدف إلى تعزيزها فى المجال الدولى حتى لا تبدو مشوهة أو غير صحيحة فى أذهان الشعوب الأخرى.

وتستطيع الصحافة الدولية أن تعمل على تحقيق التفاهم الدولى والتعاون بين الشعوب، ولكن تحقيق هذا الهدف مرهون بمدى تصور كل دولة أو شعب للدول أو الشعوب الأخرى وهنا تلعب الصحافة الدولية دورًا أساسيًّا فى تشكيل ملامح ومحددات الصور القومية للدول والشعوب إذا ما التزمت بالصدق والموضوعية وابتعدت عن التشويه والتزييف المتعمد لإنجازات الشعوب الأخرى.

والصحافة الدولية تساهم بشكل كبير مع غيرها من وسائل الإعلام الدولية فى تكوين الرأى العام العالمى تجاه الكثير من القضايا التى تهم الجنس البشرى كله، وهذا الدور لا يتحقق عن طريق نشر الأنباء والأحداث الدولية فحسب وإنما بتفسير هذه الأحداث وتحليلها ووضعها فى سياقها المناسب، الذى يخدم المصلحة الدولية، وصحيح أن دور الصحف الدولية فى توزيع الأنباء قد أخذ فى التناقص

بعـد أن زادت الإذاعـة والتليفزيـون مـن نشـاطهما فى تقـديم الأنبـاء وتغطيتهـا بـأسرع مـما يحـدث فى الصـحافة إضـافة إلى الـدور المتزايـد للقنـوات الفضـائية والإنترنـت ولكـن الصـحف الدوليـة تلعـب اليـوم دورًا يـزداد أهميـة فى الشرح والتفسير والتعليق على الأحداث الدوليـة وخاصـة عنـدما تثـور مناقشـات حـول المتغيرات الدولية الكبرى والتى تتطلب تحليلاً مستفيضًا لا مجرد تغطية إخبارية موجزة.

والصحافة الدولية تستطيع أن تثير اهتمام الرأى العام العـالمى بالمشـكلات التى تهدد الأسرة الدولية، وهـى مشـكلات لا يمكـن أن تحـل بـدون تعـاون بـين الدول مثل مشكلات سباق التسلح، والنزاعات المسـلحة، واشـتداد نزعـة العنـف والإرهـاب، والمجاعـة والفقـر والأميـة والعنصريـة والبطالـة والظلـم الاقتصـادى والنمو السكانى وتدمير البيئة وتعاظم مديونية دول العالم الثالث وغير ذلـك مـن المشكلات والقضايا الدولية فالصحافة الدولية لا تستطيع أن تثـير اهـتمام الـرأى العام العالمى بهذه المشكلات فقط وإنما يمكنها أيضًـا إظهـار أن هـذه التحـديات والأخطار تهدد جميع الأمم، وتستطيع أيضًا أن تجعل هـذه المشـكلات مفهومـة على نحو أفضل، وفى حفـز الحكومـات لحـل تلـك المشـكلات وفى تهيئـة الفئـات المثقفة فى كافة الدول للعمل من أجل إيجاد حلول ملائمة لهذه المشـكلات، ولـن يتسنى لشعوب العالم أن تكون قادرة على أن تساعد بعضـها الـبعض مـن خـلال التعاون السلمى والتفاهم المشترك، إلا إذا ركزت الصحافة الدولية على مـا يـربط بين الشعوب بدلا من أن تركز على ما يفرقها.

ولكن تبقى المشكلة فى مدى فاعلية الصحافة الدوليـة فى أداء هـذا الـدور، وهو الأمر الذى يتطلب التوفيق بين مبدأين أساسيين، الأول هو الإسهام الإيجـابى المتوقع من الصحافة الدولية، والذى يرى البعض ضرورة اعتباره إلزامًـا، فى تعبئـة الرأى العام العالمى أو إيقاظـه فـيما يتعلـق بالقضـايا الأساسـية التـى تـتحكم فى تطور الإنسان، أو التـى يتوقـف عليهـا بقـاء الجـنس الـبشرى، الثـانى هـو حريـة الصحافة الدولية، والتى يتعين أيضًا اعتبارها التزاما، فى التعريـف بالحقائق لمجـرد أنها حقائق، دون أن تشوه هذه الحقائق أو تزيف لمصلحة فئة أو دولة معينة.

- 3 -

تطور تكنولوجيا الصحافة
وأثره على الصحافة الدولية

إن التطور فى تكنولوجيا الاتصال والمواصلات بشكل عام وتطـور تكنولوجيـا الصحافة بشكل خاص قد وفر للصحافة الدولية مساعدات كبيرة فى أداء وظائفها الدولية من جهة وأوجد لها وظائف جديدة، من جهة أخرى، بالإضافة إلى زيـادة كفاءة الصحافة الدوليـة فى أداء هـذه الوظـائف مـن جهـة أخـيرة. فقـد كانـت التطورات المتلاحقة فى وسائل المواصلات والاتصال أثرها الكبير فى تطور نشاطات الصحف الدولية، إذ لعب التقدم الـذى طـرأ عـلى الخـدمات البريديـة فى القـرن التاسع عشر دورًا بالغ الأهمية فى الحصـول عـلى الأنبـاء الخارجيـة ونشرهـا، ثـم أحدث اختراع التلغراف على يد "صموئيل مورس" نقلة أخرى مهمـة فى الحصـول على الأنباء الدولية حيث أمكن عن طريقه إرسال 20 كلمة فى الدقيقة، ثـم جـاء اختراع التليفون على يـد "جراهـام بـل" ليحقـق الاتصـال الفـورى، والمبـاشر بـين المراسل الخارجى والمصدر من ناحية وبين المراسل الخارجى وصحيفته من ناحية ثانية، مهما تباعدت المسافة بين كل طـرف مـنهما، ومـع بدايـة القـرن العشريـن اخترع "ماركون" الراديـو، الـذى أمكـن اسـتخدامه فى عـام 1917م لنقـل الأخبـار الصحفية الدولية، والذى مكن من إرسال 67 كلمة فى الدقيقة. ورغم أنـه أمكـن إرسال الصور عن طريق الراديو مع بدايـة الخمسـينيات مـن هـذا القـرن، إلا أن الأمر، كان قاصرًا على الصور الفوتوغرافية، وغالبًـا مـا كانـت تصـل غـير واضـحة،

وتضيع منها بعض التفاصيل الدقيقة، ولكن اختراع جهاز "الفاكسـميلى" وهـو مـا يمكن أن يطلق عليه "جهاز الإرسال عن بعد أو جهاز النسخ عـن بعـد أو جهـاز إرسال النصوص اللاسلكية" قد مكن الصحف من إرسال الصـور الواضـحة بكافـة أشكالها بالإضافة إلى إرسال النصوص المكتوبة أيضًا، وبذلك أمكن إرسال صفحات كاملة مطبوعة من الصحف عبر الدول أو القارات بواسطة موجات الراديو وذلك عن طريق تغذيـة جهـاز الإرسـال بالمـادة الصحفية وليسـتقبلها جهـاز اسـتقبال مماثل فى مكان آخر بعد دقائق، وقد أحدث هـذا الجهـاز طفـرة كبـيرة فى عمـل الصحافة الدولية، حيث حقق لها نقل الأنباء والموضـوعات والصـور والصـفحات الكاملة من الجريدة فى دقـة وسرعـة، بالإضـافة إلى عامـل السريـة لمـا ينفـرد بـه مراسلو الصحف من أخبـار والتـى كانـت عرضـة للـتسرب عـبر وسـائل الاتصـال القديمة، وقد تطور نظام "الفاكسميلى" حيث زود بجهـاز كمبيـوتر ضـاعف مـن قدرات الجهاز.

وقد توافق هذا التطور مع البدء فى استخدام (البريد الإلكترونى) وهو الذى أمكن عن طريقه إرسال المواد الصحفية على شكل أرقام بواسطة الكمبيوتر وهو الأمر الذى حقق سرعة كبيرة فى وصول المواد الصحفية الدولية إلى الصحف، وقـد أصبحت غالبية هذه الخدمات الاتصالية متوافرة للكثير من الصحف الدولية.

وفى السـنوات الأخـيرة توسـعت الصـحف الدوليـة فى اسـتخدام الـنظم الإلكترونية الحديثة مثل نظم إرسال (النصوص المرئيـة) وهـى نظـم تجمـع بـين شاشات التليفزيون من جهة وأجهزة الكمبيوتر، والتليفزيـون والأقـمار الصـناعية من جهة أخرى، وهى تقوم على الإرسال فى اتجاهين، وتسمح للمراسل الخـارجى أن يشاهد المصدر وأن يسأله وأن يشاهده وهو يجيب عـن أسـئلته وأن يسـجل هذه الإجابات بالصوت والصورة.

وهذه النظم الإلكترونية المتقدمة أصبحت تتيح أيضًا للمراسل الخارجى أن يكتب نص الخبر أو التقرير وإرساله من موقع الحدث نفسه إلى مقر الجريدة، بل يمكن للمراسل الخارجى الاتصال ببنك المعلومات الإلكترونى فى الصحيفة للحصول على المعلومات الخلفية أو أية تفاصيل يحتاج إليها لكتابة الخبر أو التقرير قبل أن يبعث به جاهزًا للنشر الفورى فى الصحيفة وذلك من مكان الحدث نفسه مهما كان يبعد عن مقر الصحيفة!!

ولقد بدأ الاستخدام الفعلى لهذه الأنظمة المتقدمة فى نقل الأخبار الدولية منذ عام 1976 حين استخدمتها وكالة اليونايتدبرس لتغطية أولمبياد مونتريال، ولتغطية انتخابات الرئاسة الأمريكية فى نفس العام، وقد انتقل استخدام هذه النظم المتقدمة فى نقل الأخبار من وكالات الأنباء العالمية إلى الصحف الدولية الكبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية ثم انتقلت إلى الصحف الدولية، فى غرب أوربا، وأصبح الكثير من الصحف التى تصدر فى الدول النامية تستخدم هذه النظم المتقدمة فى الاتصالات الصحفية ومن الصحف العربية التى استفادت من هذا التطور جريدة الشرق الأوسط السعودية التى تصدر من لندن وجدة والرياض والظهران وباريس والقاهرة والرباط ونيويورك فى نفس الوقت عن طريق نقل صفحاتها كاملة بواسطة نظام (إرسال النصوص اللاسلكية) وقد تبعتها فى ذلك صحيفة الأهرام المصرية التى تصدر عدة طبعات دولية من لندن وباريس ونيويورك وجريدة الحياة وعدد آخر من الصحف العربية.

وإذا كانت تكنولوجيا الاتصال المتطورة قد أضافت إمكانات جديدة ساهمت فى تطوير الصحافة الدولية، فإن هذا التطور أوجد العديد من الصعوبات أمام الصحافة الدولية، فهى تعانى صعوبات مالية وذلك بسبب ارتفاع أسعار التكلفة وبخاصة تكاليف الطباعة وارتفاع أسعار الشحن بالطائرات وانخفاض عوائد الإعلانات التى باتت تفضل الراديو والتليفزيون والفضائيات وخاصة بعد أن دخلت

عصر البث المباشر الدولى عن طريق الأقمار الصناعية، وهو الأمر الذى دفع بعض الصحف الدولية للحصول على أسهم فى هيئات الراديو والتليفزيون والفضائيات التجارية، وفى بعض الحالات تقوم بعض الدول بتقديم إعانات مالية لصحفها الدولية لتعينها على الصمود والاستمرار، وهذا الأمر قد بات يهدد بزيادة نفوذ الدول على الصحف الدولية، والتى كانت تفاخر دوما باستقلالها المالى، وبالتالى استقلالها السياسى عن حكوماتها.

- 4 -

مشكلات الصحافة الدولية

إن الصحافة الدولية المعاصرة لا تعانى فقط من الصعوبات المادية، وإنما تواجه اليوم العديد من المشكلات المرتبطة بطبيعة المهنة الصحفية نفسها، ويمكن أن نوجز أهم هذه المشكلات فى ثلاث وهى:

أولا: تواجه الصحافة الدولية تحديًا جديًّا لمدى مصداقيتها بعد اكتشاف استغلال الكثير من أجهزة المخابرات للصحافة الدولية، وخاصة المراسلين الخارجيين، حيث تدفع هذه الأجهزة أموالاً لبعضهم لتزويدها بالمعلومات، وهى تتسلل أيضًا إلى هذه الصحف عن طريق ضمان وظائف دائمة أو مهام محددة – كمراسلين خارجيين – لبعض عملائها كستار لأنشطتهم الحقيقية !! ومن شأن هذه الممارسة أن تقوض الثقة فى الصحافة الدولية.

كذلك فإن بعض أجهزة المخابرات قد تتمكن من السيطرة المستمرة على مطبوعات دولية معينة، وهى ممارسة شوهدت أمثلة لها فى السنوات الأخيرة.

ولمواجهة هذا الخطر جرت محاولات متعددة من جانب منظمات دولية حكومية وغير حكومية لوضع قواعد سلوك مهنى دولى للصحفيين، وقد عالج الاتحاد الدولى للصحفيين مشكلات الأخلاق المهنية الصحفية، واعتمد إعلانا حول واجبات الصحفيين، أما المنظمة الدولية للصحفيين فقد عقدت اجتماعات عدة باليونسكو، اقترحت فيها مشروعا لقواعد السلوك المهنى للصحفيين، ورغم ذلك

تظل هذه المحاولات مجرد حبر على ورق ما لم يتم الالتزام بها من قبل الدول المعنية.

ثانيًا: تشكو الكثير من الأمم والشعوب وخاصة من بين الدول النامية من محاولات التشويه المتعمد لصورتها القومية وإنجازاتها الحضارية من قبل بعض الصحف الدولية بنشر المعلومات الناقصة والأنباء المحرفة، وإذا كان المجتمع الدولى قد أقر الحق فى الاتصال لكل الأفراد والشعوب، فإن هذا الحق لا يقتصر على حق الإنسان فى الحصول على المعلومات، بل يشمل أيضًا الحق المرتبط به أو المترتب عليه وهو حقه فى إعلام الغير وإكمال المعلومات الناقصة وتصويبها عندما تكون زائفة.

وهذا الوضع يثير إشكالية الحق الدولى فى الرد والتصويب على ما تنشره الصحافة الدولية، ومعروف أن حقى الرد والتصويب معترف بهما على الصعيد الوطنى فى كثير من دول العالم، وكثيرًا ما تنص عليهما قوانين المطبوعات فى كثير من الدول، والسؤال الآن هو هل يمكن مد نطاق حق الرد والتصويب إلى المستوى الدولى ؟

ومن المهم أن نشير إلى أنه توجد بالفعل اتفاقية دولية بالحق الدولى فى التصويب التى اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام 1952 والتى فتح باب التوقيع عليها فى 31 مارس 1953 وهى تنص على أنه فى حالة عدم نشر التصويب المطلوب فإن للدولة المقدمة للطلب أن تلجأ إلى الأمين العام للأمم المتحدة الذى يتعين عليه إذاعة البيان المبلغ إليه على النحو المناسب من خلال قنوات الإعلام الموجودة تحت تصرفه، ولكن فى التطبيق العملى لا يستخدم هذا النظام، وقد اقترحت لجنة ماكبرايد التى شكلتها اليونسكو لبحث مشكلات الاتصال أن يتولى كل بلد بحث إمكانية تطبيق الحق الدولى فى الرد والتصويب على أساس

طوعى وفقًا للممارسات الصحفية السائدة فيه ولإطاره القانونى القومى، وأن تدرس الأمم المتحدة بالتشاور مع جميع الهيئات المعنية الظروف التى يمكن فى ظلها تحسين تطبيق هذا الحق على المستوى الدولى، وأن تتولى المؤسسات الإعلامية ذات النشاط الدولى وضع معايير داخلية على أسس طوعية لممارسة هذا الحق، ونشر هذه المعايير.

ثالثا: يواجه العديد من مراسلى الصحف الدولية كثيرًا من العقبات فى تغطية الأحداث الدولية، وتضع بعض الدول صعوبات تحول دون وصول المراسلين إلى مصادر الأنباء وأحيانًا يمنع المراسلون من دخول بعض البلدان، وفى بعض الأحيان تضع بعض الدول العراقيل أمام إرسال الأنباء وتفرض ألوانًا من الرقابة على البرقيات والتقارير الصحفية، وكذلك يواجه المراسلون أخطارًا جسمانية فى أثناء تغطيتهم للنزاعات المسلحة والحروب، وهذه الأوضاع التى يتعرض لها المراسلون تثير قضية الحاجة إلى ضمانات خاصة أو حماية خاصة تكفل لهم القدرة على القيام بعملهم.

وفى النهاية نخلص إلى أن الوضع الراهن للصحافة الدولية إنما يعكس فى حقيقة الأمر الواقع الدولى بكل ما ينطوى عليه من عدم تكافؤ إعلامى بين الدول. وهو الأمر الذى يعكس التفاوت بين الدول فى الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية ولن يتم إحداث توازن فى مجال الصحافة الدولية إلا إذا تعددت مراكز إصدار الصحف الدولية. وهو أمر مرهون باتخاذ المجتمع الدولى الخطوات اللازمة للقضاء على التبعية الإعلامية وعدم التكافؤ والسيطرة فى مجال الاتصال والإعلام بشكل عام. وإبدال ذلك كله بعلاقات أكثر عدالة تقوم على التعاون، والتكامل بين الدول استنادًا إلى المصلحة المشتركة لكافة الأمم والشعوب وهو ما يتطلب جهدًا دوليًا مستمرًا من أجل إصلاح الأوضاع الإعلامية.

مراجع الفصل الثانى

(1) اليونسكو: وسائل الاتصال فى العـالم "وحـدة اليونسـكو الإقليميـة لوسـائل الاتصـال" القاهرة، ص23.

(2) ماكبرايـد. شـون: أصـوات متعـددة وعـالم واحـد، الاتصـال والمجتمـع اليـوم وغـدا، اليونسكو - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع" الجزائر، ص 138-139-140.

(3)**UNESCO**: World Communication: "The **UNESCO** Press", 2006, p. 213.

(4)Markham James: Communication in Russiea and China. "The Iows State University Press", 2007, pp. 12-17.

(5)**Ibid:** p. 219-234.

(6)Faster, Hell: Communication in History, "The Macmilan Company), New York. 2003, pp. 73-76.

(7)**UNESCO**: World Communication, pp. 22-25.

(8) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد. ص 544.

(9) نفس المصدر، ص 491.

(10)Starkey Guy: Balance and Rias In Journalism Palgrave. London. 2006. pp. 32-35 .

(11)Watson. James: Media Communication. Macmillan Press. London. 2004, p. 72 .

الفصل الثالث

وكالات الأنباء الدولية

رغم وجود أكثر من مائة وعشرين وكالة أنباء تنتشر بين قارات العالم الخمس، فلا يوجد من بينها سوى ثلاث وكالات دولية، ومن المفارقات التى تدعو للتأمل، أن الصحافة التى ظهرت إلى الوجود وقد غلب عليها الطابع المحلى أو الوطنى واستمر كذلك لأكثر من قرنين كاملين، قد أفرزت اليوم ما لا يقل عن ثلاثين جريدة ومجلة دولية، فى حين أن وكالات الأنباء التى نشأت وقد غلب عليها الطابع الدولى منذ البداية واستمرت كذلك حتى اليوم، لم تستطع أن تفرز سوى ثلاث وكالات أنباء دولية فقط، وهى رويتر **Reuters** البريطانية ووكالة الأنباء الفرنسية **Agence France Press** واسوشيندبرس Associated Press (A P).

إن قلة عدد وكالات الأنباء الدولية لا يعنى ضعف نفوذها الدولى، بقدر ما يشير إلى أن الاحتكار فى مجال وكالات الأنباء أكبر بكثير مما هو فى مجال الصحف، وهو ما يعنى أن الميدان الرئيسى لنشاط وكالات الأنباء، وهو نقل وتبادل الأخبار الدولية، يسيطر عليه عدد قليل من الوكالات.

إن تفسير هذه الظاهرة، وغيرها من الظواهر المرتبطة بالأوضاع الحالية لوكالات الأنباء الدولية يمكن فهمه عند الإحاطة بالظروف التاريخية لنشأة هذه الوكالات فى مطلع القرن التاسع عشر، فقد ظهرت وكالات الأنباء لكى تلبى الاحتياجات المتزايدة للصحف من الأخبار الدولية فقد شهد مطلع القرن التاسع عشر انتصار الطبقة البورجوازية فى غرب أوربا وسيطرتها على مقاليد السلطة،

وقد ارتبط نمو هذه الطبقة باتساع النشاط المالى والتجارى عقب عصر الاكتشافات الجغرافية والاستعمار ثم الثورة الصناعية، فظهرت حاجة الصحف إلى المعلومات والأخبار عن المستعمرات وأحوال الأسواق التجارية والبنوك والبورصات، وقد وفرت وكالات الأنباء للصحف كافة هذه الاحتياجات الأخبارية مستفيدة فى ذلك بما تحقق من تنظيم للخدمات البريدية مما ساعد على سرعة وصول الأخبار الدولية من مراسلى وكالات الأنباء إلى مقارها، ومنها إلى الصحف التى تشترك فى خدماتها.

فوكالات الأنباء هى الوليد الشرعى للصحف فى مرحلة توجهها الدولى. وكما بدأت الصحافة فى العالم تاريخيًّا فى غرب أوربا، فقد ظهرت وكالات الأنباء بالتبعية فى غرب أوربا أيضًا.

وكما صدرت الصحف الدولية تاريخيًّا من لندن وباريس عاصمتى أكبر قوتين دوليتين فى عالم القرن التاسع عشر، فقد احتكرت نفس العاصمتين ملكية أهم وكالتين للأنباء طوال القرن التاسع عشر وهما وكالة هافاس Havas الفرنسية (1835م) ورويتر البريطانية (1851م) ونافستهما وكالات أنباء وولف Wolf الألمانية (1835م) التى جسدت تنامى القوة الدولية لبروسيا، وقد لعبت الوكالة دورًا كبيرًا فى التمهيد للوحدة الألمانية. وفى نفس الوقت تقريبًا نشأت على الجانب الآخر من الأطلسى فى الولايات المتحدة الأمريكية وكالة اسوشيتدبرس فى عام 1848م.

ولمدة تزيد عن ثلاثة أرباع قرن تمتد من النصف الثانى للقرن التاسع عشر وحتى الربع الأول للقرن العشرين ظلت السيطرة على سوق الأخبار الدولية للوكالات الثلاث الأوربية: هافاس ورويترز وولف، حيث قاموا بتقسيم العالم بين بعضهما البعض لتوزيع حقوق الاستغلال الإخبارى، وأسسوا فيما بينهم دائرة

مغلقة أحاطوها بسياج نجح فى إبعاد أى دخيل مثل الاسوشيتدبرس الأمريكية من الميدان، وبمقتضى هذا الترتيب احتفظت رويترز لنفسها بحقوق التوزيع فى الإمبراطورية البريطانية وأمريكا الشمالية ودول البحر الأبيض المتوسط ودول خط السويس ومعظم دول قارة آسيا، فى حين اضطلعت هافاس بالإمبراطورية الفرنسية وجنوب غرب أوربا وأمريكا الشمالية وبعض دول أفريقيا، أما وولف فقد عهد لها بوسط أوربا بما فى ذلك إمبراطورية النمسا والمجر ودول اسكندنافيا (السويد والنرويج والدانمرك) وروسيا والدولة العثمانية، وتم إكمال هذا الاحتكار من خلال سلسلة من وكالات الأنباء الوطنية بمعدل واحدة فى كل دولة أوربية تخضع للسيطرة الكاملة لواحدة من الوكالات الثلاث العملاقة، وكانت هذه الوكالات الصغيرة والتى بلغ عددها سبعًا وعشرين وكالة فى عام 1927م تحصل بمقتضى هذا الترتيب على أخبارها الأجنبية من هذه المجموعة الاحتكارية الثلاثية مقابل تقديم أخبارها المحلية لوكالاتها الأم التى كانت واحدة أو أخرى من العمالقة الثلاثة.

وقد انضمت الاسوشيتدبرس الأمريكية إلى التحالف الثلاثى لأول مرة فى عام 1873 وكان شأنها فى ذلك شأن بقية وكالات الأنباء الوطنية الأوربية الصغيرة، وقد كان دورها ثانويًا واقتصرت عملياتها الإخبارية على الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتدريج أخذت الاسوشيتدبرس تشكو من احتكار الوكالات الأوربية الثلاث للأخبار الدولية، ثم شنت بعد ذلك حملة استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية تطالب فيها بأن يصبح لها الحق فى الاتصال بسائر أنحاء العالم، واتهمت الوكالات الثلاث "بأنهم ينقلون للعالم حروبنا مع الهنود الحمر فى الغرب وجرائم الغوغاء والرعاع فى الجنوب وأعتى الجرائم الشاذة فى الشمال، وأنهم يصورون الولايات المتحدة فى صورة بلد غارق فى الصراعات العنصرية وبأنها أكبر مسرح لحوادث القطارات والعواصف والفيضانات والجريمة وأن

الوكالات الأوربية لم تنقل شيئًا عن الولايات المتحدة يمكن أن يجعل صورتها ناصعة".

وعقب هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى تراجع دور وكالة وولف الألمانية وترك لها حتى تغطية الأخبار فى ألمانيا فقط، أما وكالة هافاس الفرنسية فقد انهارت عقب انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية واحتلالها من قبل ألمانيا، ثم حل مكانها فى 3 سبتمبر 1944 وكالة الأنباء الفرنسية كمؤسسة عامة تتمتع بالاستقلال، وبنهاية الحرب العالمية الثانية برزت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كأكبر قوتين دوليتين فى عالم ما بعد الحرب وتراجعت إنجلترا وفرنسا إلى الصف الثانى، فاحتلت وكالة الأسوشيتدبرس الأمريكية مركز الصدارة بين الوكالات الدولية وشاركتها وكالة انترناشيونال يونيتدبرس التى تكونت فى عام 1958م من امتزاج كل من وكالة يونيتدبرس أسوسيشن United Press Association التى تأسس فى عام 1907م ووكالة إنترناشونال نيوز سيرفس International News Service التى تأسست فى عام 1909م. وتحولت وكالة تاس السوفيتية التى تأسست عام 1925م إلى وكالة أنباء دولية تحتكر الأخبار الدولية للاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا وعدد غير قليل من دول العالم الثالث التى تخضع للنفوذ السوفيتى.

وبذلك أصبح يسيطر على سوق الأخبار الدولية خمس وكالات كبرى هى: وكالة الأنباء الفرنسية ورويترز البريطانية والأسوشيتدبرس واليونيتد برس الأمريكيتين وتاس السوفيتية، وكان الوضع السائد لوكالات الأنباء الدولية يعكس، فى ذلك الوقت، حقائق الوضع الدولى.

ومع بداية تسعينات القرن الماضى تدهورت مكانة وكالة تاس السوفيتية مع انهيار الاتحاد السوفيتى، وفى ذات الوقت تقريبًا تقلص دور وكالة اليونيتدبرس الأمريكية وفقدت مكانتها الدولية بعد أن فقدت قدرتها على المنافسة.

- 1 -

مظاهر السيطرة الدولية للوكالات الكبرى

إن سيطرة وكالات الأنباء الثلاث الكبرى على حركة تداول الأخبار الدولية يرجع إلى ضخامة حجمها وقوة الوسائل التكنولوجية التى تستعين بها فى جمع الأنباء وتوزيعها بلغات عديدة فى أنحاء العالم، ولكل وكالة منها مكاتب فى أكثر من مائة دولة وتستخدم آلاف الموظفين المتفرغين والمراسلين غير المتفرغين يقومون بجمع مئات الألوف من الكلمات كل يوم وتوزيع ملايين الكلمات على النطاق العالمى والمحلى، وكل منها يصدر أنباءه على مدار ال24 ساعة فى اليوم إلى الآلاف من الوكالات الوطنية والصحف المشتركة ومحطات الراديو والتليفزيون فى أكثر من مائة دولة وجميعها يقدم خدمة منتظمة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والروسية والبرتغالية والعربية وبلغات أخرى أقل أهمية.

وقد ساعد التطور الهائل والمستمر فى تكنولوجيا الاتصال فى تدعيم السيطرة الدولية لوكالات الأنباء الكبرى، فقد شهدت السنوات الأخيرة تطورات فنية مذهلة فى أساليب جمع وتحرير وإرسال الأنباء بكم كبير يتزايد بسرعة خارقة، فمن الممكن الآن باستخدام أشعة (الكاشود) الكتابة والتصحيح والتحرير للإرسال الآلى الفورى، كذلك تستخدم أجهزة الكمبيوتر لتخزين الأنباء والبيانات الاقتصادية والمالية وكافة البيانات الأخرى واستردادها وتحريرها وإرسالها آليًّا. وقد زادت طاقة الإرسال للأنباء والرسائل والصور الفوتوغرافية والصور المنقولة

بالراديو كما زاد نطاق الإرسال لهذه المواد وسرعته وتحسنت نوعيته، وقد أضيفت الآن خدمات محسنة ومنتشرة لأجهزة الكابل والتليفزيون والبرق الكاتب Teleprinter ودوائر الراديو بين الدول والقارات وخلالها، وجرى إحلال الإرسال عن طريق الأقمار الصناعية فى أنحاء العالم التى يمكن لها النقل الفورى للرسائل إلى وكالات الأنباء.

وقد أدت سيطرة وكالات الأنباء الدولية الثلاث الكبرى على جمع وتوزيع الأخبار إلى إيجاد ظاهرة خطيرة فى الإعلام الدولى وهى الاختلال وعدم التوازن فى تداول الأخبار العالمية، حيث تحتكر الوكالات الخمس الكبرى حوالى 80% من الأخبار الدولية، بينما لا يزيد نصيب المجتمعات النامية عن 20% من هذه الأنباء.

- 2 -

وكالات الأنباء شبه الدولية

لقد سعت بعض الدول الصناعية التى تتمتع بقدر كبير من التقدم الاقتصادى والتكنولوجى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى مقاومة سيطرة الوكالات الثلاث الكبرى، فقام بعضها بتدعيم وكالاته الوطنية ماديًّا وبشريًّا فى حين قام البعض الآخر بإنشاء وكالات أنباء وطنية قوية، وبذلك زاد فى الربع قرن الأخير عدد الوكالات الوطنية والتى أطلق عليها "الوكالات شبه الدولية" وفى أحيان أخرى "الوكالات الأهم فى العالم بعد الوكالات الثلاث الكبرى".

وقد نجحت هذه الوكالات شبه الدولية فى منافسة الوكالات الثلاث الكبرى فى بعض المناطق وأكثرها يحتفظ بمراسلين متفرغين فى عدد كبير من دول العالم، ومن أهم هذه الوكالات شبه الدولية: وكالة الأنباء الإيطالية (ANSA) ووكالة الأنباء البولندية (PAP) ووكالة أنباء ألمانيا (DPA) ووكالة الأنباء الأسبانية (AFE) ووكالة كندا برس (CP) ووكالتا كيودو (Kyodo) وجيجى برس (Giji Press) اليابانيتين.

ولكى ندرك أهمية التطور الذى حققته هذه الوكالات شبه الدولية، فإن وكالة الأنباء الأسبانية مثلاً تقوم بإرسال 190 ألف كلمة يوميًّا، منها 50 ألف كلمة حول الأنباء الدولية تبعث بها إلى 200 صحيفة يومية

ومحطـة إذاعـة وتليفزيـون فى دول أمريكـا اللاتينيـة أمـا وكالـة كنـدا بـرس التـى تمتلكهـا مجموعـة مكونـة مـن 103 صـحف كنديـة، فإنهـا تقـدم خـدماتها لحـوالى 4000 مشـترك، ولهـا مراسـلون فى 13 مدينـة ويعمـل بهـا 675 مراسـلاً غـير متفـرغ، مـنهم 650 مراسـلاً فى جميـع أنحـاء كنـدا و25 مراسـلاً فى الخـارج. ولـدى وكالـة كيـودو اليابانيـة 51 مكتبًـا فى اليابـان و24 مكتبًـا فى الخـارج وتتعامـل مـع 28 وكالـة أنبـاء وطنيـة وتـوزع يوميًـا حـوالى 220 ألـف حـرف باللغـة اليابانيـة و35 ألـف كلمـة بالإنجليزيـة، ولوكالـة جيجـى بـرس اليابانيـة 62 مكتبًـا فى اليابـان و31 مكتبًـا فى الخـارج، وتـوزع يوميًـا 400 ألـف حـرف باليابانيـة و12 ألـف كلمـة للاسـتخدام الصـينى فـيما وراء البحار، و30 ألف كلمة بالإنجليزية للاستخدام المحلى والدولى.

وسعيًا مـن أجـل فرصـة أكـبر فى المنافسـة قامـت وكـالات الأنبـاء الأوربيـة بتأسيس الاتحاد الأوربى لوكالات الأنباء لتعزيز التعاون الفنى فى وسائل الإرسـال، كذلك يوجد تعاون بـين وكـالات المـواد المصـورة Two Association of Photo Agencies.

- 3 -

وكالات الأنباء الوطنية

أدرك العديد من دول العالم الثالث أهمية أن يكون لها وكالات أنباء وطنية لمواجهة سيطرة وكالات الأنباء الدولية الثلاث الكبرى، وقد بدأت هذه الوكالات الوطنية فى الظهور فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية، وذلك نتيجة لاستقلال غالبية الدول التى كانت واقعة تحت الاستعمار الأوربى، وفى الفترة من عام 1945 وحتى عام 1949 ظهرت إلى الوجود 25 وكالة أنباء وطنية، وفى عام 1962 كانت قد ظهرت 23 وكالة أنباء وطنية جديدة فى قارتى آسيا وأفريقيا فقط، ويوجد الآن أكثر من 100 دولة لدى كل منها وكالة أنباء وطنية خاصة بها، ففى أفريقيا توجد الآن 26 وكالة أنباء وفى آسيا توجد 19 وكالة أنباء و11 وكالة فى أمريكا اللاتينية، أما الوطن العربى فقد أصبحت به تسعة عشر وكالة وطنية للأنباء.

ويوما بعد يوم تزداد أهمية بعض الوكالات الوطنية للأنباء، إذ يحتفظ بعضها بمكاتب خاصة به فى الداخل والخارج لاستقاء الأنباء وتوزيعها، وكثير من الوكالات الوطنية لديها شبكة من المراسلين فى الداخل، أما بالنسبة للأخبار الدولية فهى تدفع اشتراكات لاستقبال الأخبار الخارجية وتقديم الأخبار المحلية أو لتبادلها مع وكالتين أو أكثر من وكالات الأنباء الدولية، وبعضها يشترك أيضًا فى خدمات تؤديها وكالات وطنية أصغر سواء من الدول المجاورة أو من دول ترتبط معها بعلاقات وثيقة.

ومن أبرز الوكالات الوطنيـة فى أفريقيـا وكالـة أنبـاء غانـا، وهـى حكوميـة ولديها 9 مكاتب إقليمية و17 مكتبًا محليًّا يتولى العمل بهـا 340 موظفًـا بصـفة دائمة و 380 مراسلاً غير متفرغ، ولديها مكاتب دائمة فى لندن ونيويورك ونـيروبى، أما وكالة أنباء زائير فيعمل بهـا أكـثر مـن 50 مراسـلاً ومحـررًا ولـديها مكتـب فى بروكسل، وتسـتقبل الأنبـاء الخارجيـة مـن وكـالتين عـالميتين ومـن عـدة وكـالات وطنية، أما أقدم وكالة أنباء فى أفريقيا فهى وكالة اتحاد صـحافة جنـوب أفريقيـا للأنباء التى أسست فى عام 1938م.

والحقيقة أن معظم الوكالات فى أفريقيا، تعد كقناة للأخبار الأجنبيـة التـى تستقبلها عادة من إحـدى الوكـالات العالميـة الكـبرى، ولـدى قلـة مـن الوكـالات الأفريقية ترتيبات لتبـادل الأنبـاء، وتعتمـد هـذه الوكـالات بصـفة رئيسـية عـلى الوكالات العالمية بالنسبة للأنباء عن الدول الأفريقية الأخرى.

وفى آسيا وجد عدد من الوكالات الوطنية المهمـة، ففـى الهنـد مـثلاً يوجـد نحو 30 وكالة أنباء محلية، وجميعها ذات ملكية خاصـة ويـتم تشـغيلها بشـكل مسـتقل، وأكبرهـا وكالـة بـرس ترسـت أوف إنـديا The Press Trust of India والتى تأسست عام 1949م لتحل محل وكالـة رويـترز أسوشـيتدبرس أوف إنـديا، والتى هى مؤسسـة تعاونيـة تملكهـا الصـحف الهنديـة وتبيـع خـدماتها المحليـة لوكالة رويترز وتحتفظ بحقوق التوزيع فى الهند لرويترز ووكالة الأنباء الفرنسـية، وفى كثير من دول آسيا ينحصر نشـاط معظـم وكـالات الأنبـاء الوطنيـة فى جمـع وتوزيع الأنباء داخل نطاق الدول التى تنتمى إليها، إلا أن بعـض هـذه الوكـالات يقوم بتوزيع الأنباء المرسلة إليها من الوكالات العالميـة، ومـا زالـت بعـض الـدول الآسيوية تفتقد إلى وجود وكالة أنباء وطنية.

أما فى أمريكـا الجنوبيـة فتوجـد وكالـة للأنبـاء فى البرازيـل ولهـا عـدد مـن المراسلين فى عدد من دول أمريكـا اللاتينيـة وفى أسـبانيا وفى عـدد مـن العواصـم

الكبرى فى العالم، وتوجد وكالات أنباء أقل أهمية فى الأرجنتين وكولومبيا وشيلى وفنزويلا، وتعتمد جميع الوكالات فى أمريكا اللاتينية بالنسبة للأنباء الخارجية على الوكالات الدولية الكبرى التى لديها مكاتب فى معظم الدول وعلى الصحف أو الوكالات الأجنبية الأخرى وخاصة الوكالة الأسبانية.

وفى العالم العربى توجد تسع عشرة وكالة أنباء، إلا أنه يلاحظ أن بعض هذه الوكالات أقرب إلى مكاتب إعلامية تابعة لوزارات الإعلام مباشرة وإنتاجها ضعيف قياسًا بالسيل الكثيف الذى تنتجه وكالات الأنباء الدولية الكبرى، مما يدفع وكالات الأنباء العربية إلى اللجوء إلى خدمات الوكالات الدولية خصوصًا فيما يتعلق بأنباء العالم الخارجى، وحتى فيما يتعلق بالأنباء المحلية ذاتها، فليس من الغريب مثلاً أن تنقل بعض الوكالات العربية عن الوكالات الأجنبية أحداثًا تجرى فى محيطها الجغرافى والثقافى والوطنى، ويفسر هذا الوضع ضعف هياكل وكالات الأنباء العربية البشرية منها والفنية، كذلك ضعف مواردها المالية وميزانياتها وقلة عدد المكاتب التابعة لها، كذلك فإن وجود مكاتب خارجية تابعة لبعض هذه الوكالات لا يعنى فى حد ذاته ضمان تدفق مرضٍ للأنباء، إذ إن هذه المكاتب غالبًا ما تكون مصالح حكومية ملحقة بالسفارات والهيئات الدبلوماسية العربية فى الخارج.

وفى الوقت نفسه، يوجد عدد من الوكالات العربية التى حققت تقدمًا ملحوظًا فى السنوات الأخيرة، ومنها وكالة الأنباء السعودية التى تأسست فى عام 1970م، ويضم جهاز التحرير بها مراسل يعملون داخل المملكة وخارجها، وهناك وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية التى لها عدد من المكاتب فى العالم العربى، ولها مراسلون فى بعض العواصم الدولية المهمة.

إن ضعف وكالات الأنباء الوطنية فى الدول النامية يعود إلى مجموعة

متعددة من الأسباب لعل فى مقدمتها ضعف البنية الاتصالية الأساسية فى أغلب المجتمعات النامية، فكثيرًا ما تكون مرافق الاتصال غير كافية أو بدائية بسبب نقص الموارد المادية أو المهنية، فالصحف صغيرة وقليلة، وشبكات جمع وتوزيع الأنباء المحلية محدودة للغاية، وفى أماكن كثيرة من العالم ليس لوكالات الأنباء الوطنية مراسلون خاصون، فهى تكاد تعتمد اعتمادًا كاملاً على وكالات الأنباء العالمية للحصول على الأنباء الخارجية.

وفى حقيقة الأمر ما زالت وكالات الأنباء الوطنية فى عدد كبير من الدول النامية دون مستوى وكالات الأنباء بمعناها الصحيح، وإنما هى مجرد مكاتب لجمع وتوزيع الأنباء الرسمية وتمارس نوعًا من الحراسة على الأنباء الواردة من الخارج.

- 4 -

مجمعات وكالات الأنباء الوطنية

إن وعى الدول النامية لضعف بنيتها الاتصالية، وسيطرة وكالات الأنباء الدولية الكبرى على حركة تداول الأخبار العالمية، دفعها إلى تأسيس مجمعات لوكالات الأنباء الوطنية بهدف إيجاد تعاون إقليمى لمواجهة الاختلال فى تدفق الأخبار الدولية بين الدول المتقدمة والدول النامية، فتم إنشاء منظمة وكالات الأنباء الآسيوية فى عام 1961م لتطوير وتنمية التعاون الإقليمى وتهدف المنظمة إلى قيام إرسال إذاعى للأنباء بين جميع أعضائها من خلال جاكارتا فى إندونيسيا.

وفى عام 1963م تأسس اتحاد وكالات الأنباء الأفريقية (PANA) ومقرها السنغال وقد أنشئ بقرار من منظمة الوحدة الأفريقية، وفى أمريكا الجنوبية أنشئت وكالة إعلام أمريكا اللاتينية Latin American Information Agency فى عام 1969م ومقرها بيونس إيرس فى الأرجنتين.

وفى عام 1975م أنشأت الدول المتحدثة بالإنجليزية فى منطقة الكاريبى وكالة أنباء دول الكاريبى CANA بمساعدة من برنامج الأمم المتحدة للتنمية واليونسكو.

وفى عام 1975م تم إنشاء مجمع وكالات أنباء الدول غير المنحازة ومقره بلجراد، وشارك فيه عدد من وكالات الأنباء العربية، كذلك لعبت وكالات الأنباء العربية دورًا كبيرًا فى إنشاء اتحاد وكالات الأنباء العربية ووكالة الأنباء الإسلامية ومقرها جدة بالمملكة العربية السعودية.

ومن شأن التوسع فى إقامة وكالات الأنباء الإقليمية وتدعيمها بالإمكانات المادية والبشرية والتكنولوجية أن يحد إلى درجة كبيرة من الاحتكار الذى تمارسه وكالات الأنباء الكبرى على حركة تداول الأنباء الدولية، ولعل ذلك هو الذى دفع لجنة ماكبرايد التى تكونت فى اليونسكو لبحث مشكلات الاتصال أن توصى فى تقريرها المشهور "بأن لوكالات الأنباء الوطنية أهميتها الكبرى فى تحسين قدرة البلاد النامية على نشر الأنباء محليًا ودوليًا، وينبغى حيثما أمكن إنشاء شبكات إقليمية لزيادة تدفق الأنباء وتقديمها لكافة المجموعات اللغوية الكبرى فى المنطقة المعنية، وينبغى لوكالات الأنباء الوطنية أن تشجع نمو الصحف حتى تكون أساسًا ينهض عليه النظام الوطنى لجمع الأنباء ونشرها".

- 5 -

إشكاليات يثيرها الوضع الحالى للوكالات الدولية

إن الوضـع الـراهن لوكـالات الأنبـاء فى العـالم يثـير العديـد مـن القضـايا والإشكاليات والتى يمكن إيجاز أبرزها فى النقاط التالية:

أولاً: لقد تحققت سيطرة التحالف الـثلاثى لوكـالات أنبـاء هافـاس وررويـترز وولف على حركة تداول الأنباء العالمية فى القرن التاسع عشر وفق مبدأ "التـدفق الحـر للأنبـاء"، أمـا السـيطرة الثلاثيـة لوكـالات أنبـاء رويـترز والفرنسـية واسوشيتدبرس، فقد تمت وفق شعار "التـدفق الحـر المسـئول للأنبـاء"، وعنـدما دخلت وكالات الأنباء الوطنية حلبة الميدان أطلقت شعار "التدفق الحر المتـوازن للأنباء"، أما فى السـنوات الأخـيرة فـإن مبـدأ "الحـق فى الاتصـال" يكـاد يكتسـب شرعية دولية لتبنى هيئة اليونسكو له، والمبدأ الأخير يقوم عـلى اعتبـار الحـق فى الاتصال، حقًا طبيعيًا لكافة الشعوب والأفراد، تمامًا مثل الماء والهواء، وهذا المبدأ الجديـد لـه مغـزاه الخـاص بالنسـبة لـدول العـالم الثالـث، فـالاعتراف بـالحق فى الاتصال يعنى التسليم بمطالب الدول النامية فى إقرار تدفق حر ومتوازن وعـادل فى الاتجاهين للمعلومات، أى بين الدول النامية والدول المتقدمة، ذلك أن الوضـع الحالى لوكالات الأنباء الدولية، إنما هو أشبه بلون مـن ألـوان الاسـتعمار الجديـد، وهو يكرس السيطرة الإعلامية من قبل الدول المتقدمة على الدول النامية.

ولكن السؤال الحرج الذى يطرح نفسه بقوة الآن هو:

وكيف يمكن تطبيق مبدأ الحق فى الاتصال، ومعالجة الخلل وعـدم التـوازن فى التدفق الإخبارى ؟ إن استلهام التجربـة الأمريكيـة فى مقاومـة وكـالات الأنبـاء

الأوربية الكبرى، يعنى أن على كل دولة من دول العالم الثالث أن تنتظر حتى تتحول إلى قوة عظمى حتى يمكن لوكالتها الوطنية للأنباء أن تقف ندًا للوكالات الدولية الكبرى...!!

وإذا ما انتظرنا تحقق هذا الحلم اليوتوبى، فكم دولة من العالم الثالث يمكن أن تتحول إلى قوة عظمى!! وكم يا ترى تحتاج من الوقت حتى يتحقق هذا الحلم !!

ونرى أن الحل العملى المتاح لأكثرية الدول النامية، هو أن تسير بخطوات أسرع وأكثر جدية فى طريق التعاون الإقليمى بين الوكالات الوطنية وأن ندعم مجمعات وكالات الأنباء، وأن نقدم لهذه المجمعات ما تقدر عليه من جهد بشرى وإمكانات مادية وفنية، فإن أكثر ما يحز فى النفس أن نرى معظم وسائل الإعلام فى العالم الثالث تتلقى بعدم اهتمام الخدمات الإخبارية والإعلامية التى تقدمها هذه المجمعات وتظل أسيرة الاعتماد شبه الكامل على خدمات وكالات الأنباء الدولية الكبرى، إما بحكم العادة أو بفعل عقد النقص المستحكمة!.

ثانيًا: إن العديد من مراسلى وكالات الأنباء الدولية يقعون فى أسر الصور الجامدة عن الشعوب والمشكلات والأشخاص، وهو الأمر الذى يفقدهم فى كثير من الأحيان إمكانية رؤية الحقائق والانزلاق إلى ترديد المقولات الشائعة مهما كانت مخالفة للواقع، رغم ما تؤدى إليه من تشويه لصورة العديد من الشعوب والحكومات والأفراد، ويورد الصحفى الهندى د.ر. مانكيكار الرئيس السابق لمجمع وكالات أنباء دول عدم الانحياز قصة تشرح الكيفية التى تسيطر بها الصور الجامدة على برقيات الكثيرين من مراسلى وكالات الأنباء الدولية الكبرى فذكر أن المراسلة الأمريكية الراحلة مارجريتا هيجنز بعد وصولها لنيودلهى مباشرة فى زمن حكومة نهرو، عبرت عن رأيها الثابت بأن حكومة نهرو كانت أفسد حكومة فيما بين القاهرة وجاكرتا ! كيف عرفت هذا !؟ حسن، لا بد أنها تعرف، أو ليست مراسلة أجنبية ! لقد مكثت فى هذه البلاد ثمانى وأربعين ساعة، وبعد ذلك اكتشفت أن حكومة الهند فاسدة !.

ويضيف مانكيكار، أن مراسل أجنبى آخر توقف بنيودلهى لمدة يومين وهو فى طريقه إلى بلاده فى إجازة من عمله بجنوب شرق آسيا طلب مقابلة نهرو قبل الموعد الذى حدده بفترة وجيزة، وعندما لم يتمكن نهرو من تنحية مشاغله جانبًا وإلغاء ارتباطاته اليومية ليقابله كان تعليق المراسل: "إن هذا الرجل - نهرو - لا يقدر قيمة ما يفقده بعدم مقابلتى" !

وكتب بعد ذلك تقريرًا لاذعًا عن الأحوال السياسية المتردية فى الهند.

وما زال العالم العربى يعانى من التشويه الذى نتج عن الصورة الجامدة للعرب والمسلمين، والتى تكونت عبر قرون طويلة من الصراع العربى الأوربى منذ الحروب الصليبية مرورًا بعصور الاستعمار الغربى وحتى ظهور حركات التحرير ومقاومة الوجود الصهيونى وارتفاع أسعار البترول، وعلى سبيل المثال، النضال الفلسطينى ضد الصهيونية تصوره بعض وكالات الأنباء الدولية، على أنه إرهاب.

هكذا تقلب وكالات الأنباء الدولية الحقائق، وتقوم بتحريف الأنباء لكى تتلاءم مع الصور الجامدة التى كونتها للشعوب، وهناك صور متعددة لتحريف الأنباء الدولية، من قبل الوكالات الدولية، مثال ذلك أن تحل الأخطاء أو الأكاذيب محل الحقائق الثابتة، أو عندما يضاف تفسير محرف إلى النبأ عن طريق استخدام صفات التحقير أو القوالب الجامدة، وعندما تعطى أحداثًا لا تنطوى على أهمية حقيقية موضعًا بارزًا، وعندما تمزج أمورًا سطحية أو لا صلة لها بالموضوع مع حقائق ذات أهمية فعلية، وعندما تجمع الأنباء من حقائق عشوائية وتقدم كحقيقة متكاملة، أو عندما تجمع الحقائق الجزئية لكى تعطى انطباعًا بأنها الحقيقة كاملة، وعندما تعرض الحقائق مواتية لمصالح معينة، وعندما تعرض الحقائق بطريقة تثير شكوكًا لا أساس لها من الصحة أو مبالغًا فيها بهدف التحكم فى رد الفعل من جانب الأفراد أو حتى جماعات بأكملها أو حكومات، وعند الالتزام بالصمت إزاء حقائق وأحداث يفترض أنها تهم الشعوب.

ونتساءل مع الكثيرين: كيف يمكن معالجة هذا التحريف المتعمد للأنباء الذى يشوه صورة الشعوب ويساعد على زيادة التوتر الدولى ؟ ليس أمام البشرية - واقعيًا - سوى الأمل فى أن يتزايد الإحساس بالمسئولية الدولية، لدى وكالات الأنباء الكبرى أو أن يشكل النقد المستمر لتحريف الأنباء الدولية وإبراز خطورته على السلام الدولى دافعًا لإجراء نقد ذاتى من قبل وكالات الأنباء الكبرى، وأن يدفعها ذلك إلى العمل على تحرى مزيد من الصدق والموضوعية فى تغطية الأحداث الدولية وخاصة ما يتعلق منها بشعوب العالم الثالث.

وسوف يبقى الضغط الأدبى هو الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام البشرية للحد من مخاطر تحريف الأنباء ما دمنا نعيش فى ظل نظام إعلامى دولى يتسم بالاحتكار وعدم المساواة.

ثالثًا: إن التغطية الشاملة للأحداث العالمية التى تقوم به وكالات الأنباء الدولية، وامتداد خدماتها إلى الراديو والتليفزيون إلى جانب الصحف، لم يعد يترك مجالاً كبيرًا أمام مراسلى الصحف والراديو والتليفزيون للانفراد بالأخبار الدولية المهمة، إلا أنه يبقى أمام مراسلى هذه الوسائل الإعلامية المهمة دور كبير فى تغطية ما وراء الخبر من ظروف وملابسات، وإمكان إجراء العديد من المقابلات الحية مع بعض الشخصيات المهمة التى لها علاقة بالحدث، وهذه التغطية الصحفية لا تقل أهمية فى الإعلام الحديث عن تغطية وقائع الحدث نفسه.

ولكن العديد من الصحف ومحطات الراديو والتليفزيون رفضت الاستسلام لهذا الوضع، لأنه يعنى أنها ستصبح عالة على وكالات الأنباء الدولية فى تغطية الأحداث الدولية، كما أن ذلك من شأنه أن يقضى على تميز هذه الوسائل عن بعضها البعض، وأن تصبح نسخًا مكررة إخباريًا لكونها تحصل جميعها على أخبارها الدولية من مصدر واحد وهو وكالات الأنباء الدولية!.

ولعل هذا هو الذى دفع بالعديد من الصحف ومحطات الراديو والتليفزيون أن تحرص على أن يكون لها مكاتب ومراسلون مقيمون فى العواصم الدولية

المهمة، بل إن أهمية وسائل الإعلام وقيمتها أصبحت تقاس اليوم إلى جانب انتشار توزيعها وقوة نفوذها، بما تملك من مكاتب ومراسلين دائمين فى مناطق العالم المتعددة.

وفى دراسة عن مصادر الخبر الصحفى فى الصحف المتقدمة والصحف النامية من خلال مقارنة بين ثلاث صحف بريطانية هى التايمز والجارديان والديلى ميرور وبين ثلاث صحف مصرية هى الأهرام والأخبار والجمهورية، تبين أن الصحف البريطانية الثلاث تعتمد على وكالات الأنباء كمصدر فى 6.5% فقط من أخبارها المحلية والدولية، فى حين تعتمد فى النسبة الباقية على مراسليها المحليين والخارجيين!

وقد اتضح من الدراسة وجود شبكة من المراسلين الدائمين للصحف البريطانية فى أماكن الأحداث الساخنة فى العالم بالإضافة إلى ارتفاع مستوى الأداء الصحفى للمراسلين، وهو الأمر الذى يمكن هذه الصحف فى حالات كثيرة من الانفراد بعدد غير قليل من الأخبار الدولية المهمة التى تسبق بنشرها وكالات الأنباء الدولية، بحيث تضطر هذه الوكالات فى أحيان كثيرة إلى نقل هذه الأخبار المهمة عن الصحف المتقدمة !

وأهمية وجود مراسل خاص للصحيفة فى أماكن الأحداث الدولية، أن هذه الصحيفة تنفرد وحدها بتغطية متميزة وخاصة بها للأحداث الدولية وفى حين تضطر بقية الصحف التى ليس لها مراسلون أن تشترك مع مئات من الصحف الأخرى فى أنحاء متعددة فى العالم فى نشر نفس التغطية التى يقوم بها مراسل وكالات الأنباء للأحداث الدولية !

وقد بينت نفس الدراسة أن نسبة المراسل الخارجى كمصدر للأخبار الدولية فى الصحف المصرية الثلاث لا تزيد عن 9.5% من مجموع الأخبار الدولية التى قامت بنشرها الصحف الثلاث، وهو الأمر الذى يكشف عن ضعف شبكة

المراسلين الخارجيين للصحف المصرية، مما زاد من اعتمادها على وكـالات الأنبـاء الأجنبية.

وكشفت الدراسة أن الأخبار المحليـة المهمـة فى المجتمعـات الناميـة والتـى يمكن أن يكون لها بعد دولى غالبا ما تمنع عن الصـحف الوطنيـة وتمـنح لمراسـل الصحف المتقدمة، فأكثر قادة الدول النامية يحبذون إعطاء التصريحات والأخبار المهمة لمراسل الصحف المتقدمة مفضلينهم عن الصحفيين المحليين، بحيث تنفرد الصحف المتقدمة بنشر أهم أخبـار الـدول الناميـة وعـلى لسـان قادتهـا وتنقلهـا عنهم الصحف الوطنية.

ويلاحظ فى العديد من الدول النامية أنه نادرًا ما يلتقى قـادة هـذه الـدول بمراسلى الصحف المحلية، وكثيراً ما يلتقون بمراسلى الصحف المتقدمة!

رابعًا: إن عمل مراسلى وكالات الأنباء الدولية لا يخلو من مخاطر على حياة المراسل أو حريته، وكثيرًا ما تعرض بعضهم للخطف أو الاعتقال أو الاغتيال، ومن ناحية أخـرى، بعضـهم يـتهم بالتعـاون مـع أجهـزة المخـابرات وينحـرف بمهمتـه الأصلية.

وهكذا يتضح لنا مدى تعقد الوضع الذى يعيش فيه المراسـلون ويمارسـون أعمالهم، فهم ضحايا وجناة فى الوقت نفسه !

وستظل الأخطار التى يواجهونها أثناء ممارستهم لعملهـم قائمـة مـا لم تـزد الثقة فى مصداقيتهم عند الحكومات والأفراد، ولكن هذه المصـداقية رهـن بتغـير أسلوب تغطيتهم الإخبارية للأحداث الدولية، وتغـير أسـلوب التغطيـة الإخباريـة رهن بتغير ظروف عملهم، وتغير ظروف عملهم يرتبط بتعـديل نظـام العمـل فى وكالات الأنباء الدولية، والتعـديل الأخـير يـرتبط بتغـير النظـام الإعلامـى الـدولى القائم على الاحتكار وعدم المساواة!.

وهكـذا نجـد أنفسـنا نـدور فى حلقـة مفرغـة، بحيـث نكتشـف أن لـب الموضـوع، وأصـل المشـكلة هـو سـيطرة نظـام إعلامـى دولى يفتقـد إلى العـدل والتوازن.

مراجع الفصل الثالث

(1)Steinberg. S.H.: Five Hundred Years of Printing. (A pelican Book). Pp. 167-172.

(2)Nott Frand Lather; The News In America. (Harvard University Press) U.S.A. pp. 37-43.

(3)Faster Heill: Communication In History. (The Macmilan Company). New York, 2002, pp. 123-127.

(4) مانكيكار. د.ر: التدفق الحر من جانب واحد، ترجمة فائق فهيم (اليونسكو) ص20-21.

(5) المصدر السابق، ص 14.

(6) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، الاتصال والمجتمع، اليوم وغدا، "اليونسكو" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع" الجزائر، ص 137-138.

(7) اليونسكو: وسائل الاتصال فى العالم (وحدة اليونسكو الإقليمية لوسائل الاتصال للبلاد العربية) القاهرة، ص25-46.

(8) المصدر السابق، ص 37.

(9) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، ص 310-311.

(10) اليونسكو: وسائل الاتصال فى العالم، ص 37-44.

(11)Telivays. Arad Khadion: The Press in the Developing Commrics, (International Organization of Journalists). Prague. Pp. 43-46.

(12)Chalkley. Alan: A Manual of Development Journalism. (Foundation of Asia Publication 2003) pp. 67-72 .

(13) المصمودى مصطفى: النظام الإعلامى الجديد (عالم الفكر) – الكويت – ص 226.

(14) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، ص 528.

(15) مانكيكار. د.ر: التدفق الحر من جانب واحد، ص 51.

(16) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، ص 332.

(17) أبوزيد. فاروق: فن الخبر الصحفى، دراسة مقارنة بين الصحف فى المجتمعات المتقدمة والنامية، الطبعة الرابعة، "عالم الكتب" القاهرة، ص 235-239.

(18)Berger. Meyer: The Story of the New York Times. (Simon and Schauder). New York. 2007, pp. 132-137 .

(19)Hodrencber. John: Foreign Correspondence. The Great Reporters and their times. (Columbia University press). New York 2001, pp. 112-117 .

(20)Kivikura. Ullamija and Varis, Iapio, Approaches to International Communication (Finnish National Commission for Unesco) Helisinki. 2009. pp. 3-6 .

(21)Patterson. Philip Tee: Media Ethcs. Brown Bublishers. U.S.A. 2008, 132-135 .

الفصل الرابع

الإذاعــات الدوليــة

عندما تحقق أول بث إذاعى فى مطلع القرن العشرين، كان ذلك إيذانًا ببدء عصر جديد فى تاريخ الاتصال الإنسانى، وهو عصر الاتصال الإلكترونى، ذلك العصر الذى فتح - ولا يزال - أمام البشرية آفاقًا لم ترتدها من قبل، تمثلت فى العديد من المنجزات الاتصالية مثل التليفزيون والفيديو وماثلاً ذلك من بث مباشر عبر الأقمار الصناعية بالاستعانة بالكمبيوتر وما تمخض عنه من قنوات فضائية وإنترنت.

وكانت البشرية قد مرت قبل ذلك بثلاثة عصور اتصالية، تبدأ بعصر الاتصال الشفهى أو السمعى، ثم عصر الاتصال الخطى، ثم عصر الاتصال الطباعى والذى مثلت الصحافة أبرز منجزاته!

وقد ظل الاتصال الدولى فى العصرين الأولين، الشفهى والخطى محدودًا، ويكاد يقتصر على النخبة السياسية والمثقفة، ولم يتخذ الاتصال طابعه الجماهيرى سواء على المستوى المحلى أو الدولى إلا فى العصر الطباعى، ورغم ذلك فقد ظل الاتصال محصورًا فى النخبة المتعلمة التى تعرف القراءة والكتابة، ومن هنا ندرك أهمية اكتشاف الراديو الذى افتتح العصر الإلكترونى للاتصال، حيث اتخذ الطابع الجماهيرى العام، والذى شمل الجماهير المتعلمة وغير المتعلمة، وتمكن الراديو من اختراق الحدود بين الدول واختزال المسافات بين القارات وأصبح العالم كما يقول مارشال مكلوهن قرية عالمية يعرف كل فرد فيها أخبار الآخر.

ورغم أن التجارب الأولى لنقل الصوت عبر الأثير تعود إلى عام 1890م،

فقد ظلت الخدمة الإذاعية محصورة فى الإطار المحلى حتى نهاية الحرب العالمية الأولى بسنوات، ولم يعرف البعد الدولى للراديو إلا مع بداية العشرينيات عندما اكتشف هواة الراديو خصائص الموجات القصيرة، وأمكن الإرسال من أمريكا إلى أوربا على تردد مائتى متر فى عام 1921م، وفى عام 1923م أمكن الإرسال باستخدام تردد مائة متر.

ولكن هذا لا ينفى وجود إرهاصات للاستخدام الدولى للراديو أثناء الحرب العالمية الأولى، ففى عام 1915م استخدم الراديو التلغرافى فى إرسال تقارير إخبارية يومية من فرنسا وألمانيا ونقلتها الصحف فى أوربا والدول الأخرى، كما استخدم البلاشفة فى روسيا الراديو بعد عام 1917م لشرح أفكارهم وسياستهم للشعوب الأوربية المجاورة، ثم تمكنوا باستخدام الموجات القصيرة بعد ذلك من إنشاء أول إذاعة موجهة إلى الخارج من موسكو وباللغة الإنجليزية، وقد بلغ من تأثير هذه الإذاعة، أنها أثارت فزع إنجلترا، بحيث سارعت إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع روسيا فى عام 1927م. وحتى عام 1930م كانت إذاعة موسكو الموجهة تذيع إلى العالم الخارجى بخمسين لغة ولهجة أجنبية.

ودخلت ألمانيا مجال الاستخدام الدولى للراديو بعد فترة وجيزة من الحكم النازى، حيث وجهت إذاعاتها إلى أوربا وأمريكا الشمالية باللغة الألمانية والإنجليزية ابتداء من عام 1933م، وأنشأت إيطاليا فى ظل الحكم الفاشى إذاعة بارى (BARI) الموجهة باللغة العربية إلى شعوب الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهو الأمر الذى دفع بإنجلترا إلى توجيه إذاعة باللغة العربية من دافنترى فى عام 1938م، وهى أول إذاعة موجهة بلغة أجنبية من بريطانيا.

أما الولايات المتحدة الأمريكية فلم تطرق أبواب الإذاعة الدولية إلا مع بداية الأربعينيات أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أنشأت بعد ذلك إذاعة صوت أمريكا فى أعقاب هذه الحرب.

وبذلك يتضح أن الحرب العالمية الثانية قد ساهمت بدور كبير فى استخدام الراديو على النطاق الدولى، فقبل نشوب الحرب فى عام 1939م لم يكن هناك سوى 25 دولة تبث إذاعاتها للدول الأخرى، فى حين ارتفع هذا العدد إلى 55 دولة عند نهاية الحرب.

ويلاحظ أن نمو الإذاعات الدولية لم يتوقف بعد الحرب، فقد أدى انقسام المجتمع الدولى إلى معسكرين، غربى وشرقى وتزايدت الحرب الباردة بينهما إلى نمو الإذاعات الدولية، كما أن العديد من الدول النامية التى استقلت بعد الحرب دخلت ميدان الإذاعات الدولية، وبذلك ارتفع عدد الدول التى لها إذاعات دولية ليصل إلى 62 دولة فى عام 1950م و77 دولة فى عام 1966م و80 دولة فى عام 1979م و90 دولة فى عام 1988م.

وقد زادت محطات إرسال الإذاعات الدولية خلال ربع القرن الماضى خمسة أضعاف، ففى عام 1950م كانت توجد 385 محطة إرسال بالموجة القصيرة فى العالم، وقد وصل عددها اليوم إلى ما يزيد عن 1500 محطة وزاد مجموع قوتها بنفس النسبة.

وتبث الولايات المتحدة أكبر عدد من ساعات الإرسال الخارجى، حيث تبث 1900 ساعة أسبوعيًا، وتأتى الصين فى المرتبة الثانية حيث تبث 1500 ساعة، ثم تليها إنجلترا 700 ساعة فى الأسبوع، وهناك 26 دولة تذيع بأكثر من 100 ساعة فى الأسبوع. ويقدر عدد أجهزة الاستقبال فى العالم بنحو ألف مليون جهاز، أى بمتوسط جهاز استقبال لكل ستة أشخاص فى العالم.

ويكاد يكون بوسع كل الدول اليوم أن تنتج برامج إذاعية خاصة بها تتفق مع احتياجاتها السياسية والاجتماعية، وتعبر عن ذاتيتها الثقافية وتعكس سياستها الخارجية.

- 1 -.

مفهوم الإذاعة الدولية ووظيفتها

إن الإذاعة الدولية لا تقتصر فقط على الإذاعات الموجهة التى تبثها الدولة إلى شعوب غيرها من الدول، إذ يمتد مفهوم الإذاعة الدولية ليشمل أنماطًا أخرى من البث الإذاعى، فهناك تبادل البرامج الإذاعية المسجلة بين دولتين أو أكثر بموجب اتفاقات تعقد بينهما أو داخل بروتوكولات التبادل الثقافى التى تبرمها الدول مع بعضها، وهناك إعادة بث البرامج على موجات الدولة المستقبلة، وهناك إذاعات قراصنة الأثير Pirate stations غير المصرح بها والتى تبث برامجها من خارج حدود الدولة المستهدفة، وهناك الإذاعات التى توجهها بعض الدول إلى قواتها المسلحة المرابطة فى الدول الأخرى كالإذاعات التى توجهها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إلى قواتهما فى ألمانيا، وهناك الإذاعة التى تبثها هيئة الأمم المتحدة بأكثر من 28 لغة لجميع أنحاء العالم، كذلك يمكن اعتبار الإذاعات الوطنية القوية التى تتمكن من تخطى الحدود لنصل إلى مواطنى الدول المجاورة لونًا من الإذاعات الدولية.

ويدخل فى نطاق الإذاعات الدولية أيضًا الإذاعات الدينية التى تبثها بعض الدول أو المنظمات الدولية أو الجمعيات الأهلية إلى العديد من مناطق العالم.

وأغلب الإذاعات الدولية تخضع للإشراف الحكومى المباشر حتى فى الدول التى تأخذ بالنظام التجارى فى إذاعاتها الوطنية، وذلك بسبب أهميتها كأداة من

أدوات السياسة الخارجية للدولة، فضلاً عن وجود أسباب فنية تجعل من تـدخل الحكومات أمرًا ضروريًا لتوزيع الموجات الهوائية.

ولكـن هـذا لا ينفـى وجـود إذاعـات دوليـة تجاريـة، يقـوم تمويلهـا عـلى الإعلانات مثل إذاعة لكسـمبورج وإذاعـة مونـاكو، كـذلك فـإن بعـض الإذاعـات الدولية الدينية تقوم بالإشراف عليهـا مـنظمات دوليـة دينيـة مثـل إذاعـة نـداء الإسلام التى تبث من مكة المكرمة وإذاعة الإنجيل التى تبث من أديس أبابا.

ومن المهم أن نشير إلى أن عنصر اللغة لا يشكل عائقًا يحـول دون إكسـاب الإذاعة طابعها الدولى، كما هو الشأن فى الصحافة، ذلك أن البـث الإذاعـى يمكـن توجيهه بلغة الشعب أو الشعوب المستهدفة، بل ببعض الـلـهجات المحلية أيضًا، وهناك دول تبث برامجها الموجهة بأكثر من خمسين لغة ولهجة دولية.

وتوجد أسباب مختلفة تدفع الحكومات إلى إنشاء الإذاعات الدوليـة، أولهـا الإبقاء على صلات مستمرة مع مواطنيهـا عـبر البحـار وتزويـدهم بأنبـاء الـوطن والاحتفـاظ معهـم بعلاقـات ثقافيـة، والثـانى تقـديم تغطيـة إخباريـة منتظمـة للأحداث الوطنية والدولية كخدمة لهؤلاء الذين قد لا تصلهم ما تعتـبره الإذاعـة المرسـلة أنبـاء موضـوعية، والثالـث تقـديم صـورة عـلى الصـعيد الـدولى للحيـاة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدولة بما يدعم من اهتمام المسـتمع وتفهمـه لإنجازاتهـا الحضـارية، الرابـع نشر السياسـات الوطنيـة ومواقـف الدولـة بـإزاء الأحداث الجارية والشئون الدولية.

وفى دراسة قدمها ب. بامباس إلى اللجنة الدولية لدراسـة مشـكلات الاتصـال، حدد الدوافع التالية لتقديم برامج على مرافق إذاعية دولية: تعزيز المصالح الوطنية والمكانـة القوميـة والاحتفـاظ بعلاقـات مـع المـواطنين فى الخـارج، ودعـم التفـاهم والموضوعية والترويج لعقيدة أو مذهب معين، ودعم الثقافة القوميـة بمـا فى ذلـك

تعليم اللغة والاحتفاظ بمكان على الخريطة الإذاعية لاحتمال الحاجة إليها فى المستقبل.

وهكذا يتبين أن الإذاعة الدولية - كغيرها من وسائل الإعلام الدولية - يمكن أن تؤدى أدوارًا مهمة على صعيد نشر الأخبار العالمية وتفسيرها، والتوعية والتثقيف وتنوير الرأى العام العالمى بالأحداث الدولية، والتعريف بحضارات وثقافات الشعوب، كذلك يفترض أن تقوم الإذاعات الدولية بدور بارز فى تعزيز الوفاق الدولى والتفاهم بين الشعوب.

ولكن البون شاسع بين ما يمكن أن تؤديه الإذاعات الدولية من مهام، وبين ما هو حادث بالفعل.

فالإذاعات الدولية - فى واقع الأمر - ليست سوى أداة من أدوات السياسة الخارجية للدولة، ووسيلة لتعزيز نفوذها السياسى وتدعيم مكانتها الدولية وبخاصة فى ظل الظروف التى عاصرت اكتشاف الراديو الدولى وتطوره، ابتداء من الحرب العالمية الأولى ومرورًا بالتوتر الدولى الذى تلا هذه الحرب واستمر حتى نشوب الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من ظهور الحرب الباردة بين الكتلتين الغربية والشرقية وقد ساهمت هذه العوامل كلها فى تحويل الإذاعات الدولية إلى سلاح فعال فى الدعاية السياسية والأيديولوجية وأداة فى تحقيق أهداف الحرب النفسية بين الدول، وهو الأمر الذى أعاق فى معظم الأحيان دون قيام الإذاعات الدولية بدورها كأداة للتفاهم الدولى.

- 2 -

سيطرة الدول الكبرى على الإذاعات الدولية

رغم أن بعض الدول النامية تبث اليوم عددًا لا بأس به من الإذاعات وبساعات غير قليلة، إلا أن السيطرة ما زالت معقودة للدول الكبرى على عشرات الملايين من المستمعين للإذاعات الدولية، وذلك بفضل ما تملكه إذاعات الدول الكبرى الدولية من إمكانات تكنولوجية متقدمة، فضلاً عما يتوافر لديها من إمكانات مادية وبشرية وما تستخدمه من أساليب فنية وسيكولوجية متطورة فى جذب أكبر عدد من المستمعين.

إن راديو موسكو مثلاً كان يوجه حتى بداية التسعينيات من القرن الماضى وقبل انهيار الاتحاد السوفيتى إذاعات للدول الأجنبية فى جميع أنحاء العالم بحوالى 1500 ساعة فى الأسبوع وبأكثر من ستين لغة ولهجة مختلفة منها الإنجليزية والألمانية والفرنسية والأسبانية والإيطالية وبعض اللغات الأخرى كالسويدية والتشيكية والبرتغالية والفارسية والعربية.

وكانت هناك عشر جمهوريات سوفيتية أخرى تبث إلى الخارج حوالى 210 ساعات فى الأسبوع وبعشرين لغة مختلفة، كما تذيع محطة سوفيتية أخرى وهى إذاعة السلام والتقدم Peace and progress حوالى 200 ساعة أسبوعيًا بأربع عشرة لغة لجميع مناطق العالم ما عدا أمريكا الشمالية.

ووصل مجموع الساعات التى يبثها الاتحاد السوفيتى السابق إلى الخارج

حوالى 2010 ساعات فى الأسبوع وبأكثر من ثمانين لغة ولهجة مختلفة ولمختلف أنحاء العالم، وبذلك كان يحتل المرتبة الأولى فى الإذاعات الدولية الموجهة.

وتاريخيًّا فقد اكتسبت الإذاعات الدولية السوفيتية خبرات كبيرة فى مجال الدعاية السياسية والأيديولوجية، وخصوصًا أثناء فترة الحرب الباردة، وقد لعبت هذه الإذاعات دورًا كبيرًا فى شرح السياسة الخارجية السوفيتية، كما كان ينظر إليها باعتبارها أداة فعالة فى الدفاع عن النظام السياسى والاجتماعى السوفيتى وإبراز منجزاته، وكسلاح فى الصراع الأيديولوجى ضد النظام الليبرالى من ناحية والأنظمة الاشتراكية التى تتبنى خطًّا مخالفًا لموسكو من ناحية ثانية، وقد انهار ذلك كله بانهيار الاتحاد السوفيتى.

ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية قد دخلت مجال الإذاعات الدولية متأخرة، إلى ما بعد الهجوم على بيرل هاربر عام 1942م، إلا أنها احتلت المركز الثانى فى مجال الإذاعات الدولية، حيث كانت تبث حوالى 1900 ساعة أسبوعيًّا لمختلف دول العالم، ومن أهم الإذاعات الخارجية الأمريكية إذاعة صوت أمريكا Voice of America وتدبرها إدارة الخدمات الإعلامية الأمريكية USIS وهى إدارة حكومية، وتخدمها 113 محطة إرسال فى الولايات المتحدة وخارجها، تبلغ قوتها 22.3 مليون وات، وتذيع 779 ساعة أسبوعيًّا بخمس وثلاثين لغة على موجات متوسطة وقصيرة، وبالإضافة إلى ذلك فإن البرامج التى ينتجها صوت أمريكا وتلك التى تنتجها هيئة الخدمات الإعلامية خارج الولايات المتحدة تذاع بواسطة العديد من المحطات المحلية فى دول أخرى، ويقدر متوسط عدد المستمعين البالغين لإذاعة صوت أمريكا بأكثر من خمسين مليونًا فى الأسبوع.

أما الإذاعات الدولية الموجهة إلى أوربا وأمريكا الجنوبية والوسطى فتتولى إدارتها شركة خاصة وهى راديو نيويورك لجميع أنحاء العالم Radio

Newyork world wide وهـى تـذيع بـاللغتين الإنجليزيـة والأسـبانية. وهنـاك محطة الإذاعة الدولية KGEL وهى تبث من كاليفورنيا برامج دينية إلى أمريكـا الجنوبيـة وآسـيا، وتـذيع باللغـات الإنجليزيـة والأسـبانية والبرتغاليـة والألمانيـة والروسية، وتمتلـك محطـات للتقويـة فى الفلبـين وأوكينـاوا باليابـان وإندونيسـيا، وهى إذاعة تجاريـة وإن كانـت تحصـل عـلى بعـض المسـاعدات مـن الحكومـة الأمريكية.

وتوجد أيضًا إذاعـة أمريكـا فى بـرلين RIAS التـى أنشـئت فى عـام 1946م، والتى تبث إرسـالها لمـدة 24 سـاعة يوميًـا، وكانـت موجهـة إلى ألمانيـا الشرقيـة، بالإضافة إلى راديو أوربـا الحـرة Redio Free Europe والـذى كـان يعمـل مـن ميونيخ بألمانيا الغربية وتديره اللجنة الوطنية لأوربا الحرة التـى أنشـئت فى عـام 1949م، وكـان يوجـه برامجـه إلى دول شرق أوربـا، وهنـاك أيضًـا راديـو الحريـة Radio Liberty وكان يبث برامجـه مـن ميـونيخ بألمانيـا الغربيـة أيضًـا، ويركـز برامجه على شرح الأحداث التى تقع فى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربـا مـن وجهة نظـر غربيـة، ويـذيع بــ 17 لغـة مـن اللغـات المسـتخدمة فى شرق أوربـا والاتحاد السوفيتى وللولايات المتحـدة إذاعـة القـوات المسـلحة الأمريكيـة التـى توجه برامجها للجنود الأمريكيين فى ألمانيا، وتبث أخيرًا إذاعة موجهة إلى الجنـود الأمريكيين فى الخليج.

ورغم إصرار عدد من المسئولين الأمريكيين على القول بأن الإذاعـات الدوليـة الأمريكية تؤدى دورها بوصفها صحافة حرة مسـتقلة، فـإن كـل الـدلائل تشـير إلى استخدام هـذه الإذاعـات كـأداة للدعايـة السياسـية، ويقـول "هربـرت شـيللر" إن إذاعة صوت أمريكا مثلاً لا تسعى إلا لشىء واحد، وهو أن تضع الوقائع والأحداث الدولية فى صورة تخدم المصالح الأمريكية عنـد الجمهـور الأجنبـى، ويؤكـد "إريـك بارنو" أنه حينما يقع أى تغيير سياسى أو اجتماعى أو يتوقـع حدوثـه فى أى مكـان بالعـالم، تنهمـك أجهـزة الإرسـال الإذاعـى الأمريكيـة فى تـدعيم ومنـاصرة الصـيغ

السياسية والاجتماعية الملائمة للمصالح الأمريكية، وفى الوقت نفسه تقوم بـنشر الشكوك حول الصيغ المعادية للمصالح الأمريكية، وفى كل الحـالات، فهـى تمجـد نظام التملـك الاسـتهلاكى والتعدديـة السياسـية وأسـلوب الحيـاة فى المجتمعـات الغربية بشكل عام وفى المجتمع الأمريكى بشكل خاص.

ويتردد اليوم تفسير يرجـع انهيـار دول شرق أوربـا والاتحـاد السـوفيتى إلى الطفرة التى حـدثت فى وسـائل الاتصـال والإعـلام، وتعتـبر تلـك الطفـرة المحـرك الأساسى فى إسقاط الحواجز بين شرق وغرب أوربا وهدم الستار الحديـدى الـذى فرض على أوربا الشرقية، ولا يستطيع أحد أن ينكر الدور الذى أدته إذاعة صوت أمريكا، وراديو أوربا الحرة، وراديو الحريـة فى دفـع شـعوب شرق أوربـا وبعـض الجمهوريات السوفيتية إلى التطلع لمحاكاة الأسـلوب الغـربى فى الحيـاة، وبانهيـار الامبراطورية الإعلاميـة للاتحـاد السـوفيتى احتلـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة المرتبة الأولى فى بث الإذاعات الدولية.

وتحتل الصين المركـز الثـانى اليـوم فى حجـم الإذاعـات الدوليـة، فهـى تبـث 1500 ساعة فى الأسـبوع إلى مختلـف دول العـالم، وتسـتخدم فى بعـض الحـالات الموجات المتوسطة للوصـول إلى عـدد كبـير مـن المسـتمعين فى الهنـد وباكسـتان وسيلان والدول الآسيوية الأخرى القريبة منها، فى حين تستخدم الموجـة القصـيرة فى برامجها الموجهة إلى الدول الأخرى فى أوربا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية.

وتبـث الصـين إذاعاتهـا الموجهـة إلى أوربـا والشرق الأوسـط، وهـى تبـث برامجهـا إلى أوربـا بخمـس لغـات، الإنجليزيـة والفرنسـية والألمانيـة والأسـبانية والإيطالية بالإضافة إلى عدد من اللغات الموجودة فى دول شرق أوربا وروسيا، أما برامجها للشرق الأوسط فهى تقدم باللغات العربية والتركية والفارسية.

وتركز الصين فى إذاعتها الدولية على أخبار الدول النامية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية، وقد ظلت الإذاعات الصينية الموجهة ولفترة طويلة توجه انتقاداتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الغربية. وفى السنوات الأخيرة خففت الصين من حدة لهجتها المعادية للغرب بعد التحسن النسبى لعلاقاتها الدولية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وفى إنجلترا فإن هيئة الإذاعة البريطانية BBC المستقلة ذاتيًا مسئولة عن الخدمات الإذاعية الخارجية ويتم تمويلها عن طريق منحة سنوية يحددها البرلمان، وبعد أن كانت الإذاعة الدولية لإنجلترا تحتل المركز الثانى بين الإذاعات الدولية عقب الحرب العالمية الثانية فقد تراجعت اليوم إلى المركز الثالث وهى تذيع أكثر من 700 ساعة أسبوعيًا وبأربعين لغة مختلفة إلى كافة أنحاء العالم وتستخدم شبكة مكونة من 70 محطة إرسال معظمها للموجات المتوسطة ومنها 44 محطة داخل إنجلترا والباقى يتناثر فى بقية أنحاء العالم.

ويفيد استقصاء بالعينة أجرته هيئة الإذاعة البريطانية فى السنوات الأخيرة أن برامجها تستمع إليها بانتظام فئات مختلفة من المستمعين البالغين يصل إلى 30% فى عدد غير قليل من الدول وتقدر هيئة الإذاعة البريطانية عدد البالغين الذين يستمعون بانتظام لبرامج الإذاعات الخارجية البريطانية مرة فى الأسبوع أو أكثر بنحو 75 مليون شخص بينما يصل عدد البالغين الذين يستمعون بنسبة أقل إلى نحو 130 مليون مستمع.

- 3 -

الإذاعات الدولية فى الدول النامية

إن الراديو فى المجتمعات النامية يعد وسيلة الإعلام الوحيدة التى يصدق عليها وصف الجماهيرية إذ يمكن عن طريق الراديو وحده الوصول إلى أكبر نسبة من السكان الذين يملكون وسائل استقباله فى حين لا يصدق هذا الوصف على الصحافة مثلاً لانتشار الأمية أو على التليفزيون لعدم توافر استقباله بنفس درجة الراديو بسبب الفقر الذى يعانى منه العديد من الشعوب النامية وخاصة فى معظم دول أفريقيا وفى العديد من دول آسيا وكذلك فى العديد من دول أمريكا اللاتينية وسوف نلاحظ حرص العديد من الدول النامية على بث خدمات إذاعية موجهة للخارج لذلك فإن نحو نصف دول القارة الأفريقية يقوم بتوجيه إذاعات إلى مناطق خارج حدوده الوطنية ونجد نفس النسبة تقريبًا فى أمريكا اللاتينية أما فى آسيا فإن جميع الدول تقريبًا تبث إذاعات خارجية يوجه معظمها للدول المجاورة.

ويلاحظ أن نسبة قليلة من إذاعات الدول النامية الخارجية توجه إلى شعوب الدول الصناعية المتقدمة فى أوربا والولايات المتحدة وإن حرصت هذه الإذاعات على تقديم برامجها الموجهة باللغات الإنجليزية والفرنسية لانتشار هذه اللغات بين العديد من شعوب العالم الثالث بفعل المواريث الاستعمارية وهذا بالطبع بجانب اللغات الوطنية للشعوب التى توجه إليها تلك الإذاعات بالإضافة إلى تقديم برامج ببعض اللهجات المحلية.

وقد توسعت بعض الدول النامية فى استخدام الإذاعة الدولية وخاصة تلك الدول التى تؤهلها ظروفها السياسية أو موقعها الجغرافى أو كثافتها البشرية إلى القيام بدور قيادى فى المنطقة التى توجد بها ففى أمريكا اللاتينية مثلاً تبث كوبا إذاعات موجهة إلى كافة دول الأمريكتين بثلاث عشرة لغة ولأكثر من 300 ساعة فى الأسبوع وفى أفريقيا توجه دولة جنوب أفريقيا برامج خاصة تصل إلى 180 ساعة فى الأسبوع وبتسع لغات إلى 23 منطقة فى أفريقيا والشرق الأوسط وبعضها يوجه إلى أوربا وأستراليا ونيوزيلندا وتخاطب الإذاعة المصرية شعوب العالم باثنتين وثلاثين لغة، من خلال ثلاثة وأربعين خدمة موجهة على امتداد 56 ساعة و45 دقيقة يوميًا.

وفى آسيا توجه كوريا إذاعات موجهة إلى كافة أنحاء آسيا من خلال ثلاث شبكات تجارية ومحطة حكومية وهى تذيع بست عشرة لغة ولمدة تصل إلى 500 ساعة فى الأسبوع.

ومن المهم أن نشير إلى أن الإذاعات الدولية للدول النامية لا يصلح لتقييم دورها أو تأثيرها حجم ساعات الإرسال وحده فرغم زيادة عدد ساعات الإرسال لبعض هذه الإذاعات إلا أنه غالبًا ما تنقصها الإمكانات المادية والبشرية والوسائل التكنولوجية الحديثة التى تتوافر للدول الصناعية المتقدمة فضلاً عن تخلف بعض هذه الإذاعات فى مجال استخدام أساليب الإقناع وجذب المستمعين وكذلك ضعف مصادرها فى مجال التغطية الإخبارية للأحداث الدولية.

ويلاحظ أن معظم البرامج الإذاعية الموجهة للدول النامية يغلب عليها الطابع الدعائى المباشر ولا يتوافر لدينا حتى الآن مصدر علمى موثوق به لحجم المستمعين إلى هذه الإذاعات ولا مدى تأثيرها وإن كان هذا لا يمنعنا من القول بأن بعض هذه الإذاعات قد لعب دورًا ملموسًا فى بعض الفترات كما هو الشأن بالنسبة

لإذاعة صوت العرب المصرية خلال الخمسـينيات والسـتينيات ودورهـا الملحـوظ فى إيقاظ الشعور القومى ضد الاستعمار الأجنبى فى العالم العربى وفى العديد مـن شعوب أفريقيا وآسيا.

وللمملكة العربية السعودية برامج إذاعية دولية توظف فى خدمة الـدعوة الإسلامية وكانت بداية الإذاعة الدولية السعودية باللغات الإندونيسية والأورديـة فى عـام 1369هــ نظـرًا لكـثرة الحجـاج الـذين يتكلمـون بهـاتين اللغتـين وقتئـذ وللمملكة الآن بـرامج موجهـة تصـل إلى 32 سـاعة بـاثنتى عشرة لغـة، ويغطـى إرسالها أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وقارتى آسيا وأفريقيا.

- 4 -

الإذاعات الدينية الدولية

تحتل الإذاعات الدينية وخاصة التبشيرية موقعًا مهمًّا بين الإذاعات الدولية فإن العديد من الدول الغربية المسيحية وبعض المنظمات والهيئات الدولية المسيحية أدركت منذ فترة مبكرة من اكتشاف إمكانات الموجات القصيرة فى البث الدولى أهمية الإذاعات الدولية فى تحقيق الأهداف التبشيرية فقامت بإنشاء العديد من الخدمات الإذاعية الدولية الدينية ووجهتها إلى شعوب المجتمعات النامية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وفى البداية استندت الحكومات الغربية فى إنجاح رسالة هذه الإذاعات على نفوذها الاستعمارى فى المجتمعات النامية، ثم استغلت بعد ذلك حاجة هذه المجتمعات إلى المساعدات الاقتصادية والفنية بعد الاستقلال فقامت بها العديد من محطات الإرسال والتقوية بحيث صارت برامج الإذاعات التبشيرية تصل إلى شعوب هذه المجتمعات بأوضح مما تصل به برامجها الوطنية.

ولكى ندرك حجم هذه الإذاعات التبشيرية يكفى أن نعلم أن الولايات المتحدة مثلاً تبث من كاليفورنيا برامج دينية ومسيحية من محطة الإذاعة الدولية KGEL لمدة تزيد عن 300 ساعة فى الأسبوع، وتذيع باللغات الإنجليزية والأسبانية والبرتغالية والألمانية والروسية وتمتلك هذه الإذاعة التبشيرية محطات للتقوية فى الفلبين وأوكيناوا باليابان وغيرها مما يجعل برامجها تصل إلى مختلف مناطق العالم. وفى موناكو يوجد راديو جميع أنحاء العالم trans world radio الذى تموله هيئة مسيحية ويبث برامج تبشيرية بخمس وثلاثين لغة إلى كافة مناطق

العالم. وفى الفلبين توجد 25 محطة دينية مسيحية تبث برامجها إلى قارة آسيا وتشمل هذه المحطات شركة الشرق الأقصى التى تبث برامج دينية مسيحية لسبع مناطق فى آسيا والباسفيكى والاتحاد السوفيتى بست وأربعين لغة!

وفى الأكوادور بأمريكا اللاتينية توجد شبكة لافوز دى لوس اندى Lavoz de Ios Andes وتتولى إدارتها "الجماعة التبشيرية العالمية للراديو" وهى هيئة أسستها الولايات المتحدة، وتعتبر من أقوى الشبكات الإذاعية فى أمريكا اللاتينية وتبث برامج مسيحية إلى الأكوادور لمدة 20 ساعة يوميًا، تبث برامج دينية دولية إلى جميع أنحاء العالم بعديد من اللغات بمعدل إرسال يبلغ 60 ساعة فى اليوم.

وفى العديد من دول أمريكا اللاتينية توجد محطات إذاعية يشرف على إدارتها بعثات تبشيرية مسيحية.

وفى قارة أفريقيا يقوم اتحاد لوثر العالمى Luthern world federation بتشغيل راديو صوت الإنجيل من إديس أبابا ويبث إرساله لمدة 180 ساعة فى الأسبوع بثلاث عشرة لغة ويوجه برامجه لمناطق فى غرب وجنوب إفريقيا والشرق الأوسط ويذيع أيضًا برامج محلية على الموجه المتوسطة.

وفى ليبيريا توجد محطة غير تجارية ELWA تتولى إدارتها هيئة مسيحية وتقدم خدمات محلية باللغتين الإنجليزية والليبرية على مدى 280 ساعة فى الأسبوع، كما تقدم برامج تبشيرية موجهة لكل أنحاء أفريقيا بخمس وثلاثين لغة.

وفى أنجولا توجد محطة تقدم خدمة دينية مسيحية تذيع بست لهجات محلية وفى موزمبيق يتولى الرهبان الفرنسيسكان إدارة خدمة إذاعية باللغة البرتغالية وباللهجات المحلية.

ولقد أدركت الدول الإسلامية مؤخرًا أهمية الإذاعات الدولية فى مجال الدعوة الإسلامية فقامت مصر بإنشاء إذاعة القرآن الكريم التى أصبح إرسالها

يغطى دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط وجنوب أوربا وتـذاع عـلى 15 موجـة متوسط وقصيرة وتوجه على تشكيل ترددى (إف. إم) وقد بلغت ساعات إرسالها إلى 20 ساعة فى اليوم ويتـوزع إرسـالها عـلى القـرآن الكـريم والآذان والأحاديـث والفتاوى والبرامج الخاصة والابتهالات والتواشيح والتعليم الدينى.

وبدأت المملكة العربية السعودية إرسال إذاعة باسـم "صـوت الإسـلام" فى عام 1963م بهدف خدمة الدعوة الإسلامية وتعميق المفاهيم الإسلامية والتصدى لكل الدعاوى المضادة ومقاومة الغزو الفكـرى، ثـم تطـورت هـذه الإذاعـة التـى تبث إرسالها من مكة المكرمة وزيدت ساعات الإرسال إلى ثلاثة أضعافها فوصلت إلى أكثر من أربـع سـاعات يوميًّا موزعـة عـلى فترتـين مسـائيتين تعمـل فى شـهر رمضان حتى صلاة الفجر بالإضـافة إلى الفـترة الصـباحية أيـام الجمعـة مـن كـل أسبوع وفى عام 1390هـ استبدل مسمى الإذاعـة مـن "صـوت الإسـلام مـن مكـة المكرمة" إلى "إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة" ويصـل إرسـالها الآن إلى كافـة أنحاء العالم.

وتبث المملكـة العربيـة السـعودية أيضًـا إذاعـة القـرآن الكـريم مـن مكـة المكرمة، والتى ارتبطت عند بدايتها فى عام 1392هـ بإذاعة نداء الإسـلام، وكانـت تبث إرسالها يوميًّا لمدت ست سـاعات بـين الصـباح والمسـاء، وفى عـام 1398هــ أصـبحت إذاعـة مسـتقلة تقـوم بإذاعـة القـرآن الكـريم بالإضـافة إلى الأحـدايث والبرامج الدينيـة المتصـلة بأحكـام القـرآن وعلومـه، وارتفعـت سـاعات الإرسـال الإذاعى إلى ست عشرة سـاعة يوميًّا موزعـة مناصـفة بـين الصـباح والمسـاء، ثـم زيدت فى عام 1400هـ إلى ثمانى عشرة سـاعة مسـتمرة دون توقـف مـن السـاعة السادسة صباحًا وحتى الثانية عشرة مساء.

- 5 -

مشكلات الإذاعة الدولية

لقد واجهت الإذاعات الدولية العديد من المشكلات السياسية والتقنية واللغوية والثقافية منذ ظهورها عقب اكتشاف إمكانات الموجات القصيرة فى البث الإذاعى الدولى، وقد تغلبت الإذاعات الدولية على بعض هذه المشكلات بمرور الوقت وبفعل التطور التكنولوجى الهائل الذى شمل كافة وسائل الاتصال، إلا أن بعض هذه المشكلات لا يزال قائمًا بدون حل حتى اليوم، وإن خفت حدتها عن الوضع الذى كانت عليه فى السنوات الأولى من عمر الإذاعة الدولية، ويمكن أن نوجز أهم هذه المشكلات فى ثلاث... وهى:

أولا: رغم التقدم الكبير فى تكنولوجيا الاتصال الإذاعى فإن المستمع إلى الإذاعات الدولية لا يزال يواجه مشكلات تقنية قد يصعب التغلب عليها فى بعض الأحيان، وهو ما قد يصرف المستمع عن متابعة هذه الإذاعات، فالموجات القصيرة، وهى الأكثر استخدامًا فى الإذاعات الدولية، غالبًا ما يكون استقبالها ضعيفًا وغير واضح بسبب تعرضها للتضاؤل التدريجى للصوت Fading كما أن تلك الموجات القصيرة معرضة للتأثر بالأحوال الجوية وخاصة الظواهر الجوية الكهربائية Atmospherics والتى قد تحدث كثيرًا من التشويش على أجهزة الاستقبال، كما أن الاستقبال الإذاعى على هذه الموجات القصيرة يتطلب نوعًا خاصًا من الهوائيات قد لا يتمكن

المستمع العادى من الحصول عليه أو تصنيعه، وحتى لو فرض توافر هذا الهوائى فالاستماع إلى الإذاعات الدولية عامة يتطلب الكثير من الصبر والأناة والوقت الذى لا يتوافر إلا لأولئك الذين لديهم دافع قوى لمتابعة هذه الإذاعات.

ثانيًا: لقد عانت الإذاعات الدولية من التشويش المتبادل من جانب العديد من الدول، وغالبًا ما يتم التشويش عن طريق بث إشارة أو رسالة صوتية بغرض اعتراض إرسال الإذاعة الدولية المقصودة، وتذاع على نفس الموجة المراد التشويش عليها لمنع وصولها إلى المستمعين، وقد انتشر التشويش الإذاعى قبيل الحرب العالمية الثانية، ثم ازداد بعدها خلال فترة الحرب الباردة، وقامت الولايات المتحدة ودول غرب أوربا بالتشويش على إذاعات موسكو الموجهة إلى الدول الغربية، وفى المقابل قامت موسكو بالتشويش على إذاعة الـ بى بى سى وإذاعة صوت أمريكا وإذاعة راديو أوربا الحرة وراديو الحرية، ثم دخلت دول أخرى مجال التشويش الإذاعى فقامت إسرائيل وبعض الدول الغربية بالتشويش على إذاعات القاهرة الموجهة طوال الخمسينيات والستينيات، كذلك قامت مصر بالتشويش على إذاعة إسرائيل الموجهة باللغة العربية.

وقد ابتكرت الدول العديد من الطرق للتحايل على التشويش الإذاعى، مثال ذلك أن تبث الدولة المرسلة إذاعتها الموجهة من محطات إرسال ذات قوة عالية تشيد على حدود الدولة المستهدفة بحيث يمكن للإرسال الإذاعى أن يصل إلى هدفه بسهولة، ومن هذه الطرق أيضًا بث الرسالة الموجهة على تردد قريب جدًّا من التردد الذى تذيع عليه الدول المستهدفة بحيث لا تجرؤ الأخيرة على التشويش على هذه الموجة خوفًا من إغراق إذاعتها، وتسمى هذه العملية الهندسية بالالتصاق أو الاحتضان Cudding.

ويلاحظ أن التشويش الإذاعى قد قل استخدامه فى السنوات الأخيرة بدرجة كبيرة، ولذلك عدة أسباب فى مقـدمتها زوال العديـد مـن أسـباب التـوتر الـدولى واختفاء الحرب الباردة. بالإضافة إلى ارتفاع تكلفة التشويش الإذاعى والـذى قـد يصل فى بعض الأحيان إلى ما يوازى تكلفة الإذاعة الدولية ذاتها.

ثالثًا: لقد أدى تكالب الـدول عـلى بـث الإذاعـات الدوليـة بـدون مراعـاة حقـوق الـدول الأخـرى إلى حـدوث فـوضى البـث الإذاعـى نتيجـة التـداخل بـين موجات الإرسال، وهو الأمر الذى أدى إلى إدراك المجتمـع الـدولى ضرورة تنظـيم الطيف الترددى الذى تعمل الإذاعة على جزء محدود منه، فأنشئت العديـد مـن المنظمات الدولية والإقليمية للقيام بذلك التنظـيم، ومـن أهـم هـذه المـنظمات، اتحاد الإذاعات الأوربية والرابطة الأمريكية للإذاعة، واتحـاد الإذاعـات الآسـيوية، واتحـاد هيئـات الإذاعـة القوميـة الأفريقيـة واتحـاد الإذاعـات العربيـة واتحـاد الإذاعات الإسلامية بالإضافة إلى المنظمة الدولية للراديو والتليفزيون.

وإذا كـان المجتمـع الـدولى قـد نجـح إلى حـد مـا فى تنظـيم اسـتخدام موجات التردد الإذاعى، فإنه قـد فشـل فى تنظـيم اسـتخدام تلـك الإذاعـات وتحديد الأسس التـى يجـب أن تعمـل عليهـا حتـى لا يُسـاء اسـتخدامها فى زيادة حدة التوتر الدولى والصراع بين الشعوب، وقد بـذلت عـدة محـاولات فى ذلك السبيل، ومنها قيام عصبة الأمم فى عام 1936م بإبرام اتفاقية وقعت عليها 37 دولة باسم "المعاهدة الدولية الخاصة باسـتخدام الإذاعـة لأغـراض السلام"، وقد نصت هذه الاتفاقية على تحريم إذاعة المواد التـى مـن شـأنها تهديد الأمن الداخلى للدول المستهدفة، كما دعت إلى عدم إذاعة المواد التى قـد تعكـر صـفو العلاقـات الدوليـة، وإلى تـوخى الصـدق والدقـة فى إذاعـة

المعلومات والأنباء الخاصة بعلاقات الدول ببعضها خاصة أثناء الأزمات الدولية، وقد جددت هيئة الأمم المتحدة هذه الاتفاقية فى عام 1954م. وأكدت على استمرار العمل بها واعتبرتها وثيقة مهمة فى مجال حرية الإعلام.

كذلك اقترحت اللجنة الدولية التى شكلتها منظمة اليونسكو لدراسة مشكلات الاتصال، أن تمتنع الدول عن استخدام الإذاعات الخارجية لأغراض تنافى ميثاق الأمم المتحدة ونصوص إعلان اليونسكو الخاص بوسائل إعلام الجماهير.

ورغم الجهود الدولية المتعددة الساعية لتوظيف الإذاعات الدولية فى تعزيز السلام العالمى والتفاهم بين الشعوب. فلا مفر من الاعتراف بأن الشقة لا تزال واسعة بين ما تدعو إليه الاتفاقات والمواثيق الدولية وبين ما يمارس فى الواقع الفعلى.

مراجع الفصل الرابع

(1) صابات. خليل: وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها (مكتبة الأنجلو المصرية) الطبعة الثالثة، القاهرة، ص 229.

(2)Heill, Faster: Communication is History, "The Macmillan Company", New York, 2001, pp. 117-122 .

(3) بركات. سهير: الإذاعة الدولية (الكويت)، ص 21، 24.

(4) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، الاتصال والمجتمع اليوم وغدا، "اليونسكو"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 165.

(5) المصدر السابق، ص 141.

(6) بركات، سهير: الإذاعة الدولية، ص 5-6.

(7) رشتى. جيهان: النظم الإذاعية فى المجتمعات الغربية (دار الفكر العربى) القاهرة، ص 18.

(8) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، ص 165-166.

(9)Unesco: World Communication. (The Unesco Press) Paris. 2008, pp. 67-72 .

(10) مانكيكار د.ر: التدفق الحر من جانب واحد، ترجمة فائق فهيم (اليونسكو) ص 69.

(11) شيللر. هربرت: المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان (عالم المعرفة)، الكويت، ص 59.

(12)Berrnouw. Erik: The Image Empire. (Oxford University Press) 2001, pp. 91-92 .

(13)Head. Sidney: Broudcasting in America. (Houstom Miffin Company). Boston. 2004, pp. 48-52 .

(14)Markham. James: Voices of the Red Giants, Communication in

Russia and China Ames. (The Iowa State University Press). U.S.A. 2007). Pp. 211-220 .

(15)Kivikuru. Ullamaija and Varis. Tapio: Approaches to Inter- national Communication. (Publications of the Finnish National Communication for Unesco). Helsinki. 2005) pp. 205-208 .

(16) بركات، سهير: الإذاعة الدولية، ص 157.

(17) ماكبرايد، شون: أصوات متعددة وعالم واحد، ص 167.

(18) المصدر السابق، ص 142.

(19) الحلوانى، ماجى والعبد، عاطف: الأنظمة الإذاعية فى الدول العربية (دار الفكر العربى) القاهرة، ص 477-482.

(20) اتحاد الإذاعة والتليفزيون: الإذاعات الموجهة من القاهرة، القاهرة، ص 1.

(21) عبد الحميد، محمد: وسائل الاتصال الإدارى، الطبعة الأولى (العبيكان للطباعة والنشر) الرياض، ص 116-117.

(22)Unesco: World Communication. P. 56 .

(23)Head. Sydney: Broadcasting in Africa. (Temple University Press) Philadelphia. 2001, pp. 92-98 .

(24)Emery. Walter: National and International Systems of Broadcasting, (Michigan State University) 2003, pp. 166-172 .

الفصل الخامس

التليفزيون الدولى بين القنوات الفضائية والإنترنت

عندما تم اكتشاف إمكانات الموجة القصيرة التى أتاحت لبرامج الراديو أن تنتقل عبر حدود الدول والقارات، أطلق مارشال ماكلوهن مقولته المشهورة: لقد أصبحت الكرة الأرضية أشبه بالقرية الكونية.

وحين ظهر التليفزيون، تراجعت مساحة الاتصال الإنسانى، وانعزل المواطن داخل حدود الدولة التى يعيش فيها.

وعندما اكتشف الفيديو تراجع الاتصال الإنسانى أكثر لينحصر المواطن فى بيته وداخل جدران حجرته..! ولكن تطور تكنولوجيا الاتصال، عاد ليؤكد من جديد صحة مقولة ماكلوهن، بعدما أمكن لبرامج التليفزيون أن تتخطى حدود الدول والقارات مستعينة بإمكانات الكمبيوتر والأقمار الصناعية، وذلك عبر القنوات الفضائية والإنترنت.

وعادت الكرة الأرضية لتصير قرية كونية واحدة. ولكن فى هذه المرة بالصوت والصورة والألوان الطبيعية... وبدأ عصر التليفزيون الدولى ممثلاً فى القنوات الفضائية والإنترنت.

ورغم أن التجارب الأولى لاختراع التليفزيون بدأت منذ عشرينيات هذا القرن، مستفيدة من التقدم العلمى فى ميادين متعددة، إلا أن أول إرسال تليفزيونى منتظم تحقق فى 10 نوفمبر 1935م من برج إيفل بباريس. وفى 2 نوفمبر 1936م فى بريطانيا، أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد تم ذلك فى عام 1939م بمناسبة معرض نيويورك الدولى.

وبمجـيء عـام 1950م أصـبح لخمـس دول خـدمات تليفزيونيـة منتظمـة، وارتفع العدد فى عام 1955م إلى 17 دولة وأصبح العـدد 60 دولـة فى عـام 1960 وفى عام 1970م وجدت أكثر من 100 دولة تقوم ببث البرامج التليفزيونيـة، وفى أوائـل الثمانينيـات انـتشرت الخدمـة التليفزيونيـة فى 150 دولـة حـول العـالم، وتضاعف عدد أجهزة استقبال التليفزيون.

أما الاستخدام الدولى للتليفزيون فقد بدأ منذ فترة مبكرة من وجود إرسال تليفزيونى منتظم، فمع بداية الخمسينيات كانـت بـرامج التليفزيـون فى العديـد من دول غرب أوربا تشاهد عبر الحـدود فى الـدول الأخـرى، وقـد حـدثت نفـس الظـاهرة فى أمريكـا الشـمالية، فى كـل مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وكنـدا والمكسيك.

ولكن أول تبادل رسمى منظم للبرامج التليفزيونية بين الدول، تحقق فى 27 أغسطس 1950م بين بريطانيا وفرنسـا، عنـدما تعـاون التليفزيـون الفـرنسى مـع هيئة الإذاعة البريطانية على بث برنامج تليفزيونى لمـدة سـاعتين مـن فرنسـا إلى بريطانيا، وفى يوليو 1952م وقعت الدولتان اتفاقية لتبـادل الـبرامج التليفزيونيـة حيث تم بعدها نقل الاحتفالات بتتويج الملكة إليزابيـث الثانيـة فى عـام 1953م إلى فرنسا وعدد آخر من دول غرب أوربـا، وهـو التعـاون الـذى أثمـر بعـد ذلـك إقامة الشبكة الدولية للتليفزيون Eurovision والتى تضـم إلى جانـب بريطانيـا وفرنسا عددًا آخر من دول غرب أوربا ومنها ألمانيا الاتحادية وإيطاليا والنمسا.

وفى عــام 1959م أقامــت الــدول الإســكندنافية شــبكة النوردفزيــون Nordvision وهى التـى تـربط بـين محطـات التليفزيـون فى الـنرويج والسـويد والدانمارك وفنلندا وأيسلندا.

وفى المقابل فقد أقام الاتحاد السوفيتى بالتعاون مع دول شرق أوربا شـبكة الأنترفزيون Intervision فى عام 1960م، وهى تـربط بـين محطـات التليفزيـون

فى الاتحـاد السـوفيتى وبلغاريـا وتشيكوسـلوفاكيا وألمانيـا الديمقراطيـة والمجـر وبولندا ورومانيا ومنغوليا. وفى حالات كثيرة أمكن الربط بين شبكتى اليورفزيـون والنوردفزيون لبث الأحداث العالمية المهمة. وفى بعـض الحـالات تـم الـربط بـين شبكتى اليورفزيون والأنترفزيون لبث الأحـداث التـى تهـم الجمهـور فى كـل مـن دول غرب أوربا وشرقها، ومـن ذلـك احتفـال السـوفيت باسـتقبال رائـد الفضـاء السوفيتى جاجارين فى موسكو عام 1961م.

وقبل ذلك بعامين أمكن تحقيق أول ربط بين غرب أوربا وأمريكا الشـمالية ففى عـام 1959م تـم نقـل صـورة تليفزيونيـة مـن أوربـا إلى الولايـات المتحـدة الأمريكية عبر كابلات تليفزيونية فى المحيط الأطلسى، إلا أن نقـل الأحـداث أثنـاء وقوعهـا عـبر المحيطـات والمسـافات الشاسـعة لم يتحقـق إلا بعـد إطـلاق أقـمار الاتصـال الصـناعية Communication Satelies وهـى عبـارة عـن محطـات فضائية تدور حول الأرض عليها محطات استقبال وإرسـال لتلـتقط الرسـائل مـن المحطات الأرضية وتعيد إرسالها إلى محطات أخرى.

وقد بدأ المعسـكر الغـربى تجاربـه لإطـلاق الأقـمار الصـناعية فى عـام 1960م عندما استخدم سلاح البحرية الأمريكية القمـر الطبيعـى كمحطـة توسـط لإرسـال الإشارات والصور بـين مدينـة واشـنطن وجزيـرة هـاواى. وفى عـام 1962م أطلقـت الولايات المتحدة أول قمر صناعى للاتصـالات الفضـائية وهـو قمـر Telstar وعـن طريقه تحقق نقل أول برامج تليفزيونية بين الولايات المتحدة وشبكة اليورفيزيـون، وفى عام 1964م تكونت الرابطة الدولية لأقمار الاتصال The International Tele Communications Satelliet Consortium. والمعروفة باسم انتلسات Intelsat وضمت 12 دولـة، وأطلقـت الرابطـة أول قمـر صـناعى لهـا باسـم "Early Bird" فى عام 1965م واستمر العمل به لمدة عـام. ثـم أطلقـت الرابطـة بعـد ذلـك عـدة أجيال من الأقـمار الصـناعية باسـم Intelsat والرابطـة تضـم الآن أكـثر مـن مائـة

دولة وتغطى أقمار الأنتلسات كافة أنحاء الكرة الأرضية وتخدم 80 محطة أرضية فى 60 دولة.

أما تجارب المعسكر الشرقى فى مجال إطلاق الأقمار الصناعية، فقد بدأت فى عام 1960م عندما تمكن السوفيت من نقل صور حية لرائد الفضاء الكس ليونيف عن مركبة الفضاء Vostock 2 وفى عام 1965م أطلق الاتحاد السوفيتى أول قمر صناعى باسم مولنيا Molniya والذى مكن من الربط بين الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا وكوبا ومنغوليا، وفتحت عضويته لكافة الدول، وهو يشمل أقمارًا صناعية تدور حول الأرض كل 12 ساعة. متخذة مسارًا مرتفعًا قوسى الشكل فوق نصف الكرة الشمالى ويخدم 40 محطة أرضية، ولقد أنشئ هذا النظام لمد خدمات الإرسال التليفزيونى إلى المناطق النائية فى سيبريا وآسيا الوسطى التى كان يمكن الوصول إليها بالشبكات الأرضية بصعوبة بالغة وبتكاليف باهظة، وقد أصبح بالإمكان عند ارتباط شبكتى الأنترسبوتنك تغطية جميع أنحاء العالم بالإرسال التليفزيونى.

وقد أتاح التطور التكنولوجى الآن إمكانية إرسال البرامج التليفزيونية مباشرة إلى أجهزة الاستقبال عن طريق الاستعانة بهوائيات خاصة. ولم يعد البث من الأقمار الصناعية يتطلب وجود محطات الاستقبال الأرضية، وبذلك أصبح إيجاد نظم تستخدم الأقمار الصناعية التى بمقدورها أن تبث البرامج التليفزيونية لأجهزة الاستقبال فى البيوت، وفى نفس اللحظة فى جميع أنحاء العالم.

إن ثلاثة أقمار صناعية على مسافة 22.3 ميل فوق الأرض يمكنها الآن أن تغطى الكرة الأرضية بأسرها.

وأصبحت القنوات التليفزيونية الفضائية، هى التعبير المعاصر للتليفزيون الدولى، فى حين تحول الإنترنت إلى وسيلة إعلام مستقلة عن غيرها من وسائل الإعلام التى سبقتها، وإن تميز عليها اكتسابه منذ نشأته بالطابع الدولى.

- 1 -

التبادل الدولى لبرامج التليفزيون

لقد أدى انتشار التليفزيون فى معظم دول العالم، وفى فترة قصيرة نسـبيًا إلى ضرورة تبادل البرامج التليفزيونية بـين الـدول، فـإن غالبيـة دول العـالم لا بـد أن تستورد نسبة ما من البرامج التليفزيونية لكى تملأ بها ساعات الإرسال، بـل يمكـن القول إنه لا توجد دولة فى العالم لا تستورد قدرًا ما من الـبرامج التليفزيونيـة بما فى ذلك الدول المتقدمة فى الفـن التليفزيـونى، وعـلى سـبيل المثـال فـإن الولايـات المتحدة الأمريكية وهـى الدولـة الأكـثر تقـدمًا فى إنتـاج الـبرامج التليفزيونيـة فى العـالم، إلا أنهـا تسـتورد حـوالى 2% مـن العـدد الإجـمالى للـبرامج التـى تـذيعها محطات التليفزيون الأمريكية التجارية وغير التجاريـة، ويـأتى الجـزء الأكـبر مـن البرامج التى تستوردها الولايات المتحدة من بريطانيـا، ويـأتى الـبعض الآخـر مـن كندا واليابان وفرنسا وألمانيا، كما أنها تسـتورد أيضًـا بعـض الـبرامج والأفـلام مـن روسيا وبعض دول شرق أوربا وخاصة البرامج الموسيقية والأفلام الكلاسيكية.

أما دول غرب أوربا، وهى أيضًا من الدول الأكثر تقدمًا فى الفن التليفزيـونى فإنها تسـتورد مـا بـين 10% و30% مـن برامجهـا التليفزيونيـة مـن دول أخـرى، باستثناء فنلندا التى تستورد 40% وأيرلندا 50% وأيسلندا 60%، وتعـد الولايـات المتحدة أكبر مصدر للبرامج لـدول غـرب أوربـا مسـجلة فى المتوسـط 50% تليهـا بريطانيـا ثـم فرنسـا وإيطاليـا وأسـبانيا، وتتبـادل دول أوربـا بانتظـام وبمقـادير متزايدة فقرات الأخبار والبرامج من خلال شبكة اليورفزيـون Eurovision التـى يشرف عليها اتحاد. الإذاعات الأوربية (E.B.U).

كما يتم التبادل بين الدول الخمس الإسكندنافية من خلال شبكة تليفزيون الشمال Nordivison، ويلاحظ أن هذا اللون من التبادل الدولى لبرامج التليفزيون لا يشكل أخطارًا سياسية أو اجتماعية أو ثقافية بالنسبة للدول المشتركة فى هذا التبادل، رغم تميز إحدى الدول بلعب دور المركز الرئيسى فى الإنتاج والتصدير، مثل الولايات المتحدة، وذلك بسبب تشابه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فضلاً عن أن كلاً منها يجمعها نظام سياسى واجتماعى وثقافى واحد تقريبًا.

وهناك لون آخر من التبادل الدولى التليفزيونى وهو الذى يجرى بين الدول المتقدمة والدول النامية، ويلاحظ أنه تبادل من جانب واحد، فالكم الأكبر من البرامج التليفزيونية يذهب من الدول المتقدمة إلى الدول النامية، ومن النادر أن يحدث العكس أى أن تعرض الدول المتقدمة برامج تم إنتاجها فى الدول النامية، ويوما بعد يوم يتعاظم حجم المواد التليفزيونية المستوردة فى الدول النامية كلما زادت ساعات الإرسال فى الدول التى بها خدمات تليفزيونية، وكلما دخلت الخدمة التليفزيونية إلى دول جديدة.

إن الدول النامية تجد نفسها بعد انتشار الخدمات التليفزيونية مضطرة إلى استيراد البرامج الأجنبية لملء ساعات الإرسال بها، وذلك بسبب قلة خبرة هذه الدول بالإنتاج التليفزيونى وعدم جودته بالمقارنة بما تنتجه الدول الأكثر قدمًا وتقدما فى مجال الإنتاج التليفزيونى، بل إن مغريات استيراد البرامج الأجنبية أكبر بكثير من الدافع إلى إنتاجها محليًا، ليس فقط بسبب قلة الخبرة والجودة، وإنما لأن استيراد البرامج الأجنبية أقل تكلفة من إنتاجها محليًا.

وهناك جانب آخر، وهو تاريخى يعمق من تبعية الدول النامية برامجيًا للدول المتقدمة، فالدول النامية تعتمد وبشكل يكاد يكون كاملاً على صناعات ذات مكونات

أجنبيـة فى إنتاجهـا التليفزيـونى، ذلـك أن معظـم الشركـات التـى تقـوم بتصـنيع الأجهزة اللازمة للإنتاج والإرسال والاستقبال تنتمى إلى الدول الصناعية المتقدمـة، وتوجد 15 شركة غربية تسيطر بطرق مختلفـة عـلى الجـزء الأكـبر مـن عمليـات صـناعة التليفزيـون وتتخـذ لهـا مقـرًّا فى خمـس دول وهـى الولايـات المتحـدة الأمريكية وألمانيا وهولندا واليابان وفرنسا فى حـين أن روسـيا تكـاد تحتكـر هـذا الإنتاج فى دول المعسكر الشرقى سابقًا، وقد حدث فى الخمسـينيات والسـتينيات أن قامت الدول الصناعية الكبرى بتزويد الدول النامية بالمعدات والخبرة اللازمـة لإنشاء الخدمات التليفزيونية، وكان من الطبيعى أن تتبع ذلـك بتصـدير الـبرامج اللازمة لاستمرار هذه الخدمة، وقامت بعض الدول الكبرى بمساعدة بعض الدول النامية التى لم يكن فى مقـدورها الوفـاء بنفقـات إقامـة الشـبكات التليفزيونيـة، وتنافست فى هذا المجال العديد من الشركـات الكـبرى المتعـددة الجنسـية، مثـل تومسون الدولية للتليفزيون TTT ومشروعات التليفزيون الدولية TIE ومكتب التعاون الإذاعى CRA فى باريس الـذى انـدمج مـع اتحـاد الإذاعـة والتليفزيـون الفرنسى ORTF وهيئة الإذاعة الوطنية العالمية NBC International والشركـة الدولية للراديو والتليفزيون TRV وتقدم هذه الشركات للدول النامية محطـات تليفزيونية كاملة وخبرة إداريـة ودورات تدريبيـة فى الـبرامج والإعـلان للعـاملين المحليين، وفى أوائل الستينيات زودت شركة RCA الأمريكية محطات التليفزيـون المصرية والسورية بالمعدات اللازمة، وأوفدت إلى كل مـنهما خبـيرًا أمريكيًّـا كـان مـن الطبيعـى أن ينصـح باسـتيراد الـبرامج الأمريكيـة، وقامـت إحـدى الشركـات البريطانية بإدخال التليفزيون إلى العراق وقامت بعد ذلك ببيع أجهزة الاسـتقبال وتلتها بتصـدير الـبرامج، أمـا فرنسـا فإنهـا لا تكتفـى بمسـاعدة الـدول المتحدثـة بالفرنسية فى آسيا وأفريقيا فى إدخـال الخدمـة التليفزيونيـة، وإنمـا تقـدم بعـض البرامج مجانًا.

- 2 -

سيطرة الدول المتقدمة على سوق

التبادل الدولى لبرامج التليفزيون

إن التليفزيون يلخص أكثر من أى وسيلة إعلامية أخرى أوجه التقدم الـذى أحرزته وسائل الاتصال، لذلك كان من الطبيعى أن تحقق الدول المتقدمـة سـبقًا بعيدًا فى مجال الإنتاج التليفزيونى، وهـو الأمـر الـذى مكنهـا مـن السـيطرة شـبه الكاملة على سوق التبادل الدولى لبرامج التليفزيون.

ومما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية تملك أكبر عدد فى العالم من شركات الإنتاج التليفزيونى ومـن أجهـزة الإرسـال والاسـتقبال، وهـى بالتـالى أكـبر مصدر لبرامج التليفزيون فى جميع دول العالم. فالولايات المتحدة الأمريكية تملـك حوالى 915 محطة تليفزيون و 3000 جهاز إرسال وبها حوالى 100 مليـون جهـاز استقبال فى 65 مليون منزل، وتمتلك المؤسسات التجارية بهـا حـوالى 700 محطـة تليفزيون منها 200 محطة تملكها الصحف والمجـلات، ومنـذ السـتينيات أحـرزت الولايات المتحدة تفوقًا على كافة دول العالم فى مجال تصدير البرامج التليفزيونية وقد بلغ إجمالى المبيعـات الأجنبيـة مـن الـبرامج التليفزيونيـة الأمريكيـة حـوالى مائتى ألف ساعة فى السنة، وتصدر ثلث هذه الكميـة إلى دول أمريكـا اللاتينيـة، ويصدر الثلث الثـانى إلى دول الشرق الأقصى وشرق آسـيا أمـا البـاقى فيصـدر إلى غرب أوربا وشرق آسيا ومنطقة الشرق الأوسط وأفريقيا.

وتوزع خدمات ومنتجات شبكة كولومبيا للإذاعة CBS فى مائة دولة فى خلال 27 شركة فرعية فيما وراء البحار ولديها استثمارات فى ثلاث دول فى أمريكا اللاتينية تتمثل فى محطات برورتيل Proartel فى الأرجنتين وبروفتيل Prvoentel فى فنزويلا وبانتيل Pantel فى بيرو، أما شبكة التليفزيون الأمريكية التابعة لشركة الإذاعة الأمريكية AB والمسماة ورلدفيزيون Worldvision فهى تصدر برامجها إلى 60 دولة ولها استثمارات فى عمليات التليفزيون فى كندا وجوانتيمالا والسلفادور وهندوراس وكوستاريكا وبنما وكولومبيا وفنزويلا والإكوادور والأرجنتين ولبنان واليابان والفلبين وشيلى وبرمودا وأستراليا.

أما الشركة الوطنية للإذاعة NBC والتى تعتبر امتدادًا لشركة الإلكترونات RCA فهى تصدر برامجها إلى مائة وخمس عشرة دولة وتقوم بإنتاج وتوزيع 125 مسلسلاً تليفزيونيًّا لتذاع فى نفس الوقت فى 300 محطة تليفزيونية فى 83 دولة، كما أنها تساهم بحصة فى محطتى التليفزيون بالمكسيك، ومحطة إذاعة وتليفزيون فى كاركاس عاصمة فنزويلا، وهى تعتبر واحدة من أهم حملة الأسهم فى شركة الاتصالات بالأقمار الصناعية Comsal لذلك فهى تقوم بدور فعال فى الهيئة الدولية لاتصالات الفضاء Intelsat.

وتحتل بريطانيا المركز الثانى فى تصدير البرامج التليفزيونية، حيث تبيع لمختلف دول العالم حوالى 50 ألف ساعة من البرامج سنويًّا تحصل دول الكومنولث على 20% من هذه البرامج بينما تحصل الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوربا على 12% والباقى يصدر لدول العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا والأمريكتين.

وتصدر فرنسا حوالى 30 ألف ساعة برامجية فى السنة وتحتل بذلك المركز الثالث فى تصدير برامج التليفزيون بين دول المعسكر الأوربى، وهى تبيع

برامجها إلى 85 دولة، فى حين تقدم البرامج إلى عدد من الدول بدون مقابل وخاصة الدول التى تتحدث الفرنسية فى أفريقيا وبعض الدول النامية الأخرى التى لها علاقات وروابط وثيقة مع فرنسا، وتستورد أفريقيا السوداء 30% من البرامج الفرنسية، فى حين تستورد دول شمال أفريقيا العربية وحدها 10% من البرامج الفرنسية.

ومن الدول الغربية المصدرة للبرامج التليفزيونية تحتل كل من ألمانيا، وإيطاليا وهولندا وأسبانيا مكانًا متميزًا فى هذا المجال، حيث تصدر ألمانيا حوالى خمسة آلاف ساعة سنويًا وتصدر إيطاليا حوالى أربعة آلاف ساعة وكذلك أسبانيا وهولندا، وأغلبها يوجه إلى الدول الأوربية الأخرى وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية والشرق الأقصى والشرق الأوسط وعدد من الدول الأفريقية.

أما اليابان فهى تصدر ثلاثة آلاف ساعة سنويًا إلى الدول الآسيوية، ولكن مشكلة اللغة تحد من تطور الصادرات اليابانية رغم أن صادراتها من أجهزة التليفزيون تكاد تغطى كافة أنحاء العالم.

وإذا انتقلنا إلى الدول النامية فسوف نكتشف أن المعادلة معكوسة، إذ هى تستورد البرامج التليفزيونية ولا تصدر من إنتاجها شيئًا للدول المتقدمة، فإن أفريقيا مثلاً تستورد دولها ما بين 40% إلى 60% من برامجها من الخارج، والباقى تعتمد فيه على الإنتاج المحلى، وزامبيا ونيجيريا وغانا وأوغندا تستورد نصف برامجها، وتستورد دول الشمال الأفريقى 45% من برامجها، أما الصومال والسنغال وغينيا فهى تستورد 60% من برامجها، فى حين تستورد الكونغو وكينيا ومالى حوالى 90% من برامجها، وتستورد مصر 10% من برامجها.

وتشكل البرامج الأمريكية نسبة تتراوح ما بين 30% و70% من البرامج المستوردة فى دول أفريقيا فى حين تمثل البرامج البريطانية حوالى 20%

والبرامج الفرنسية 15% و5% من بقية الدول الأخرى ومن بينها روسيا وكندا وأستراليا.

أما آسيا فتتراوح النسبة المئوية للبرامج المستوردة ما بين 30% و70% باستثناء الصين والهند واليابان الذين يعتمدون على الإنتاج المحلى، أما ماليزيا وسنغافورة ونيوزيلندا فتستورد ثلاثة أرباع برامجها تقريبًا، أما كوريا الجنوبية فتستورد 90% من برامجها وتستورد الفلبين ثلثى برامجها، وفى غرب آسيا تبلغ نسبة الواردات 50% من إجمالى البرامج، وفى حدود هذه النسب يأتى أكثر من نصف البرامج المستوردة من الولايات المتحدة الأمريكية وفى الأمريكتين تتراوح نسبة البرامج المستوردة ما بين 40% إلى 80%، وتستورد حوالى 50% إلى 60% من هذه البرامج من الولايات المتحدة الأمريكية وحوالى 30% من الدول المتحدثة بالبرتغالية والأسبانية و10% من أوربا الغربية وخاصة أسبانيا وإيطاليا وفرنسا. ففى الأرجواى نجد أن ثلث البرامج مستوردة وأكثر من 60% منها يأتى من الولايات المتحدة الأمريكية، أما شيلى والدومينيكان فإن كل منهما تستورد نصف برامجها، وتبلغ نسبة البرامج الأمريكية فيها حوالى 66%، أما الأرجنتين وكولومبيا والمكسيك فتستورد ثلث برامجها من الخارج، 80% منها يأتى من الولايات المتحدة الأمريكية، وتستورد جواتيمالا أكثر من 80% من برامجها تبلغ نسبة البرامج الأمريكية فيها أكثر من النصف، وتستورد بيرو ثلثى برامجها فى حين تصل النسبة فى كوستاريكا إلى 80% وفى الإكوادور 73% ويبلغ نصيب البرامج الأمريكية فيها حوالى 60%.

أما كوبا فهى لا تستورد سوى 20% من برامجها وأغلبها كان يأتى من روسيا ودول شرق أوربا، أما الباقى فتعتمد فيه على الإنتاج المحلى.

- 3 -

مخاطر سيطرة الدول المتقدمة على برامج

التليفزيون الدولى

إن سيطرة الدول الصناعية المتقدمة على سوق التبادل الدولى لبرامج التليفزيون يثير العديد من المخاطر والقضايا والمخاوف لدى العديد من الدول النامية، ذلك أن نسبة كبيرة من البرامج التليفزيونية المتداولة دوليًا، تقدم كسلعة تجارية يتم تسويقها وبيعها كأى سلعة تجارية، وقد نتج عن ذلك سيطرة النزعة الاستهلاكية فى المجتمعات الغربية المتقدمة، ومعيار نجاح الإنتاج التليفزيونى هو حجم المبيعات والأرباح التى يحققها هذا الإنتاج، لذلك فقد غلب على الإنتاج التليفزيونى الجانب الترفيهى الذى يروق لأكبر عدد من المشاهدين، وبالتالى تجتذب أكبر كمية من الإعلانات، وانتشار هذا النوع من الإنتاج التليفزيونى لا يخشى منه فقط على هيمنة الدول المتقدمة وإضعافها للثقافات الوطنية فى المجتمعات النامية، وإنما من شأنه أن يدمر جوهر هذه الثقافات فى الوقت نفسه، وعلى سبيل المثال فإن برامج التليفزيون الأمريكى إصبحت هى التى تحدد أسلوب إنتاج البرامج فى العالم بأسره، مثلما كانت هوليود بالنسبة لصناعة السينما.

إن ثلاثة أرباع البرامج التى تصدرها الولايات المتحدة الأمريكية وثلثى البرامج التى تصدرها دول غرب أوربا من البرامج الترفيهية، ومن المهم أن نشير إلى أن عددًا كبيرًا من الدول تقبل على استيراد هذه النوعية من البرامج الترفيهية،

لصعوبة إنتاجها محليًا وارتفاع تكاليفها، كما أن هناك تصورًا بأنها أقل البرامج تأثرًا بالدعاية السياسية، كما أن الحل الأمثل عند كثير من الدول النامية لمشكلة شغل أوقات الإرسال بتكلفة بسيطة هو المسلسل الأمريكى، وذلك لرخص ثمنه وسهولة الحصول عليه، ويمكن لكبار مصدرى البرامج أن يزودوا الدول النامية بالبرامج بثمن بخس نظرًا لأن السوق المحلى وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية يغطى نفقات الإنتاج.

ومن المظاهر الإيجابية التى برزت فى السنوات القليلة الماضية، ارتفاع أصوات عديدة فى المجتمعات المتقدمة نفسها تعترض على النوعية الهابطة لبرامج التليفزيون، وقد سجلت العديد من الاستفتاءات التى أجريت فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى بعض دول أوربا عدم رضاء نسب متزايدة من المشاهدين عن برامج التليفزيون، وتشير أرقام هذه الاستفتاءات أن 12% من المشاهدين فى الولايات المتحدة غير راضين عما يقدم من برامج فى محطات التليفزيون الأمريكى، وأن هناك 53% من المشاهدين قلت نسبة مشاهدتهم لبرامج التليفزيون عما كانت عليه من قبل، وفى بريطانيا تبين أن نسبة المشاهدة إلى برامج التليفزيون قد انخفضت بمقدار 27 نقطة طبقًا لبيان ترتيب التقديرات، كذلك أعرب 54% من مشاهدى التليفزيون الفرنسى عن عدم رضائهم عنه.

ويشكل محتوى البرامج التليفزيونية الدولية إشكالية أخرى للعديد من الدول، فغالبًا ما تستخدم البرامج التليفزيونية لتحقيق الإستراتيجيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدول الكبرى التى تنتج وتصدر هذه البرامج، وغالبًا ما تشكل هذه البرامج مراكز متقدمة داخل حدود الدول النامية يمكن للدول الكبرى من خلالها أن تمارس نفوذها وتروج لأفكارها وسياساتها ولأساليبها فى الحياة، وقد صرح ولسون دزارد، وهو مسئول سابق بالوكالة الأمريكية للاستعلامات أمام لجنة تابعة للكونجرس، أن كمية الصادرات من الأفلام التليفزيونية بلغت من

الضخامة بحيث أن شاشة التليفزيون فى العديد من البلدان أصبحت المصدر الرئيسى لعرض الصورة الأمريكية وأسلوب الحياة الأمريكى لملايين متزايدة من المشاهدين فى هذه البلدان.

ومن ناحية أخرى فصورة أحداث العالم كما تنقل إلى الدول النامية، وصورة الحياة فى الدول النامية كما تقدم للمشاهدين فى أوربا وأمريكا، تتعرضان للتشويه والتحيز، ويقول تقرير لإحدى لجان الكونجرس الأمريكى: إن الولايات المتحدة تستطيع أن تحقق أهداف سياستها الخارجية ومصالحها الدولية من خلال التعامل مع شعوب الدول الأجنبية بدلاً من التعامل مع حكوماتها، فمن خلال وسائل الاتصال الحديثة وفى مقدمتها التليفزيون يمكن أن نصل اليوم إلى قطاعات مؤثرة من السكان فى هذه البلدان، وأن نقوم بإعلامهم والتأثير فيهم وتغيير اتجاهاتهم بل يمكن فى بعض الأحيان أن نحرضهم على سلوك طريق عمل معين، وهذه المجموعات يمكن بدورها أن تمارس ضغوطًا ملحوظة وحتى حاسمة على حكوماتها.

ومن الأمثلة على مقدار الضرر الذى يمكن أن تحققه بعض برامج التليفزيون الدولى، سلسلة الأفلام التليفزيونية التى عرضتها القناة الثانية لهيئة التليفزيون البريطانى والتى أخرجها المخرج الفرنسى لويس ماللى عن الهند، فقد أثارت هذه السلسلة احتجاجات شديدة من جانب الهنود وغيرهم نظرًا لمضمونها الذى انطوى على تحيز وعدائية بالغين.

وفى أمريكا الجنوبية أجرى تحت إشراف اليونسكو بحثًا ميدانيًا عن التلوث الثقافى فى فنزويلا، أوضح أن المثل الأعلى للبطولة بالنسبة للطفل الفنزويلى كان يتمثل فى شخصية أمريكية فى 86.3% من الحالات، فى حين لم تتجاوز نسبة الأطفال الذين تمثلوا شخصية فنزويلية 7.9%، وكان هذا المثل الأعلى للبطولة

يتحدث الإنجليزية فى 82.1% مـن الحـالات والأسـبانية فى 14.7% مـن الحـالات، وكانت نسبة البطل الأبيض إلى البطل الأسود فى مخيلة الأطفال 11: 1، وكان هذا البطل ثريًّا فى 72% من الحالات التى أجريت عليها الدراسة.

ومع تأكيدنا على كافـة سـلبيات التـدفق غـير المتـوازن لـبرامج التليفزيـون الدولى، فلسنا مع الذين يطالبون بمعالجة هذا الوضع عن طريـق توقـف الـدول النامية تمامًا عن استيراد البرامج التليفزيونية مـن الـدول المتقدمـة، فعوضًـا عـن استحالة تنفيذ هذا الحل، فإنـه ضـار مـن ناحيـة المبـدأ، ذلـك أن مـن شـأنه لـو تحقق، إعاقة الاتصال الإنسانى عبر المجتمع الدولى، فهذا الاتصـال طالمـا طمحـت إليه البشرية منذ عصورها الأولى، اعتراضنا يجب أن ينصـب فقـط عـلى محتـوى هذا التبادل غير المتكافئ بين الدول المتقدمـة والـدول الناميـة، وعلاجـه يتطلـب جهدًا دوليًّا مكثفًا للتقليل من هذا الوضع غير العـادل عـن طريـق المسـاعدة فى إنشاء شبكات تليفزيونية إقليميـة فى كافـة منـاطق العـالم، تقـوم عـلى التعـاون المشترك بين المجموعات المتجانسة مـن الشـعوب اقتصـاديًّا وسياسـيًّا واجتماعيًّـا وثقافيًّا، وأن يتم من خلال هذه الشبكات تبادل وتنسـيق الـبرامج التليفزيونيـة، وهذا الحل سبقت إليه الدول المتقدمة نفسها، عنـدما أنشـأت دول غـرب أوربـا شبكة اليورفزيون، ثم أقامت الدول الإسـكندنافية شـبكة النوردفزيـون وأنشـأت دول شرق أوربا وروسيا شبكة الإنترفزيون.

وبالرغم من أن العديد مـن الـدول الناميـة قـد أقامـت اتحـادات للراديـو والتليفزيـون، فـإن ضـعف إمكاناتهـا بالإضـافة إلى عوامـل أخـرى كالحساسـيات والشكوك المترسبة عبر مراحل تاريخية سابقة، قد حدت من حجم تبادل الـبرامج التليفزيونية بين هذه الدول التى تضمها هذه الاتحادات.

إن الدول النامية مطالبة أيضًـا باتخـاذ الإجـراءات اللازمـة لتنويـع مصـادر

برامجها التليفزيونية بالعمل على زيادة عدد الدول التى تستورد منها برامجها، وأن تعمل على الاستيراد من الدول النامية التى حققت تقدمًا فى مجال الإنتاج التليفزيونى.

ولكن يبقى أن الحل الأمثل، وهو أن تعمل كل دولة على تطوير إنتاجها التليفزيونى مستفيدة من إمكاناتها الذاتية، قدر الإمكان، مستلهمة إبداعاتها الثقافية الخاصة وقد حققت بعض الدول النامية محاولات ناجحة فى هذا المجال، فالهند ومصر قد تمكنتا بجهد ذاتى مدعم بتراث تاريخى وثقافى من تحقيق قدر كبير من التقدم فى مجال الإنتاج التليفزيونى، وفر لها شبه اكتفاء ذاتى من البرامج التليفزيونية، بحيث لا يصل مجموع ما تذيعه محطات التليفزيون فى الهند إلى 12% من البرامج الأجنبية وتصل النسبة فى مصر إلى حوالى 14% فقط. كذلك فقد استطاعت دول الخليج العربية أن تحقق إنجازًا ملحوظًا فى مجال الإنتاج البرامجى المشترك، وخاصة فى مجال برامج الأطفال والأخبار والبرامج التنموية.

- 4 -

البث المباشر عبر الأقمار الصناعية

وبداية عصر القنوات الفضائية

لقد أصبح البث المباشر لبرامج التليفزيون الدولى ممكنًا بفضل الأقمار الصناعية، وبإمكان المشاهدين الآن فى أى منطقة من العالم التقاط برامج التليفزيون التى تبث من خلال الأقمار الصناعية بدون حاجة إلى المرور بالمحطات الأرضية، وعن طريق الاستعانة فقط بهوائى معين أصبح متوافرًا من الناحية التقنية، ورغم أن بعض الدول منعت فى البداية دخول هذا الهوائى أو حالت دون تصنيعه فى الداخل وخاصة فى الدول النامية، إلا أن ذلك كان وضعًا مؤقتًا حيث بدأ إنتاج أجهزة استقبال تليفزيونية مجهزة لالتقاط إرسال القمر الصناعى مباشرة دون حاجة إلى مرور هذا الإرسال بالمحطات الأرضية، ودون حاجة أيضًا إلى استخدام ذلك الهوائى الخاص، إن التجربة تؤكد أن التكنولوجيا الحديثة تنتشر بأسرع مما تتصوره، وأن ما يمنع منها اليوم يسمح به غدًا، عندما تتأكد الحكومات والشعوب من حجم الفوائد التى يمكن أن تجنيها من هذه المخترعات.

ومما لا شك فيه أن استخدام الأقمار الصناعية فى البث التليفزيونى الدولى أحدث طفرة كبرى فى الاتصال والإعلام الدولى، وقد حققت العديد من الفوائد لكافة الدول. وبالنسبة للدول النامية، فهى لم تعد تحتاج إلى إقامة الشبكات الأرضية المكلفة اقتصاديًا لإيصال الخدمة التليفزيونية إلى المناطق النائية بها وخاصة فى

الدول ذات الأرجاء الشاسعة والتضاريس الصعبة، كذلك فقد أصبح مـن الممكـن إقامة نظم إقليمية للبث التليفزيـونى بـين عـدد مـن الـدول المتجانسـة تتقاسـم تكلفتها وتشارك فى الاستفادة من خدماتها.

وهكذا أصبحت القنوات التليفزيونية الفضائية حقيقة فرضت نفسها عـلى كافة دول العالم، ومن النادر أن نجد اليوم دولة لا تملك إحـدى الفضـائيات وقـد أوجد التوسع الهائل فى الفضائيات تخوفـًا لـدى الـدول الناميـة مـن بـث بـرامج معادية لأنظمة الحكم أو تصدير الأفكار والأيديولوجيات التـى تهـدد الاسـتقرار، فضلاً عن مخاوف لها ما يبررها قد تنجم عن بث أفلام ومسلسـلات تتبنـى قـيمًا وأنماطًا من السلوك الذى يتنافى مع قيم وتقاليد وعادات العديد من الشعوب.

وهناك احتمال أن تعزز القنوات الفضائية من نماذج التـدفق التقليديـة فى المجال الدولى، والتى تقوم على سيطرة الدول الصـناعية المتقدمـة عـلى عمليـات البث التليفزيونى الـدولى، وهـو الأمـر الـذى يهـدد بسـيطرة ثقافـة واحـدة عـلى المستوى الدولى، مما يشكل خطرًا على الثقافات الوطنية للـدول الناميـة، خاصـة أن القنوات الفضائية تتيح فرصًا واسعة لانتشار لغات الدول الصـناعية المتقدمـة وقد يحول بعضها إلى لغات عالمية على حساب الأقليات اللغوية فى العالم الثالث.

ومنـذ فـترة مبكـرة حـذر رينيـه مـاهى Rene Mahea المـدير السـابق لليونسكو من خطورة القنوات الفضائية وقال: إن من شأن هذا البـث أن يفـرض رؤية واحدة بعينها للمعمورة على حساب حرية الإنسان وثراء روحه التى طالمـا أسهمت فى نمو حضارتنا.

وفيما بعد أكد أولف هولتون Olof Hulton خبـير الإعـلام باليونسـكو أن وجود القنوات الفضائية لم يغير من نظام تدفق البرامج التليفزيونيـة بـين الـدول المتقدمة والدول النامية، بدليل أن أكثر من 90% من الأخبار الدولية التـى تبثهـا

محطات التليفزيون الأرضية والقنوات الفضائية فى دول العالم الثالث تأتى من مصادر غربية.

لقد عززت القنوات الفضائية وضع عدم التكافؤ فى التبادل التليفزيونى الدولى بين الدول المتقدمة والدول النامية، وقد أثارت هذه الظاهرة اهتمام الأمم المتحدة والاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية ومنظمة اليونسكو والحكومات وهيئات الإذاعة والتليفزيون الإقليمية والدولية، فقامت بمناقشة الموضوع بهدف إرساء مبادئ أساسية والوصول إلى اتفاقيات دولية تسمح بالاستفادة العادلة من بث البرامج التليفزيونية عبر الأقمار الصناعية وتسخيرها فى خدمة السريان الحر للأفكار والتوسع فى التعليم وتنمية التفاهم والتبادل بين الشعوب فى إطار الاحترام المتبادل لسياسات الدول والتنوع فى الثقافات الوطنية.

ولا يسعنا إلا الاعتراف بأن كافة المحاولات الدولية لم تسفر عن شىء جدى حتى الآن لتصارع المصالح، ولأن الدول الصناعية المتقدمة هى الأعلى صوتًا والأقوى نفوذًا والأكثر تأثيرًا..!

لقد فشل المجتمع الدولى فى استخدام الراديو الدولى كأداة للسلام والتفاهم والتعاون بين الشعوب، فقد ظهر الراديو مع بزوغ نجم النازية والفاشية فاستخدم أداة للدعاية والحرب النفسية طوال الحرب العالمية الثانية، وعندما انتهت الحرب الساخنة تحول إلى أداة فى الحرب الباردة بين المعسكرين الغربى والشرقى.

وقد توقع الكثيرون أن يكون للتليفزيون الدولى والقنوات الفضائية مصير أفضل خاصة أن البث المباشر لبرامج التليفزيون عبر الأقمار الصناعية قد غطى العالم مع زوال الحرب الباردة ؟

ولكن التجربة العملية أثبتت أن المشكلات والتحديات التى يواجهها التليفزيون الدولى لا تقل عما واجهه الراديو الدولى، بل زادت وتفاقمت سواء عبر القنوات الفضائية أو الإنترنت اللذان يشكلان وجهى العملة بالنسبة للتليفزيون الدولى.

- 5 -

التزاوج بين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وبداية عصر الإنترنت

كما أدى التزاوج بين تطور تكنولوجيا المعلومات ممثلة فى الحاسب الآلى وتطور تكنولوجيا الاتصال ممثلة فى أقمار الاتصال الصناعية إلى ظهور القنوات الفضائية، فقد أدى أيضًا إلى ظهور الإنترنت Internet وهو اختصار لشبكة المعلومات الدولية International Network وكافة الشبكات التى تفرعت عنه ومنه مثل المدونات والتويتر واليوتيوب والفيس بوك والصحف الإلكترونية والاستخدام المعلوماتى والإعلامى لشبكات الهاتف المحمول.

ويعتبر الإنترنت بكافة أشكاله، أحدث وسيلة إعلام جماهيرية، اكتسبت منذ ظهورها طابعًا دوليًا، وكانت أحد مظاهر العولمة الإعلامية.

وقد ساعد الإنترنت على التواصل الإنسانى بين البشر عبر الدول والقارات بلا قيود أو عوائق، كما عمق من الطابع التفاعلى بين وسائل الإعلام الدولية وجمهورها فى كافة مناطق العالم، كما أتاح الإنترنت للأفراد إمكانية إنشاء مواقع تبث وتذيع وتنشر الأخبار والمعلومات والآراء وتستقبلها دون موانع من أية سلطات تحكمية.

وكان من الطبيعى أن يثير الإنترنت العديد من المخاوف، ولا يزال بسبب قدرة الأفراد فى أى مكان بأنحاء الكرة الأرضية أن يبث أية أفكار أو آراء أو معلومات بدون أى نوع من الرقابة الحكومية على المضامين التى يطرحها وهو الأمر الذى أدى بالفعل إلى كثير من المشكلات والاضطرابات وخاصة للأنظمة السلطوية.

مراجع الفصل الخامس

(1) ماكلوهن. مارشال، كيف نفهم وسائل الاتصال - ترجمة خليل صابات (الهيئة العامة للكتاب) القاهرة، ص 12.

(2) ماكبرايـد. شـون: أصـوات متعـددة وعـالم واحـد، الاتصـال والمجتمـع اليـوم وغـدا (اليونسكو) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، ص 143-144.

(3) Unesco: World Communication. (The Unesco Press). Paris. 2003, p.p. 12.

(4) Burto, Paulu: Radio and Television, Broadcasting on European Confinent. (University of Minensota Press) U.S.A. P.P. 36-39.

(5) Ibid., P.P. 37-39.

(6) Kivikurn. Ullamaija and Varis Tapio. Approaches to International Communication (Finish National Commission for Unesco) Helsinki, 1998, P.P.118 . 122.

(7) Ibid. p.p. 121-213.

(8) Evans. Harold: Media In the Soviet Union and Easter Europe. (Heinmann) London. 2004, p.p. 93 - 97.

(9) بركات، سهير: الإذاعة الدولية (الكويت)، ص 108-112.

(10) اليونسكو: وسائل الاتصال فى العـالم (وحـدة اليونسـكو الإقليميـة لوسـائل الاتصـال للبلاد العربية) القاهرة، ص 10-12.

(11) المصدر السابق، ص 71، 78، 79.

(12) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، ص 237.

(13) مانكيكار. د.ر: التدفق الحر من جانب واحد (اليونسكو) ص 86-87.

(14) Smith. Williams: Television In America. (Hasting-House). New York 2009, 117-122.

(15) Ibid. p.p. 232 – 237.

(16) Thomson. Foundation: International Communication. London, p.p. 237 . 317.

(17) Ibid. p.p. 313 – 317.

(18) Ibid. p.p. 342 – 346.

(19) Chalkley. Alan: Radio and Television in Asia. (Heinmann). London. p.p. 92- 97.

(20) اليونسكو: وسائل الاتصال فى العالم، ص 83.

(21) مانكيكار. د.ر: التدفق الحر من جانب واحد، ص 83-84.

(22) Chalk Alan: Radio and Television in Asia. p.p. 127-132.

(23) اليونسكو: وسائل الاتصال فى العالم، ص 83.

(24) مانكيكار. د.ر: التدفق الحر من جانب واحد، ص 83.

(25) المصدر السابق: ص 48.

(26) المصدر السابق: ص 86.

(27) ماكبرايد. شون: أصوات متعددة وعالم واحد، ص 363.

(28) Blanchare, Robert: Congress and the News Media. (Hastings House). New York. 2008, p.p. 13 - 17.

(29) Ibid: p.p. 22 – 26.

(30) مانكيكار. د. ر.: التدفق الحر من جانب واحد – ص133.

(31) Santoro: Getting the Message Across. (Unesco). 2002, p.p.62-65.

(32) Heill. Faster: Communication in History. (The Macmillan Company). New York. p.p. 73-84.

(33) Fang. Irving. E: Television News. (A Communication Arts Book Hasting House Publishers). New York, 2009, p.p. 27-33.

(34) Brad. Stewart: The whole Earth network and the rise of Digital. University of Chicago. Press. U.S.A. 2006, pp. 307-309.

(35) Lonham. Batra: Digital Freedom. Rowman London. 2008, pp. 211-213.

الباب الثانى
الإعلام الدولى فى المجتمعات النامية

الفصل السادس

التبعيــة الإعلاميــة

لقد ظهر مفهوم "التبعية" مع مطلع السبعينيات مـن القـرن المـاضى، وقـد بدأ استخدامه أولاً فى مجال الاقتصاد، ثم انتقل منها إلى السياسة ثـم إلى الثقافـة والإعلام.

وأقصر طريق للتعرف على معنـى التبعيـة هـو أن نعـرف أن نقيضـها هـو الاستقلال، لذلك ليس غريبًا أن نبدأ بالتساؤل عما إذا كانـت الـدول الناميـة قـد حققت استقلالها الإعلامى بالفعل ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل، علينا أن نلاحظ الظواهر المهمة التالية:

أولا: إن غالبية وسائل الاتصال والإعلام المسـتخدمة فى الـدول الناميـة، قـد صنعت خارجها، فالبنية الأساسية للاتصال والإعـلام لا تنـتج فى هـذه الـدول، فـلا وجود لأى صناعات لمستلزمات وسائل الاتصـال والإعـلام، فهـذه الـدول تسـتورد آلات الجمع الصـحفى والمطـابع والأحبـار وورق الصـحف، وهـى تسـتورد أيضًـا أجهزة الراديو والتليفزيون والفيديو ومعدات الاسـتديوهات وكـاميرات التصـوير وآلات التسجيل والصوت والإضاءة، وكل ما له علاقة بصناعة الاتصال والإعلام.

ثانيًا: إن المؤسسات الإعلامية الدولية، وأغلبها مملـوك للـدول الاسـتعمارية القديمة.. تحتكر نسبة كبيرة من مصادر المعلومات الإعلامية المسـتخدمة فى دول العالم الثالث، وتكاد تنفرد – كما سبق ورأينا – ثلاث وكالات أنباء بالسيطرة عـلى حركة تبادل الأخبار الدولية وهى: وكالة الأنباء الفرنسية (هافاس سابقًا) ورويـتر البريطانية، وأسوشـيندبرس، ولكـل وكالـة منهـا مكاتـب فى أكـثر مـن مائـة دولـة وتستخدم عدة آلاف من المراسلين والمحررين والموظفين، وتبث الأخبار على مدار الأربـع والعشريـن سـاعة إلى عشرات مـن الوكـالات الوطنيـة وإلى المئـات مـن

الصحف ومحطات الراديو والتليفزيون، ولم تعد تكتفى بالأخبار المكتوبة وإنما أضافت إليها الصوت والصورة.

ورغم أن لكل دولة من دول العالم الثالث وكالة أنباء وطنية، إلا أن أغلبها فى واقع الأمر، أقرب ما يكون إلى المكاتب الإعلامية الملحقة بوزارة الإعلام أو وزارة الخارجية وإنتاجها ضعيف سواء فيما يتعلق بالأنباء الدولية أو الأنباء المحلية، لدرجة أن وسائل الإعلام المحلية كثيرًا ما تنقل الأخبار الداخلية المهمة عن طريق الوكالات الأجنبية..!

ثالثًا: توجد عشرات من الإذاعات الموجهة إلى دول العالم الثالث، وبلغاتها الوطنية من قبل الدول المتقدمة، وعلى سبيل المثال توجد 32 إذاعة موجهة إلى الوطن العربى وباللغة العربية من قبل دول الغرب، وأكثرها يسمع بوضوح فى العديد من البلدان العربية وبشكل أفضل مما تسمع به محطات إذاعية عربية محلية، وذلك بفضل ما تتمتع به الإذاعات الأجنبية من إمكانات تكنولوجية متقدمة تساعد على قوة البث من ناحية ومقاومة محاولات التشويش من ناحية ثانية، كذلك فإن هذه الإذاعات الأجنبية تتمتع بدرجة من المصداقية تتفوق على مصداقية الكثير من الإذاعات العربية المحلية، وخاصة فى فترات الأحداث الساخنة، وذلك بفضل ما يتوافر لهذه المحطات الإذاعية الأجنبية من سرعة فى التغطية الإعلامية، ومن حرية فى العرض قد لا تسمح بها ظروف العديد من الإذاعات العربية !

وبالنسبة للتليفزيون فى الدول النامية فإن محطاته تستورد ما بين 40% إلى 60% من برامجها.

رابعًا: توجد 27 وكالة إعلان دولية تسيطر على سوق الإعلان الدولى وتتحكم فيما يتراوح بين 15% و25% من مجموع الأموال المتداولة فى أسواق النشاط الاقتصادى الدولى، ولهذه الوكالات فروع فى كافة الدول النامية، وعلى سبيل المثال فإن أكثر من 80% من الإعلانات المنشورة فى صحف وإذاعة

وتليفزيون بيرو، تمر من خلال شركات الإعلان الأمريكية الكبرى، وفى فنزويلا تتسع دائرة احتكار الوكالات الأمريكية والغربية إلى مدى أبعد من ذلك، وكذلك تمثل كل من زيمبابوى وكينيا ونيجيريا وباكستان وتايلاند وعدد آخر من الدول المنخفضة الدخل نموذجًا مشابهًا مع اختلاف فى الدرجة.

ويجرى باستمرار إغراق المجتمعات النامية بسيل من الرسائل التجارية الناشئة عن متطلبات تسويق الشركات متعددة الجنسية، ويجرى فى الوقت ذاته تحويل بنية شبكات الاتصال الدولية وما تقدمه هذه الشبكات من برامج، طبقًا لمواصفات جهات التسويق العالمية، ولا يتسامح النشاط التجارى الإعلانى مع قنوات الاتصال الجماهيرى التى تستبعد إعلاناته وبرامجه الترفيهية الموجهة إعلانيًا، وبالتالى فهو يبذل جهدًا لا يكل من أجل اختراق كل ما هو متاح من منافذ الاتصال ذات الجماهيرية الملموسة، فشهية شركات الإعلان لا تعرف الشبع، كما أن هدفها ليس أقل من السيطرة الكاملة على كل وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرى، وبمجرد نجاحها فى إخضاع وسيلة من الوسائل، أيا كانت الصفات الأصلية لتلك الوسيلة، فإنها تتحول إلى أداة للثقافة التجارية، وهكذا فإن أحد مقاييس فقدان أمة ما لسيطرتها على وسائل إعلامها، يتمثل فى درجة اختراق وكالات الإعلان الأجنبية لميكانيزم التسويق فى تلك الدولة.

إن الظواهر السابقة تؤكد جميعها عدم وجود استقلال إعلامى حقيقى لوسائل الإعلام فى دول العالم الثالث، وأن التبعية الإعلامية قد حلت مكان السيطرة المباشرة لسلطات الاحتلال الأجنبى، وإذا كانت الدول الاستعمارية فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، قد لجأت إلى الاحتلال العسكرى لدول العالم الثالث من أجل الحصول على المواد الخام وإيجاد أسواق لترويج منتجاتها الصناعية، فإن هذه الدول ذاتها لجأت فى النصف الأخير من القرن العشرين إلى الاحتلال الإعلامى (وهو المرادف الموضوعى للتبعية الإعلامية) لتحقيق نفس الأهداف القديمة.

إن الهدف واحد ولكن الأداة هى التى تغيرت فقد حلت الأخبار والأفلام والمسلسلات محل البنادق والمدافع والبوارج، كما حاول المستعمر القديم أن يطمس الهوية القومية للشعوب المستعمرة حتى ترضى بالاحتلال العسكرى، فإن المستعمر الجديد يعمل على الترويج للقيم والأفكار التى تعمل على تشويه الهوية الثقافية لشعوب العالم الثالث بهدف تكريس التبعية الإعلامية أو الاستعمار الإعلامى الجديد.

ولقد ترتب على التبعية الإعلامية نتائج بالغة الخطورة على وسائل الإعلام فى الدول النامية ونكتفى بالإشارة إلى ثلاث نتائج منها وهى:

الأولى: إن تزايد نفوذ وكالات الإعلان الدولية على أسواق الإعلان فى الدول النامية، يكاد يفقد وسائل الإعلام فى هذه الدول استقلالها الفكرى، ويهدد بالقضاء على أى أمل فى تحقيق حرية الصحافة بشكل خاص، فقد بات الإعلان اليوم المورد الرئيسى للصحف المعاصرة بعد أن تزايدت نفقات التوزيع بحيث كادت تستهلك مجمل العائد من ثمن بيع نسخ الصحيفة.

الثانية: أن تزايد اعتماد وسائل الإعلام فى دول العالم الثالث على الإنتاج الإعلامى الأجنبى من شأنه أن يخلق رأيًا عامًا منحازًا للمصالح غير الوطنية، كذلك فإن استمرار سيطرة وكالات الأنباء الأجنبية من شأنه أن يستمر فى رسم الصورة المشوهة لشعوب العالم الثالث فى العالم الخارجى بفضل ما تحدثه تلك الوكالات من تحريف وتشويه وتلوين للأحداث التى تنقلها عن المجتمعات النامية.

الثالثة: فى الوقت الذى تعانى فيه دول العالم الثالث من ضعف فى البنية الأساسية لوسائل الاتصال فإنها تواجه فى الوقت نفسه بفيض من المعدات الاتصالية المتطورة جدًا فى المجتمعات المتقدمة بالشكل الذى يهدد سيادة الدول النامية على فضائها الوطنى، فأقمار الاتصال الصناعية أصبحت تغطى كافة أجواء الدول النامية، وبات من المؤكد أن الألفية الثالثة بدأت وقد أصبحت أجهزة

التليفزيون فى دول العالم الثالث مغطاة بالكامل بالإرسال التليفزيونى القادم من الدول المتقدمة، وليس فى استطاعة دول العالم الثالث مواجهة ذلك الاقتحام الإعلامى بالأساليب التقليدية كالمنع أو التشويش، وليس أمام هذه الدول سوى أن تسير فى أحد طريقين، طريق الاستسلام للتبعية الإعلامية أو طريق تطوير وسائل الإعلام الوطنية بحيث تلبى الاحتياجات الإعلامية لمواطنيها.

وتواجه دول العالم الثالث العديد من المشكلات فى كيفية اختيار المعدات الاتصالية أو إنتاجها، والتحدى الحقيقى لهذه الدول يكمن فى كيفية الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة فى مجال الاتصال دون الوقوع فى شرك التبعية التكنولوجية للدول المتقدمة، وفى هذا المجال يمكن ملاحظة الظواهر التالية:

1. إن التكنولوجيا هى تعبير عن الواقع الاجتماعى والثقافى الذى تنشأ فيه، وبالتالى فإن النماذج التكنولوجية التى تطورت استجابة لحاجات مجتمع ما، قد لا تصلح فى أغلب الأحيان لمجتمع آخر له ظروف مغايرة.

2. إن عملية نقل تكنولوجيا الاتصال ليست مقصودة لذاتها، وإنما هى أداة لتحقيق أهداف التنمية الوطنية لدول العالم الثالث فى مجال الاتصال فالتكنولوجيا الملائمة لهذه الدول هى التى تتناسب مع الإمكانات الذاتية لهذه المجتمعات والتى تحقق الاستخدام الأمثل لمصادر التكنولوجيا المتاحة فى المجتمع، والتى تعمل على تنمية وتطوير مصادر التكنولوجيا الوطنية.

3. ولا بد أن نأخذ فى الاعتبار تأثير الاختيار التكنولوجى على علاقة التبعية للدول المتقدمة، ذلك أن الاختيار التكنولوجى فى مجال الاتصال، ليس قضية فنية فحسب، وإنما اختيار سياسى فى المقام الأول، وأن الوضع الراهن لتكنولوجيا الاتصال فى المجتمعات النامية يؤكد ضعف البنية الاتصالية فى الكثير من هذه المجتمعات مما يجعلها عاجزة عن استيعاب قدر كبير من

إنجازات التكنولوجيا الحديثة فى الاتصال، ويحول دون الاستفادة الكاملة من إمكانات هذه التكنولوجيا، وعلى سبيل المثال كيف يمكن لصحيفة تصدر فى دولة نامية أن تستورد مطبعة صحفية جاهزة لطبع خمسين ألف نسخة فى الساعة الواحدة، فى حين أن مجموع ما يطبع من هذه الصحيفة لا يزيد على خمسة آلاف نسخة، ولا يزيد ما يوزع منها عن نصف هذه الكمية المطبوعة! وهو الأمر الذى يؤكد عدم ملاءمة الكثير من تكنولوجيا الاتصال الحديثة لاحتياجات وظروف المجتمعات النامية.

ولكل الأسباب السابقة فشلت الدول النامية فى تحقيق ما نسميه (الأمن التكنولوجى) فى مجال الاتصال، فهى لم تحسن اختيار التكنولوجيا الملائمة لإمكانياتها واحتياجاتها الإعلامية، من ناحية، ولم تتمكن من توطين التكنولوجيا الحديثة فى مجتمعاتها بحيث تصير جزءًا من بنائها الاجتماعى والثقافى كمقدمة لتنمية مصادر التكنولوجيا الوطنية من ناحية ثانية، ثم هى قد فشلت فى إقامة تعاون مشترك مع مثيلاتها من الدول النامية فى استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة ذات التكلفة المرتفعة من ناحية ثالثة.

وباختصار فإن الكثير من الدول النامية عجزت عن ترشيد استخدام تكنولوجيا الاتصال، ولم تنظر إلى عملية استيراد التكنولوجيا باعتبارها مرحلة أولى، لا بد أن تعقبها مراحل يتحقق فيها الإنتاج الذاتى.

ومنذ بداية السبعينيات تزايد إحساس العديد من الدول النامية بضرورة تغيير النظام الإعلامى الدولى، وذلك باستحداث نظام إعلامى دولى جديد، يعالج مساوئ النظام الإعلامى، ففى عام 1973م أوصى المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز الذى عقد بالجزائر بالعمل على اتخاذ موقف موحد لإصلاح النظام الإعلامى الدولى، كذلك طالب مؤتمر وسائل الاتصال للدول غير المنحازة الذى عقد فى بلجراد فى

سبتمبر 1974م بإرساء أسس عادلة للتبادل الإعلامى المتكافئ بين الدول المتقدمة والـدول الناميـة، وأصـدر المـؤتمر الخـامس لـدول عـدم الانحيـاز الـذى عقـد فى كوالالمبور عام 1975م وثيقة دولية نبهت إلى ضرورة قيام نظام عـالمى جديـد فى مجال الاتصال والإعلام، وفى عام 1979م أكد المؤتمر الوزارى لدول عـدم الانحيـاز الذى عقد فى الهند على أهمية قيام نظام دولى جديد للاتصال والإعلام.

من ناحية أخرى فقد تبنت منظمة اليونسكو مشروع الـدعوة لقيـام نظـام دولى جديد للاتصال والإعلام، ونظمت العديد مـن النـدوات والمـؤتمرات الدوليـة لمناقشة الموضوع، ثم تبلورت الجهود المشتركة بين اليونسكو ودول عدم الانحيـاز فى إقرار المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو الذى عقـد ببلجـراد فى عـام 1980م عـلى مشروع نظام عالمى جديد للاتصال والإعلام، وقد وضـعت المشروع لجنـة مكونـة من ستة عشر مفكرًا وإعلاميًّا يمثلون كافة مناطق العالم، وبعضهم من الحاصـلين على جائزة نوبل، وقد عرف هذا المشروع باسم "تقريـر ماكبرايـد"، حيـث تـرأس هذه اللجنة شون ماكبرايد، الأيرلندى الجنسية والحائز على جائزتى نوبـل ولينـين للسلام.

ويمكن إيجاز مضمون النظام الإعلامى الدولى الجديد الذى تـم اقتراحـه فى ذلك الوقت فى نقطتين:

الأولى: ضرورة تعديل نظام التبـادل الـدولى للأنبـاء لـكى يكـون أكـثر عـدلاً وتوازنًا بين الدول المتقدمة والدول النامية، ولا بـد أن يقـوم ذلـك عـلى انسـياب الأنباء والمعلومات فى اتجاهين، مما يمكن من تقـديم صـورة سـليمة وموضـوعية عن المجتمعات النامية.

الثانية: العمل على القضاء على عدم التكافؤ فى مصادر الأخبار والمعلومات، بـين الـدول المتقدمـة والـدول الناميـة، وأن يـرتبط ذلـك بمعالجـة الاحتكـار

فى ملكية وسائل الاتصال، وفى اعتماد مبدأ حرية تداول الأنباء والمعلومات، والاعتراف بحق جميع الدول فى الاتصال والإعلام.

ورغم إقرار اليونسكو لمشروع النظام الدولى الجديد للاتصال والإعلام، فلم يقدر له أن يتحقق على أرض الواقع، وصحيح أن الدول النامية تبنت المشروع، وأن الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت تحمست له، ولكن من ناحية أخرى فقد تصدت الولايات المتحدة الأمريكية وبقية الدول الغربية للمشروع وعملت على إفشاله، وقد نجحت فى ذلك بالفعل، سواء عن طريق وقف دعمها المادى لليونسكو، وإطاحتها بمدير عام اليونسكو مختار إمبو الذى حمل لواء الدفاع عن المشروع.

ولكن الدول النامية تتحمل أيضًا قدرًا كبيراً من المسئولية فى إفشال مشروع النظام الجديد، فقد لوحظ بوضوح التناقض الجذرى بين عناصر النظم الإعلامية السائدة فى معظم الدول النامية وبين المبادئ الأساسية للنظام الإعلامى الدولى المقترح، وهو الأمر الذى أثار شكوكًا عديدة حول الأغراض الحقيقية وراء تبنى الدول النامية لهذا النظام الدولى الجديد، كما أنه أضعف من مصداقية المطالب العادلة للدول النامية، وأعطى حججًا قوية لمن يتهمون الدول النامية بأن مطالبتها بنظام إعلامى دولى جديد، إنما يخفى فى حقيقته رغبة هذه الدول فى وضع قيود على وسائل الإعلام الدولية للحيلولة بينها وبين معالجة الممارسات الخاطئة فى الدول النامية.

وعلى سبيل المثال يمكن أن نشير إلى ملاحظتين أساسيتين تكشفان عن مدى التناقض بين الأفكار التى تضمنها مشروع النظام الإعلامى الدولى الجديد وبين الأوضاع السائدة فى غالبية الدول النامية:

1. إن الدول النامية تطرح فى مشروع النظـام الإعلامـى الـدولى الجديـد، ضرورة تعديل نظام التبادل الدولى للأنباء والمعلومات لكى يكـون أكـثر عـدلاً وتوازنـا بـين الـدول المتقدمـة والـدول الناميـة وأن يقـوم ذلـك عـلى انسـياب الأنبـاء والمعلومات فى اتجاهين، ولكن هذا المطلب لا يمكن أن يكتسب مصداقيته إلا بالنص على تطبيقاته الوطنية بالدول النامية، أى بضرورة تعديل نظام تبـادل الأنباء والمعلومات داخل المجتمعـات الناميـة لـكى يكـون أكـثر عـدلاً وتوازنًـا وبحيث تنساب الأنباء والمعلومات فى اتجاهين، مما يمكن مـن تقـديم صـورة سـليمة وموضـوعية عـن إنجـازات الحكـم، وفى نفـس الوقـت يقـدم صـورة حقيقية لمطالب المواطنين ومشكلاتهم.

2. إن مطالبة الدول النامية فى مشروع النظام الدولى الجديـد للاتصـال والإعـلام بضرورة القضاء عـلى عـدم التكـافؤ فى مصـادر الأخبـار بـين الـدول المتقدمـة والدول النامية ومعالجة الاحتكار فى ملكية وسائل الاتصال وفى اعـتماد مبـدأ حرية تداول الأنباء والمعلومات والاعتراف بحق جميع الدول فى الإعلام، ولكن ذلك كله يصبح لا معنى له إذا لم تمتد هذه المبادئ لـتحكم الـنظم الإعلاميـة فى الدول الناميـة، بحيـث يـتم معالجـة سـلبيات الممارسـة الإعلاميـة فى تلـك الدول مثل إنهاء احتكار الدولة لملكيـة وسـائل الإعـلام، والاعـتراف بـأن حـق العمل فى الإعلام لجميع المـواطنين ولـيس مقصـورًا عـلى الأعـوان والمؤيـدين، وإلغاء كافة القيود التى تحول دون حرية تبادل الأنباء والأفكار مثـل الرقابـة والمنع والمصادرة وإيذاء الإعلاميين بسبب ممارستهم لحرياتهم.

وهكـذا يتضـح لنـا أن الـدول الناميـة لم تكـن مخلصـة فى تبنيهـا للنظـام الإعلامى الدولى الجديد، فهى تدعو لمبادئ لا تؤمن بها، وتطرح أفكارًا لا تطبقها، وترفع شعارات ترفض الاعتراف بها، لذلك كان طبيعيًّا أن يفشـل مشروع النظـام الإعلامى الدولى الجديد.

مراجع الفصل السادس

(1) عبد الرحمن، عواطف: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية (عالم الفكـر)، الكويـت، ص 43-58.

(2)Faster. Heill: Communication in History. "The Macmillan Company" London. New York, pp. 37-42 .

(3)Boll. Land: An Introduction to Communication. "Heinemann" London. 2001, pp. 112-118 .

(4) المصمودى. مصطفى: النظام الإعلامى الجديد (عالم الفكر). الكويت، ص 226.

(5)Mott. Frank: The News in America. "Harvard University Press" U.S.A. 2007, pp. 207-212 .

(6) شيللر. هربرت: المتلاعبون بالعقول. (عالم الفكر) الكويت، ص 165-173.

(7)Smith. Williams: Television in America. "Hasting House". New York, 2006, p. 119 .

(8)Chalkley. Alan: Redio and Television in Asia "Heinemann". London. 2007, pp. 93-94 .

(9)Fang. Irving. E.: Television News. "Hasting House Publishers: "New York" 2001, pp. 28-30 .

(10)Ibid., p. 72 .

(11)Ibid., p. 211 .

(12) ماكبرايـد: شـون: أصـوات متعـددة وعـالم واحـد، الاتصـال، المجتمـع، اليـوم وغـدا، (اليونسكو- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) الجزائر، ص 452-457.

الفصل السابع

الإعلام العربي الدولى

هل للعرب إعلام دولى ؟

قد يبدو السؤال غريبًا للبعض، خاصة أن هناك العديد من الجرائد اليومية العربية التى تطلق على نفسها "جريدة العرب الدولية"، ويوجد ضعفها من المجلات العربية التى تُزيل اسمها بلقب "مجلة العرب الدولية"، ولكل دولة عربية، وكالة أنباء، لها مكاتب ومراسلون فى العديد من عواصم العالم، ويفترض أن ترسل وتستقبل مئات الأخبار العربية والدولية يوميًا، كما أن هناك العشرات من الإذاعات العربية الموجهة إلى كافة أنحاء العالم، وبعضها يذيع بأكثر من ستة وثلاثين لغة !

وللعرب أيضًا قمر للاتصالات، أطلقوا عليه اسم "عربسات"، ولمصر قمران هما (نيل سات واحد ونيل سات اثنين)، وهما قادران على بث البرامج التليفزيونية العربية داخل العالم العربى وخارجه، وعبرهم جميعًا تنطلق مئات القنوات الفضائية العربية، وبعضها يبث خدماته بلغات أجنبية. ورغم ذلك كله فلست متجاوزاً للحقيقة عندما أقول: إنه لا يوجد إعلام عربى دولى بالمعنى الصحيح..!

- 1 -

الصحافة العربية الدولية

يمكن أن نميز بين خمس مجموعات من الصحف العربية التى تدعى لنفسها صفة "الدولية"، وهى:

المجموعة الأولى: وهى صحف "الجاليات العربية" فى الخارج، وهى تصدر باللغة العربية وتوزع بصفة أساسية على أبناء الجالية العربية فى البلد الذى تصدر فيه، وهذه الصحف تنتشر أساسًا فى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا.

ومن النادر أن تسعى هذه الصحف إلى التوزيع خارج حدود البلد الذى تصدر فيه، كما أن صدورها فى بلدان بعيدة عن العالم العربى حال بينها وبين التفكير فى التوزيع داخل الوطن العربى، لذلك فإن اهتمام هذه الصحف يكاد أن ينحصر فى تغطية نشاطات أبناء الجالية العربية فى البلد الذى تصدر فيه، بالإضافة إلى نشر أخبار متفرقة عن العالم العربى.

المجموعة الثانية: الصحف العربية المهاجرة، وهى تلك الصحف التى اضطرت إلى الهجرة من الوطن العربى أو تلك التى أصدرها صحفيون مهاجرون من الوطن العربى، وذلك بسبب افتقاد هذه الصحف وأولئك الصحفيون لحرية التعبير داخل أقطارهم العربية، وأكثر هذه الصحف يصدر من لندن وباريس وبعض العواصم الأوربية الأخرى.

وظاهرة هجرة الصحافة العربية، ظاهرة قديمة، عرفتها الصحافة العربية

فى فترة مبكرة من تاريخها، فقد نشأت الصحافة فى عام 1828م عندما صدرت جريدة "الوقائع المصرية"، فى حين أن أول صحيفة عربية مهاجرة، ظهرت فى عام 1858م، عندما أصدر رزق الله حسون الحلبى صحيفة "مرآة الأحوال" فى الآستانة، عاصمة الدولة العثمانية، أى بعد سبعة وعشرين عامًا فقط من نشأة الصحافة العربية!

أما أغلب الصحف العربية المهاجرة فى الفترة الحاضرة، فإن هجرتها تعود إلى نشوب الحرب الأهلية اللبنانية فى عام 1975م وما زالت بقاياها قائمة حتى الآن، وكانت لبنان قد شهدت منذ نهاية الخمسينيات وحتى منتصف السبعينيات، نهضة صحفية بسبب وجود قدر كبير من الحريات الصحفية، وقد مكنت هذه الحريات الصحافة اللبنانية من أن تكون ساحة للحوار بين القوى والمنظمات والأنظمة العربية، حيث أتيح لها التعبير عن أفكارها وسياساتها، بل وعن تناقضاتها أيضًا، وقد تم ذلك فى وقت لم يكن هناك فى الوطن العربى كله مكان غير لبنان قادر على أداء هذا الدور، وقد حمى هذا الدور العالم العربى من أن تتحول صراعاته الفكرية والأيديولوجية والسياسية إلى عنف وصراع مسلح، لذلك فإنه حين أجبرت الصحافة اللبنانية على التوقف عن أداء هذا الدور، سواء بفرض الرقابة المسبقة أو بتفجيرها بشحنات الديناميت أو احتلال مكاتبها ومطابعها بالقوة المسلحة، توقف الحوار الفكرى والأيديولوجى والسياسى على صفحات الصحف، وانطلق العنف المسلح فى الشوارع بالرصاص والقنابل.

وبغياب حرية الصحافة فى لبنان اضطر عدد كبير من الصحف اللبنانية أن يتوقف عن الصدور، فى حين بدأ عدد آخر من الصحف يشرع فى الهجرة من لبنان، ولم يقتصر الأمر على الصحف والصحفيين اللبنانيين وحدهم، وإنما هاجر معهم أيضًا العديد من الصحف والصحفيين العرب الذين سبق أن لجئوا إلى لبنان هربًا من افتقاد الحريات الصحفية فى أقطارهم! وهكذا فقد أدت الحرب الأهلية اللبنانية إلى هجرة صحفية لبنانية وعربية إلى خارج الوطن العربى.

ومـن أبـرز الصـحف اللبنانيـة التـى اضـطرت للهجـرة مجلتـى الدسـتور والحوادث، وجريدة "الحياة"، كذلك فقد أصـدر عـدد مـن الصـحفيين اللبنـانيين المهاجرين صحفًا عربية جديدة فى المهجر، ومن أبرزها مجلات: "الوطن العـربى"، و"المستقبل"، و"كل العـرب"، و"التضـامن"، و"الدوليـة". ولم تقـتصر الهجـرة كـما سبق وذكرنا على الصحفيين اللبنـانيين، وإنمـا شـملت أيضًـا أعـدادًا متزايـدة مـن الصحفيين الذين ينتمون إلى أقطار عربية أخرى، فأصدر الصـحفى السـورى عبـد الوهاب فتال جريدة "الشرق الجديد"، وأصـدر السـياسى السـورى رفعـت الأسـد مجلة "الفرسان" وأصدر الصـحفى المصرى محمـود السـعدنى مجلـة "23 يوليـو"، كما تـم إعـادة إصـدار مجلـة "الـدعوة" لسـان حـال الإخـوان المسـلمين بمصر فى النمسا.

وعندما تحول الفلسطينيون إلى طـرف رئـيسى فى الصراع العـربى - العـربى، واجهت الصحف الفلسطينية التى تصدر فى بعض الأقطـار العربيـة العديـد مـن الصعوبات والقيود، ووجدت حالات كثيرة تم فيها إغلاق الصحف الفلسطينية فى الأردن وسوريا وليبيا ولبنان، لذلك اختارت الصحافة الفلسطينية أن تصدر خارج الوطن العربى حتى لا تكون رهينة لأى نظام عربى يمنحها حق التعبير وقتما يشاء ويمنـع عنها هـذا الحـق وقـتما يشـاء أيضًـا، حسـب درجـة تأييـد الفلسـطينيين لتوجهات هذا النظام وسياساته، لذلك غلب عـلى هجـرة الصـحافة الفلسـطينية، طابع الهجرة الخارجية، بحيث أصبحت غالبيـة الصـحف الفلسـطينية المهـاجرة، تصدر خارج الوطن العربى حيث تركز معظمها فى قبرص، ووجد بعضـها فى لنـدن وبـاريس، ومـن أبـرز الصـحف الفلسـطينية التـى صـدرت فى المهجـر، جريـدة "القدس" اليومية التى تصدر فى لندن، ومجلـة "اليـوم السـابع" التـى صـدرت فى باريس.

ويلاحظ أن أغلب الصحف العربية المهاجرة، كانت تصدر وعينها على الـوطن العربى وقضاياه ومشكلاته، لذلك فإن أغلب مادتها الصحفية كانـت تتنـاول شـئون العـالم العـربى، كـما أن توزيعهـا يـتم معظمـه داخـل الأقطـار العربيـة، ويلاحـظ

أن توزيع هذه الصحف فى العالم العربى، يرتبط بدرجة كبيرة على طبيعة علاقاتها بالأنظمة العربية. حيث يسمح بتوزيع هذه الصحف، أو منع توزيعها فى بلد عربى معين، حسب المدى الذى تذهب إليه هذه الصحف فى تأييد أو معارضة سياسات هذا البلد وتوجهاته، وبسبب الخلافات بين الأنظمة العربية، أتيح للصحف العربية المهاجرة أن تلعب دورًا مهمًّا فى السياسة العربية، حيث تحولت بعض هذه الصحف إلى أداة للدفاع عن سياسات بعض الأنظمة العربية، وسلاح إعلامى تستخدمه تلك الأنظمة فى معاركها السياسية مع غيرها من الأنظمة العربية المخالفة لها. وهكذا أصبحت الصحف العربية المهاجرة أسيرة لنفس النظم التى هاجرت هربًا من سطوتها!

المجموعة الثالثة: وهى تضم ما سمى "الطبعات الدولية" لعدد من الصحف العربية المحلية، مثال ذلك "الأهرام الدولى" و "القبس الدولى" و "النهار الدولى"، وهذه الطبعات الخاصة من الصحف العربية موجهة بالأساس إلى القراء العرب فى خارج الوطن العربى وإن كان بعضها يوزع فى بعض الأقطار العربية، بل إن توزيع البعض منها داخل الوطن العربى يفوق كثيراً ما يوزع منه خارج الوطن العربى.

ويغلب على المادة الصحفية التى تقدمها هذه الطبعات الخاصة من الصحف العربية، الاهتمام بالشئون المحلية للبلد الذى تصدر منه هذه الصحيفة، أو ما يسمى بأخبار الوطن الأم، ثم يلى ذلك الاهتمام بالشئون العربية العامة، ثم الشئون الدولية، وهكذا فإن الشئون الدولية تحتل المكانة الأخيرة فى اهتمامات تلك الصحف "الدولية".

المجموعة الرابعة: وهى تضم الصحف التى أصدرها صحفيون عرب، بتشجيع من حكوماتهم أو بعدم معارضة منها، فى بعض العواصم الأوربية، وذلك للاستفادة من الإمكانات الصحفية المتطورة فى الغرب، أو للتحايل على بعض القوانين الصحفية المحلية التى تمنع الملكية الفردية فى الصحافة أو التى تحول دون

إنشاء صحف جديدة، وبعض هذه الصحف، سعت إلى إصدارها فى خارج الوطن العربى أنظمة عربية ظنًا منها أن مجرد صدورها فى الخارج يعطيها طابع الحياد والموضوعية، ومن ثم يجعلها وسيلة إعلام غير مباشرة عن سياسات هذه الأنظمة ومواقفها.

ويندرج فى هذا اللون من الصحف، جريدة "الشرق الأوسط" السعودية التى تصدر من لندن.

المجموعة الخامسة: وهى تضم الصحف التى تصدر بلغات أجنبية فى بعض الدول العربية، وتوزع بين الأجانب الذين يعيشون أو يعملون فى هذه الدول بالإضافة إلى أعداد قليلة من المواطنين العرب الذين يجيدون اللغات الأجنبية التى تصدر بها تلك الصحف، ولا تخلو دولة عربية من صحيفة أو أكثر تصدر بلغة أجنبية، وهى ظاهرة تاريخية بدأت منذ العصر الاستعمارى، حيث حرصت الدول الاستعمارية على إصدار صحف محلية فى الدول التى تحتلها بلغة الدولة المستعمرة لخدمة جنود الاحتلال والجاليات الأجنبية، وأكبر دليل على ذلك أن الصحافة نشأت فى الوطن العربى أجنبية، وكانت أولى الصحف التى عرفها العالم العربى، هما صحيفتى: بريد مصر Le Courriére de L'Egypte التى صدرت بالقاهرة فى 29 أغسطس 1798م، و "العشرية المصرية" La Deca de Egyptienne والتى صدرت فى أول أكتوبر 1798م، وكان ذلك وقت الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801م).

ولنحاول الآن أن نطبق شروط ومواصفات الصحيفة الدولية على الصحف العربية التى تضمها المجموعات الصحفية الخمس السابقة.

وقد سبق أن حددنا التعريف العلمى للصحيفة الدولية حيث يرتبط الطابع الدولى لصحيفة ما وبين انتشارها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول أو الأمم، وقوة تأثيرها خارج الحدود الوطنية والقومية والنابعة من عمق المضمون

وتنوعه وإصدارها بلغة تسمح لها بالانتشار على النطاق العالمى أو إصدار طبعات منها بلغات متعددة، وبذلك لا بد من توافر ثلاثة شروط فى الصحيفة الدولية. **الأول:** انتشار توزيعها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول. **الثانى:** قوة التأثير خارج الحدود الوطنية والقومية وهى قوة نابعة من عمق المضمون وتنوعه. **الثالث:** الصدور بلغة تسمح بالانتشار على النطاق العالمى أو إصدار طبعات بلغات متعددة تسمح للصحيفة بالوصول إلى قراء خارج نطاق حدودها الوطنية أو القومية.

ومن المهم أن نؤكد على ضرورة توافر الشروط الثلاثة مجتمعة فى الصحيفة الدولية، بحيث إذا افتقدت الصحيفة أحد الشروط، فقدت طابعها الدولى.

وبتطبيق الشروط الثلاثة على الصحف العربية التى تدعى لنفسها صفة الدولية، نواجه بالحقائق التالية:

أولاً: أن صحف الجاليات الغربية فى المهجر، ينحصر توزيعها داخل نطاق الدولة الأجنبية التى تصدر فيها، ولا يقرؤها سوى أبناء الجالية العربية بها، وغالبا فإن مادتها الصحفية مقصورة على تلبية اهتمامات أبناء الجالية بشئونهم المحلية وببعض أنباء الوطن العربى أو الدولة الأم لأبناء الجالية، لذلك فإن هذه الصحف تفتقد لكافة شروط الصحيفة الدولية.

ثانيًا: أن الصحف التى تنتمى إلى المجموعات الثانية والثالثة والرابعة، فهى جميعها تصدر باللغة العربية، وانتشارها مقصور على القراء العرب، وتأثيرها محدود على قطر عربى بعينه، وقد يمتد هذا التأثير إلى أقطار عربية أخرى، ولكنها فى كافة الحالات عديمة التأثير على القراء غير العرب فى الدول الأجنبية التى توزع فيها لأنهم بالطبع لا يقرءونها، إذ لا تستطيع أى من هذه الصحف أن تدعى أن لها قراء يعتد بهم من أبناء الشعوب الأوربية أو الأمريكية، أو بين الشعوب غير العربية فى آسيا أو أفريقيا.! ولذلك فهى تفتقد جميعها للشروط الواجب توافرها فى الصحيفة الدولية.

ثالثًا: المجموعة الخامسة والأخيرة، وهى الصحف التى تصدر بلغات أجنبية فى بعض الأقطار العربية، فهى أشبه بصحف المجموعة الأولى، صحف الجاليات، فتوزيعها محدود على أبناء الجاليات الأجنبية المقيمة أو الزائرة للبلد العربى الذى تصدر فيه، ورغم أن بعضها قد يصدر بلغات دولية مثل الإنجليزية أو الفرنسية إلا أن توزيعها غير دولى وكذلك تأثيرها، وبذلك فهى تفتقد لشروط الصحيفة الدولية.

ونخلص من ذلك بأن العالم العربى يفتقد الصحافة العربية الدولية، التى تصدر فى العالم العربى وتنتشر بين كافة شعوب العالم، وهو أمر يعود بالدرجة الأولى إلى كون اللغة العربية ليست لغة دولية كاللغة الإنجليزية أو الفرنسية، وأن هذا يرجع إلى أسباب تاريخية وحضارية وسياسية، ورغم تزايد نفوذ اللغة العربية فى ربع القرن الأخير واعتراف الكثير من المنظمات الدولية بها، إلا أنها ما زالت فى مجال وسائل الإعلام، لغة غير دولية، لا يقرأ بها سوى العرب وأقلية نادرة من المستشرقين أو الدارسين أو المهتمين بالشئون العربية، وهى قلة لا تشكل بأى حال جمهورًا يعتد به فى مجال الصحافة الدولية.

واعتقد أن الطريق المتاح الآن لإيجاد صحافة عربية دولية، أن تعمل الصحف العربية الكبرى والتى تتمتع بنفوذ واسع فى الوطن العربى، أن تصدر طبعات باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، ولكن هذا فى حد ذاته لا يكفى لأن تكتسب هذه الطبعات الإنجليزية أو الفرنسية صفة "الصحافة الدولية" إلا إذا نجحت هذه الصحف فى تقديم خدمة صحفية قادرة على جذب القارئ غير العربى خارج حدود الوطن العربى، وأن تكون لهذه الصحف قدرة على التأثير تتخطى الحدود المحلية، عبر الآفاق الواسعة فى المجتمع الدولى.

- 2 -

وكالات الأنباء العربية

يكاد يكون لكل دولة عربية، وكالة أنباء خاصة بها، إذ يوجد بالعالم العربى 19 وكالة أنباء عربية، يقتصر نشاط أكثرها داخل الدولة التى تنتمى إليها، وقد يمتد نشاط بعضها إلى المنطقة العربية، أما العدد القليل منها فهو الذى له نشاط فى بعض العواصم العالمية، وخاصة فى الدول الغربية. وقد أنشئت غالبية وكالات الأنباء العربية فى الفترة التى تمتد ما بين الخمسينيات والسبعينيات، فقد تم إنشاء وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية فى عام 1956م، وتم إنشاء وكالة الأنباء المغربية ووكالة الأنباء العراقية فى عام 1959م، وفى عام 1961م تم إنشاء وكالات أنباء لبنان والجزائر وتونس، وأنشئت وكالة الأنباء الليبية فى عام 1964م، أما وكالة الأنباء السورية ووكالة الأنباء الأردنية فقد أنشئتا فى عام 1965م، وأنشئت وكالة أنباء عدن فى عام 1968م، واليمن الشمالى فى عام 1969م، وذلك قبل توحد الدولتين فى دولة واحدة. أما وكالة الأنباء السعودية ووكالة الأنباء السودانية فقد أقيمتا فى عام 1970م، وفى عام 1975م أعلن عن قيام وكالة أنباء قطر وموريتانيا وعمان، وفى عام 1976م تم إنشاء وكالة أنباء الإمارات العربية المتحدة، والبحرين والكويت، وباستثناء عدد قليل من الوكالات العربية، فإن أغلبها أقرب ما يكون إلى المكاتب الإعلامية التابعة لوزارات الإعلام مباشرة، والعنصر البشرى والإمكانات المادية فى الكثير منها لا يسمح حتى بتكوين شبكة متكاملة من المكاتب المحلية، وبعضها لا يزيد عدد العاملين فيها على ثلاثين محررًا وصحفيًّا ومندوبًا، وهو الأمر الذى يدفع مثل هذه الوكالات إلى

الاعتماد على خدمات وكالات الأنباء العالمية، ليس فقط فيما يتعلق بالأنباء الدولية والعربية، بل وأيضًا بالأنباء المحلية ذاتها، فليس من الغريب أن تنقل بعض الوكالات العربية عن الوكالات الأجنبية أحداثًا تجرى فى محيطها الجغرافى والثقافى والوطنى.

ومن الأمور التى تعوق النشاط الدولى بل والإقليمى والمحلى للعديد من وكالات الأنباء العربية، الارتباط الوثيق بين هذه الوكالات والسلطة السياسية فى بلادها، حيث تخضع معظم الوكالات العربية للسيطرة الحكومية المباشرة. وعلى سبيل المثال فقد ظلت وكالة الأنباء السودانية فترة طويلة من الوقت تابعة مباشرة لرئيس الجمهورية، الذى قال فى زيارة له لمقر الوكالة "نحن وسونا نحكم السودان"! وسونا هو الاختصار لإسم الوكالة باللغة الإنجليزية SUNA، فلم تكن الوكالة السودانية مجرد جهاز إعلامى لجمع ونقل الأخبار المحلية والخارجية كما جاء فى قانون إنشائها، ولكنها كانت جهاز معلومات ذات أهمية خاصة لأمن الدولة، فأنشئت شبكة اتصالات للوكالة ربطت الأقاليم السودانية المختلفة من خلال جهاز لاسلكى وجهاز تلكس، وقد استفادت الدولة بهذه الشبكة فكانت بعض السفارات السودانية فى الخارج ترسل تقاريرها لوزارة الخارجية عن طريق الوكالة ! وفى عام 1985م أدخلت الوكالة نظام الفاكسميلى، وكان الهدف من استخدامه نقل الأخبار والتقارير الأمنية والسياسية إلى رئيس الجمهورية أثناء تواجده بالخارج، وجرى استخدام الجهاز لأول مرة أثناء زيارة الرئيس السودانى السابق جعفر النميرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى مارس 1985م حيث كانت تنقل إليه أخبار المظاهرات الشعبية التى أطاحت بنظامه فى 5 أبريل 1985م! وقد شهدت السنوات العشرة الأخيرة تطورًا فى عدد من الوكالات العربية عن طريق زيادة إمكاناتها البشرية والفنية واستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة، وتعتبر وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية، أكثر الوكالات العربية نشاطًا فى

المنطقة العربية وعلى المستوى الدولى، وللوكالة مندوبون فى معظم العواصم العربية وعدد من العواصم الدولية المهمة خاصة فى بلجراد وبرلين ولندن وباريس وواشنطن.

وهناك وكالة الأنباء السعودية ولها مكاتب فى عدد من العواصم العربية والدولية، وتوجد أيضًا وكالة أنباء المغرب العربى، ولها علاقات وثيقة بعدد من وكالات الأنباء الأفريقية.

ومع التطور الحاصل فى نشاط وإمكانات وكالات الأنباء العربية، فإنها تظل عاجزة عن أداء الدور المأمول منها فى مجال الإعلام العربى الدولى، فهى لا تزال تعتمد فى تغطيتها للعديد من الأحداث الدولية المهمة، بل والعديد من الأحداث الإقليمية والمحلية على وكالات الأنباء العالمية، كذلك فإن وكالات الأنباء العربية لا تشكل حتى الآن مصدرًا من مصادر الأنباء العربية التى تنشر فى وسائل الإعلام الأجنبية، بسبب غلبة الطابع الرسمى على ما تبثه إلى الخارج من أنباء وتقارير. فهل نطمع والحال كذلك أن تعتمد وسائل الإعلام الأجنبية على المصادر العربية..!

- 3 -

الإذاعات العربية الدولية

إن أكثر من نصف الدول العربية تقريبًا يقدم خدمات إذاعية موجهة إلى مناطق خارج حدوده الوطنية، وأكثر هذه الخدمات يوجه إلى مناطق فى العالم العربى، وبعضها يوجه إلى الشعوب الإسلامية فى الدول غير العربية، وبعضها الآخر يسعى للوصول إلى أنحاء متفرقة فى العالم، فى أفريقيا وآسيا وأوربا والأمريكيتين.

ولقد بدأت مصر فى الاهتمام بالخدمات الإذاعية الموجهة فى فترة مبكرة بعد قيام ثورة 23 يوليو 1952م، وكانت بث 43 خدمة خارجية باثنتين وثلاثين لغة إلى مختلف أنحاء العالم، وبعدد ساعات كان يصل إلى حوالى 400 ساعة أسبوعيًا.

وتقدم المملكة العربية السعودية خدمات إذاعية خارجية باثنتى عشرة لغة، وبعضها يصل إلى أوربا والولايات الأمريكية، فى حين يوجه أغلبها إلى المناطق التى تضم غالبية من المسلمين فى أفريقيا وآسيا، ويغلب على هذه الخدمات طابع الدعوة الإسلامية.

أما الإذاعة السورية فهى تبث 12 خدمة إذاعية باللغات الإنجليزية والفرنسية والعبرية، وهى موجهة إلى إسرائيل والمغرب العربى ومناطق فى غرب أوربا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وكان العراق بقدم خدمات إذاعية

خارجية باللغات الكردية والفارسية والعربيـة والروسـية والإنجليزيـة والفرنسـية والألمانية والأوردية، وهى تخـدم منـاطق فى آسـيا وغـرب أوربـا، وتوجـه تـونس بـرامج خارجيـة أسـبوعية باللغـة الفرنسـية، وتسـتهدف الوصـول إلى منـاطق فى أفريقيـا الفرنسـية والبحـر المتوسـط وأوربـا، وهـى تبـث برامجهـا عـلى الموجـة المتوسطة، ويبث الأردن بـرامج موجهـة بـثلاث لغـات أجنبيـة وهـى الإنجليزيـة والأسبانية والعبرية، وهى تستهدف معظم الـدول الأوربيـة والأمـريكتين وشـمال أفريقيا، ويبث السودان برامج إذاعية خارجية بالإنجليزية والصومالية.

والسؤال الآن: ما الـدولى ومـا غـير الـدولى فى الخـدمات الإذاعيـة العربيـة الخارجية ؟ إن اكتساب الطابع الدولى لخدمة إذاعية ما، رهن بمدى انتشارها عبر الحدود والحواجز التى تفصل بين الدول أو الأمم، وقـوة تأثيرهـا خـارج الحـدود الوطنيـة أو القوميـة والنابعـة مـن قـدرتها عـلى تلبيـة الاحتياجـات الإعلاميـة للمستمعين، ثم تحدثها بلغة دولية تسمح لها بالانتشار على النطـاق العـالمى أو التحدث باللغات الوطنية لجمهور المستمعين، فالإذاعة الدولية هـى التـى تصـل خدمتها إلى مختلف أنحاء العالم حتى يسمعها معظم شعوب العالم، وهناك مـن يوسع من حدود المفهوم، بحيث تشمل الإذاعة الدولية كافة الخـدمات الإذاعيـة التـى يصـل صـوتها إلى جماعـة أو جماعـات خـارج حـدود الدولـة التـى تقـوم بالإرسال.

وإذا تبنينا المفهوم الضيق للإذاعـة الدوليـة، فسـوف نسـتبعد كافـة الخـدمات الإذاعيـة العربيـة الخارجيـة، أمـا إذا تبنينـا المفهـوم الموسـع، فـيمكن إدخـال بعـض الخدمات الإذاعية العربية الخارجية فى مجـال الإذاعـات الدوليـة، وفى كلتـا الحـالتين، فإننا نستبعد كل الخدمات الإذاعية العربية التى توجهها الدول العربيـة إلى المنطقـة العربية، فهذه الخدمات رغم أنها تتخطى الحدود السياسية للدول العربية التى تبث الخدمة الإذاعية، إلا أنها تظل محصورة داخل الحدود القومية للـوطن العـربى، فهـى من هذه الناحية إذاعات قومية وليست إذاعات دولية. فإذا ما انتقلنا إلى النوع الثانى

من الخدمات الإذاعية العربية الخارجية، وهـى الخـدمات التـى تبـث للشـعوب الإسـلامية فى الـدول غـير العربيـة، سـواء فى أفريقيـا أو آسـيا، فـيلاحظ أن هـذه الخدمات تكاد تنحصر فى دولتين وهما مصر والمملكة العربية السـعودية، حيـث تبث مصر إذاعـة القـرآن الكـريم والتـى يغطـى إرسـالها شـمال أفريقيـا والشرق الأوسط وغرب أوربا، وتذاع على 15 موجة متوسطة وقصيرة، أما المملكة العربية السعودية فهى تبث إذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة، ويصل إرسالها إلى كافة أنحاء العالم، والمملكة تبث أيضًا إذاعة القرآن الكريم من الرياض، ويصل إرسالها إلى مناطق كثيرة فى آسيا وأفريقيا.

ورغم عدم وجود بحوث علمية تقـيس حجـم الاسـتماع وكثافتـه فى الـدول التى تصل إليها هذه الخدمات الإذاعية، فهناك العديد من الشواهد التـى تؤكـد فاعلية هذه الخـدمات الإذاعيـة الدينيـة، سـواء فى ترحيـب العديـد مـن الـدول الإسلامية بهذه الخدمات، وحرص بعض هذه الدول على تنظيم اتفاقيات إعلامية ثنائية أو عبر منظمة اتحاد الإذاعات الإسلامية للاستفادة مما تبثه هذه الإذاعات من مواد إسـلامية، كـذلك فـإن رسـائل المسـتمعين التـى تـرد مـن بعـض الـدول الإسلامية، ومن الجمعيات والمنظمات الإسلامية فى هـذه الـدول، والتـى تطالـب بزيادة ساعات الإرسال وتقويته، دليـل آخـر عـلى مـدى فاعليـة هـذه الإذاعـات العربية الإسلامية، والـدور المهـم الـذى تقـوم بـه فى مواجهـة الإذاعـات الدوليـة التبشيرية، وكذلك أهميتها فى مجال الدعوة الإسلامية.

أما بالنسبة للخـدمات الإذاعيـة العربيـة الموجهـة إلى الشـعوب الأجنبيـة غـير المسلمة، خاصة فى دول أوربا وأمريكا الشمالية، فمن الصعب تأكيد مـدى فاعليتهـا، فحقيقة الأمر أن غالبية الخدمات الإذاعية التى تقدمها بعض الدول العربية باللغات الأجنبية لا تستهدف سوى الوصول إلى المستمع الأجنبى الذى يعيش فى البلد العربى الذى تبث له هـذه الخدمـة، ومـن المشـكوك فيـه تمامًـا وجـود مسـتمعين أجانـب

للإذاعات العربية الموجهة إلى الدول الأجنبية فى أوربا وأمريكا، خاصة أن هذه الخدمات الإذاعية الوطنية فى معظم دول أوربا وأمريكا الشمالية، ويكفى لإدراك هذه الحقيقة أن العالم العربى لم يستطع حتى الآن أن يبث إذاعة عربية قومية (باستثناء إذاعة صوت العرب فى العهد الناصرى) تجمع حولها المستمعين العرب، فى حين نجحت بعض الدول الغربية فى إقامة خدمات إذاعية باللغة العربية تمكنت من استقطاب الكثير من المستمعين العرب مثل الخدمة العربية لصوت أمريكا، وإذاعة لندن العربية، وإذاعة مونت كارلو العربية، ثم هل نتصور عقلاً أن المستمع الأوربى أو الأمريكى يترك إذاعاته الوطنية فى بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا أو الولايات المتحدة، ليستمع إلى الإذاعات الخارجية الموجهة إليه من السودان أو الصومال أو من عمان أو موريتانيا.. أو من دمشق أو بغداد! إن المستمع العربى يقبل على الإذاعات الغربية الدولية مدفوعًا بإحساسه بالنقص الهائل فى الخدمات الإذاعية التى تقدمها محطته الوطنية أو القومية، سواء كان هذا النقص راجعًا إلى التخلف التقنى أو القيود السياسية، فهل يعانى المستمع الغربى من عقدة نقص مشابهة حتى يهرب من إذاعاته الوطنية إلى الإذاعات العربية الموجهة...!!

- 4 -

التليفزيون العربى الدولى

لم يتأخر العالم العربى كثيرًا فى التعرض على الخدمة التليفزيونية، فبعد أقل من عقد واحد على ظهور التليفزيون فى غرب أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، بدأ الإرسال التليفزيونى يعرف طريقه إلى العديد من الأقطار العربية، وفيما بين منتصف الخمسينيات والسبعينيات، أصبحت كافة الدول العربية تملك إرسالاً تليفزيونيًا منتظمًا، وقد كانت البداية فى عام 1956م عندما أدخلت العراق والجزائر الخدمة التليفزيونية، وبدأ الإرسال التليفزيونى فى لبنان عام 1959م، ثم دخل إلى مصر وسوريا فى زمن الوحدة عام 1960م. ثم توالى إنشاء الخدمات التليفزيونية فى بقية الدول العربية، فظهر التليفزيون فى الكويت والمغرب عام 1962م، وفى السودان عام 1963م، وفى عدن عام 1964م، ثم فى السعودية عام 1965م، وفى تونس 1966م، وفى الأردن وليبيا عام 1968م، وفى أبوظبى عام 1969م، وفى قطر عام 1970م، وفى البحرين عام 1973م، وفى سلطنة عمان عام 1974، وفى صنعاء عام 1975م.

وبمرور الوقت تزايدت أهمية التليفزيون فى العالم العربى بسبب ارتفاع نسبة الأمية وانخفاض الدخل، بحيث كاد التليفزيون أن يكون مصدرًا وحيدًا للثقافة والترفيه للملايين من المواطنين العرب، وارتفعت إعداد أجهزة الاستقبال، وزادت ساعات الإرسال، وكما هو الشأن فى معظم الدول النامية، فقد اعتمدت الدول العربية فى ملء ساعات الإرسال باستيراد البرامج من الخارج، بحيث وصلت

نسبة البرامج الأجنبيـة فى محطـات التليفزيـون العربيـة مـا بـين 40 و60% مـن مجمـوع مـا يقـدم مـن سـاعات الإرسـال، وأكـثر الـدول العربيـة بـدأت البـث التليفزيونى دون أن تملك مقومات الإنتـاج التليفزيـونى المحـلى مـما اضـطرها إلى الاعتماد بالكامل على استيراد البرامج الأجنبية. وقد حاولت بعض الدول العربيـة أن تقلل من استيراد البرامج عن طريق الإنتـاج المحـلى، ولكـن هـذه المحاولـة لم يكتب لها النجاح بسبب عدم جودة الإنتـاج المحـلى بالمقارنـة بالإنتـاج الأجنبـى، بالإضـافة إلى أن المسـتورد مـن الـبرامج التليفزيونيـة أقـل تكلفـة وأكـثر إبهـارًا وجاذبية لجمهور المشاهدين.

ورغم أن مصر تستورد حوالى 20% من برامجها من الخارج، إلا أنها تمكنت بجهـد ذاتى مـدعم بتراثهـا التـاريخى الطويـل فى مجـال الإبـداع الثقـافى الفكـرى والفنى من تحقيق قدر كبـير مـن التقـدم فى الإنتـاج التليفزيـونى مـما أتـاح لهـا إمكانية مد العديد من الدول العربية بكم معقول من الإنتاج التليفزيـونى الـذى يناسب احتياجات المشاهد العربى ويراعى قيمه وتقاليده العربية والإسلامية.

كذلك أمكن عن طريق التعـاون العـربى المشـترك تحقيـق قـدر معقـول مـن الإنتاج التليفزيونى خاصة من خلال اتحاد الإذاعـات العربيـة وشـبكة المغريفزيـون التى تضم تونس والجزائر والمغرب وشبكة الخليجيفزيون التـى تضـم دول مجلـس التعاون الخليجى وهى السعودية والكويـت والبحـرين وقطـر والإمـارات وعـمان، كذلك فقد تحقق قدر كبير من التطور فى مجال إنتاج الأخبار التليفزيونية وتبادلهـا بين الدول العربية، وقد ساعد على ذلك إنشاء الشبكة الفضائية العربية (عربسات) وإنشاء شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية للشرق الأدنى وحوض البحـر المتوسـط Medarbtel والـذى مـن شـأنه تزويـد البلـدان العربيـة بشـبكة فعالـة لخـدمات المواصلات السلكية واللاسلكية بما فيها خـدمات الراديـو والتليفزيـون، بالإضـافة إلى إنشاء الشبكة العربية لتبادل الأخبار التليفزيونية من خلال مركز التبـادل الإخبـارى

والبرامجى العربى، وكان يقلل من الاستفادة الكاملة من هذه الإنجازات الإعلامية فى مجال الخدمة التليفزيونية العربية التقلبات الدائمة فى العلاقات السياسية بين البلدان العربيـة، بالإضـافة إلى القيـود التـى تضـعها بعـض الـدول العربيـة عـلى التبادل التليفزيونى العربى.

والجدير بالانتباه، أن كافـة صـور التبـادل التليفزيـونى بـين الـدول العربيـة يدخل فى النطاق القومى، ولا يتعداه إلى المحيط الدولى، فالعـالم العـربى يسـتورد الإنتاج التليفزيونى الأجنبى، ولا يصدر شيئًا، أى أن العالم العـربى مجـرد مسـتهلك للإنتاج التليفزيونى الدولى، وليست له أية مساهمات تذكر فى الإنتاج التليفزيـونى الدولى، فالإنتاج التليفزيونى العربى، مخصص للاستهلاك المحلى أو القومى، بل إنه لا يكفى لهذا الاستهلاك وتضطر الـدول العربيـة إلى اسـتيراد مـا يغطـى سـاعات الإرسال التليفزيونى بها، وبـذلك يتضـح أن الإنتـاج التليفزيـونى العـربى، يعتـبر فى الغالب الأعم إنتاجًا محليًا، والقليل منه ذو طابع قومى، فى حين يفتقـد تمامًـا أى بعد دولى..!

- 5 -

التجربة المصرية فى البث الفضائى

تعتبر مصر - تاريخيًا - أول دولة عربية تدخل عصر القنوات الفضائية، وقد بدأ البث الرسمى لهذه القناة التى أطلق عليها "الفضائية المصرية الأولى" Esc1 فى 12 ديسمبر 1990م، وفى سنتها الأولى اكتفت القناة ببث عدد محدود من الساعات ببرامج منتقاة من قنوات التليفزيون المصرى الأرضية، ثم بدأت بعد ذلك فى إنتاج برامج خاصة بها.

وفى أول يونيو 1996م، بدأ البث الرسمى للقناة الفضائية المصرية الثانية Esc2 والتى بدأت مشفرة، ثم تحولت إلى البث المفتوح بعد إطلاق القمر الصناعى المصرى نايل سات.

وفى 31 مايو 1994م كان قد بدأ البث الرسمى لقناة النيل الدولية Nile International T.V بعد أن ظلت تبث تجريبيًا منذ 6 أكتوبر 1993، ويغلب عليها الطابع الإخبارى.

وقد أطلقت مصر القمر الصناعى المصرى الأول نايل سات فى يوم 28 أبريل 1998م واستقر فى مداره بنجاح يوم 7 مايو، وبدأ تشغيله فى يوم 31 مايو من نفس العام، ويغطى (نايل سات1) منطقة الخليج العربى بالكامل وسوريا وليبيا وتونس وبقية دول شمال أفريقيا حتى حدود الصحراء الكبرى والساحل الشمالى الأوربى للبحر الأبيض المتوسط، وهو يحمل 84 قناة تليفزيونية من خلال 12 قناة

قمرية، وعدد كبير من القنوات الإذاعية، ويصل عمر القمر ما بين 12-15 عامًا.

وفى 17 أغسطس 2000م أطلقت مصر قمرها الثانى نايل سات 2 ويصل عمر القمر حوالى 16 عامًا، ويقدم الخدمات الإذاعية التليفزيونية والإنترنت والوسائط المتعددة، كما وفر عددًا أكبر من القنوات ويغطى كامل القارة الأوربية وأجزاء كبيرة من آسيا وأفريقيا.

وقد مكن القمران مصر من تقديم خدمات فضائية للدول العربية والإفريقية والأجنبية، التى ترغب فى المشاركة فى هذا النشاط الإعلامى والاتصالى، كما يسر ذلك على المواطنين المصريين والعرب استقبال أكبر عدد من القنوات الفضائية، باستخدام أطباق وهوائيات متنوعة الأحجام مما يساهم فى خفض تكلفة الاستقبال الفضائى للمواطنين، كذلك أتاح القمر فرصة لإقامة صناعة مصرية فى مجال خدمة الأقمار الصناعية والبث الفضائى، حيث يجرى تصنيع أجهزة استقبال البث الفضائى فى مصر، كما فتح القمر مجالاً واسعًا أمام جيل جديد من المهندسين المصريين للتدريب بالمعاهد المتخصصة فى أوربا وأمريكا على مدى عامين قبل إطلاق القمر، ثم تحول القمر إلى بيت خبرة للتعليم والتدريب المهنى فى مجال الأقمار الصناعية ولكن أهم ثمار إطلاق القمر الأول والثانى هو ظهور القنوات الفضائية المصرية المتخصصة والقنوات الفضائية المصرية التعليمية، وقد بدأ البث التجريبى لقنوات النيل المتخصصة فى 31 مايو 1998م، لكنها بدأت البث الفعلى فى أكتوبر من نفس العام مع اختلاف زمنى بين ظهور كل قناة وأخرى، وتضم القنوات المصرية المتخصصة باتحاد الإذاعة والتليفزيون، وأبرزها قناة النيل للأخبار والدراما والمنوعات والرياضية والأسرة والطفل، والثقافية، والمعلومات المرئية.

أما قنوات النيل التعليمية فهى تبث حوالى 100 ساعة يوميًا، وتضم سبع

قنوات، وهى قناة النيل للتعليم الإبتدائى، والإعدادى، والثانوى، والفنى، واللغات ومحو الأمية، وقناة المعارف، وهناك بالإضافة إلى هذه القنوات، قناة النيل للتعليم العالى، وقناة المنار للبحث العلمى، وتطلق وزارة الصحة قناتين فضائيتين متخصصتين وهما قناة نفرتيتى وقناة حورس، وكانت مصر تبث قنواتها الإقليمية الست على القمر الصناعى، وهو أمر آثار الجدل حتى اليوم.

من المعروف أن قانون اتحاد الإذاعة والتليفزيون يقصر البث الإذاعى والتليفزيونى على الاتحاد، لذلك لم تعرف مصر الشبكات الإذاعية أو القنوات التليفزيونية الخاصة، مع استثناء فترة قصيرة فى بداية القرن الماضى، عندما ظهرت بعض الإذاعات الخاصة التى سرعان ما أغلقت.

وبعد إطلاق القمر الصناعى المصرى وجد تفسير مرن لقانون الاتحاد، ذهب إلى أن هذا القانون الذى يحتكر البث الإذاعى والتليفزيونى للدولة ممثلة فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون صدر قبل ظهور تكنولوجيا أقمار الاتصال الصناعية، وما نتج عنها من قنوات تليفزيونية فضائية، لذلك فهو لا يسرى إلا على البث الأرضى فقط.

وبالتالى فقد سمح للقطاع الخاص أن يمتلك القنوات الفضائية، وهكذا دخل رأس المال المصرى الفردى مجال العمل الإعلامى الفضائى، وسمح بظهور قنوات فضائية مصرية خاصة، ومنها قناتى دريم الأولى والثانية فى 31 مايو 2001م، وفى ذات التاريخ أيضًا ظهرت قناة المحور، وقناة مصر السياحية، التى توقفت بعد شهور لأسباب تمويلية، ثم قناة مزيكا الموسيقية، وقناة تميمة للتسويق، ثم ثلاث قنوات باسم ميلودى إحداها للأغانى العربية، والثانية للأغانى الأجنبية وثالثة للأفلام العربية وتبعها عدد آخر من القنوات الخاصة.

إن مصر تبث الآن ما يزيد عن ثلاثين قناة فضائية حكومية وخاصة، وهى

متاحة لأعداد تتزايد يومًا بعد يوم من المشاهدين المصريين، وهى ظاهرة تشكل طفرة بكل معنى الكلمة، ولكنها تطرح فى الوقت نفسه العديد من التساؤلات المشروعة، ومنها:

هل أحسن الإعلام المصرى استخدام هذا الكم الكبير من القنوات الفضائية المصرية ؟ وهل نجح فى أن يحقق من خلالها عائدًا يليق بمكانة مصر وتاريخها الإعلامى؟

إن التقييم الموضوعى لتجربة مصر فى الإعلام الفضائى يمكن أن نوجزه فى الملاحظات التالية:

1. استلزم الدور المصرى فى الإعلام الفضائى إقامة بنية تحتية إعلامية، تتمشى مع تطور ثورة الاتصال والمعلومات، وكان من أهم ثمار هذا الدور إطلاق القمر الصناعى المصرى: نايل سات 1 ونايل سات 2 وما ارتبط بها من صناعات فضائية تمتد من المحطات الأرضية حتى إنشاء أجهزة الاستقبال المنزلى للقنوات الفضائية، وكذلك إنشاء مدينة الإنتاج الإعلامى، وأستديوهاتها الحديثة. بالإضافة إلى تحديث الأستديوهات بمبنى التليفزيون فى ماسبيرو، وما ارتبط بذلك من تطور لكافة تكنولوجيا الإنتاج التليفزيونى سواء فى التقديم أو الإعداد أو الإخراج أو التصوير أو الديكور أو المونتاج أو فى الهندسة الإذاعية. ولقد مهد إنشاء البنية التحتية الاتصالية الطريق لاحتضان مصر العديد من القنوات الفضائية العربية، التى جعلت من القاهرة مقرًّا رئيسيًّا لها، كذلك فقد افتتحت معظم القنوات الفضائية العربية والأجنبية، مكاتب رئيسية لها بالقاهرة، بحيث تحولت القاهرة إلى عاصمة للإنتاج الفضائى فى المنطقة العربية.
2. كذلك استلزم الدور المصرى فى الإعلام الفضائى إعداد كوادر إعلامية

مدربة، تعرف كيفية التعامل مع تكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة، فى مختلف التخصصات، الإذاعية والتليفزيونية من خلال معهد الإذاعة والتليفزيون بالإضافة إلى استقدام العديد من الخبراء الإعلاميين الأجانب لنقل الخبرات الحديثة إلى شباب الإعلاميين المصريين، فضلاً عن إرسال عدد من البعثات للخارج وخاصة من المهندسين الإذاعيين للتدريب على التكنولوجيا الاتصالية الحديثة. ولم يكن غريبًا أن يكون جزءًا من الدور المصرى فى الإعلام الفضائى، قيام الإعلاميين المصريين بالعمل فى القنوات الفضائية العربية والأجنبية، ومن النادر أن ترى اليوم قناة فضائية عربية خاصة أو عامة لا تستعين بالإعلاميين المصريين.

3. لقد ساعد الإعلام الفضائى المصرى بمشاركة الإعلام الفضائى العربى على تطوير عدد من الفنون الإذاعية والتليفزيونية، وفى مقدمة هذه الفنون فن الدراما، حيث أصبحت المسلسلات العربية قاسمًا مشتركًا فى معظم القنوات الفضائية المصرية والعربية وبعد أن كانت مصر لا تنتج قبل ظهور الفضائيات أكثر من عشر مسلسلات فى العام، وصل عدد المسلسلات التى أنتجها القطاع العام والخاص المصرى فى عام 2009م إلى ما يقرب من مائة مسلسل بلغ رأس المال المستثمر فيها أكثر من نصف مليار جنيه، كذلك حدثت نهضة فى مجال الأغنية المصورة (الفيديو كليب)، وزاد عدد المطربين والمطربات والمؤلفين والملحنين وما يرتبط بذلك من صناعات إعلامية وفنية كصناعات شرائط الكاسيت والفيديو وأجهزة التسجيل وغيرها من الصناعات المغذية لهذه الفنون الإعلامية.

4. يلاحظ كثرة أعداد القنوات الفضائية المصرية، والحكومية بالذات، وهو أمر

غير معتاد فى أكثر دول العالم بمختلف أنظمتها السياسية، والاهتمام بالكم تقليد مصرى قديم فى مجال الإعلام، حيث كانت مصر خلال خمسينيات وستينيات القرن الماضى ثالث دولة فى عدد الشبكات الإذاعية بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية، ويتصور البعض أن الكثرة تعنى التنوع والتعدد، فزيادة أعداد القنوات الفضائية، لا يوفر التعددية فى الإعلام الفضائى، وذلك أن التعددية تعنى ضرورة أن يتوفر لهذه القنوات قدر من التنوع والاستقلال بعضها عن البعض الآخر، فإذا لم يكن الأمر كذلك، فلن يكون التنوع سوى مظهر خارجى فقط، حيث تتحدث كافة القنوات الفضائية بصوت واحد، وتنادى برأى واحد وإن كثر المعبرون عنه.

وقد أثرت زيادة أعداد القنوات الفضائية، التى أطلقتها مصر على مستوى ما يقدم فى هذه القنوات من برامج وأفلام ومسلسلات وخدمات تليفزيونية أخرى، فالإمكانات المادية والبشرية المتوفرة لا تستطيع أن تغطى الاحتياجات الإنتاجية والتشغيلية والمالية لهذه القنوات، مما اضطر المسئولين عن هذه القنوات إلى شغل ساعات الإرسال بألوان من البرامج والإنتاج المحلى والأجنبى غير المتميز فضلاً عن التوسع فى ساعات البث المفتوح لملء الساعات فى حوارات متكررة.

5. إن اتحاد الإذاعة والتليفزيون الذى يملك القنوات الفضائية المصرية العامة، جهاز حكومى يمثل ملكية الدولة فى الإعلام الإذاعى والتليفزيونى، والمعروف أنه إذا كانت ملكية الدولة للصحف مكروهة فى كافة الدول الديمقراطية، إلا أن هذه الدول تسمح بملكية الدولة للإعلام الإذاعى والتليفزيونى، إلا أن ملكية الدولة فى المجتمعات الديموقراطية لا تعنى سيطرة الحكومة على هذا الإعلام، لذلك حرصت القوانين فى هذه الدول على ضمان استقلال الخدمات الإذاعية والتليفزيونية المملوكة للدولة عن الحكومة، وهو ما نراه فى تجربة هيئة

الإذاعـة البريطانيـة B.B.C واتحـاد الإذاعـة والتليفزيـون الفـرنسى، وفى كافـة اتحادات الراديو والتليفزيون فى دول غـرب أوربـا وفى الهنـد. ثـم امتـد الأمـر نفسه إلى دول شرق أوربا أخيرًا، وأعداد تتزايد يومًا بعـد يـوم فى المجتمعـات النامية فى آسـيا وأمريكـا الجنوبيـة بـل وفى أفريقيـا كـما هـو الشـأن فى دولـة جنوب أفريقيا، مع السماح فى ذات الوقت للقطاع الخاص بحق البث الإذاعى والتليفزيونى، وتقوم فلسفة الدول الديموقراطية فى هذا الشأن على أن الدولـة تمثل المجتمـع كلـه بكافـة أحزابـه وقـواه السياسـية والاجتماعيـة فى حـين أن الحكومة لا تمثـل سـوى حـزب واحـد مـن المـواطنين، ولأن الحكومـة متغـيرة والدولة دائمة، وجب أن تعود ملكية وسائل الإعـلام الإذاعـى والتليفزيـونى إلى الدولة، أى إلى جميع المواطنين، بحيـث لا تسـتغل لمصـلحة حـزب واحـد مـن المواطنين، لذلك تمتعت كافة الخدمات الإذاعية والتليفزيونية فى هذه الـدول الديموقراطية باستقلال كامـل عـن الحكومـة، وبحريـة تامـة فى تـداول كافـة قضـايا المجتمـع، بـل كثـيرًا مـا تختلـف بعـض الخـدمات الإذاعيـة تلـك مـع الحكومة مثلما حدث من خلافات بـين هيئـة الإذاعـة البريطانيـة والحكومـة البريطانية أثناء حرب فوكلاند، وأثنـاء حـربى الخلـيج الأولى والثانيـة. فى مصر كان يلاحظ ضيق مساحة الحرية المتاح أمام القنوات الفضائية المصرية، سواء فى السياسات والقضايا والمشكلات الداخلية أو العربية أو الدولية، وهو الأمـر الذى يحد من تأثير ونفوذ هذه القنوات المصرية فى مواجهة قنـوات فضـائية عربية أخرى تمتعت لأسباب متعـددة بمسـاحة أكـبر مـن الحريـة. إن الـدور المصرى الإعلامى الفضـائى وقدرتـه عـلى التـأثير فى المنطقـة العربيـة مرهـون بزيادة مساحة الحريات المتاحة للقنوات الفضائية المصرية، وهو أمر متوقـع بعـد ثـورة 25 ينـاير، وبدايـة تحـول النظـام الإعلامـى المصرى مـن النظـام

الإعلامى المختلط (بين السمات السلطوية والديموقراطية) إلى النظام الإعلامى الديموقراطى.

6. لقد كشفت العديد من الأحداث العربية عن وضع غريب للفضائيات، حيث تبين أن مصر تملك أكبر عدد من الفضائيات الحكومية والخاصة، ولكنها جميعًا لا تخاطب سوى المصريين فى الداخل، أو العاملين منهم فى الخارج، ولا توجد لمصر قناة فضائية عربية أو دولية تخاطب الشعوب العربية والأجنبية، وأن مصر فى غمرة تمسكها بسياستها الإعلامية القائمة على الاعتدال، تركت المشاهدين العرب فريسة لعدد محدود من الفضائيات العربية، التى بنت سمعتها على قدرتها على نقد الأوضاع العربية، وفى مقدمتها الأوضاع المصرية، وهو الأمر الذى يتطلب إعادة النظر فى سياسة مصر الإعلامية العربية، وأصبح من الضرورى وجود قناة فضائية ذات طابع عربى، تخاطب كل المشاهدين العرب لا المصريين وحدهم. وأن تتمتع هذه الفضائية بمساحة كبيرة من الحرية فى نقد الأوضاع العربية، ولم يعد مقبولاً، أن تبنى معظم القنوات الفضائية العربية سمعتها ومصداقيتها على قدرتها على نقد الأوضاع فى مصر، فى حين تُحرم الفضائيات المصرية من انتقاد الأوضاع فى هذه الدول، وإذا كان من الصعب أن يقوم بهذا الدور فضائية مملوكة للدول فمن الممكن أن تقوم به فضائية خاصة، تدعم بشكل مباشر، وغير مباشر من الدولة، كما هو الشأن بالنسبة لقناة الجزيرة القطرية أو قناة العربية السعودية، أو قناة العالم الإيرانية، أو قناة الحرة الأمريكية، أو قناة B.B.C البريطانية.كذلك فمن المهم أن توفر لهذه القناة سواء كانت مملوكة للدولة، أو مملوكة للقطاع الخاص الإمكانات المادية والبشرية، التى تمكنها من المنافسة، وفى مقدمة هذه الإمكانات وجود العدد اللازم من المكاتب الخاصة، والمراسلين

فى كافة العواصم العربية والدولية، فمن الأمور اللافتة للانتباه أنه بعد مرور أكثر من سبعين عامًا على إنشاء الإذاعة المصرية، وما يقرب من خمسين عامًا على إنشاء التليفزيون، ووجود أكثر من أربعين خدمة إذاعية، وثلاثين قناة تليفزيونية أرضية وفضائية ومتخصصة، لا يوجد لاتحاد الإذاعة والتليفزيون المصرى مكتب خارجى واحد، فى أى عاصمة عربية أو دولية، وأن أغلب مراسليه فى الخارج ليسوا من كوادره الإعلامية!

7. إن القول بوجود قناة فضائية دولية لمصر تتمثل فى قناة النيل الدولية Nile T.V International يحتاج إلى مراجعة، وقد بدأ البث الرسمى لهذه القناة فى 31 مايو 1994م، بعد أن ظلت تبث تجريبيًّا من 6 أكتوبر 1993، بمعدل أربع ساعات يوميًّا منها ثلاث ساعات بالإنجليزية، وساعة باللغة الفرنسية، ثم أخذت تتوسع حتى صارت تبث لمدة 15 ساعة يوميًّا، وأضيف إليها خدمة باللغة العبرية فى أول يناير 2002م، إن اكتساب الطابع الدولى لخدمة تليفزيونية ما، رهن بتوفر ثلاثة عوامل: كما سبق وأشرنا وهى:

- انتشارها عبر الحدود والحواجز، التى تفصل بين الدول.
- والبث بلغة تسمح بالانتشار على النطاق العالمى.
- وقوة التأثير خارج الحدود الوطنية.

ومن المهم توافر العناصر الثلاثة مجتمعة فى القناة الدولية، بحيث إذا فقدت القناة عنصرًا منها فقدت طابعها الدولى.

وإذا ما حاولنا أن نطبق هذا المفهوم على قناة النيل الدولية، لوجدنا أنها تفتقد إلى العنصر الثالث، المرتبط بقوة التأثير، وتلبية الاحتياجات الإعلامية للمشاهدين الأجانب.

وهناك العديد من الشواهد، التى تؤكد عدم فاعلية هذه القناة ومن المشكوك فيه تمامًا وجود مشاهدين أجانب لها فى أوربا وأمريكا، خاصة أن برامجها تعتبر

من الناحية التقنية والفكرية متخلفة كثيراً بالمقارنة بالخدمات التليفزيونية الوطنية فى معظم دول أوربا وأمريكا الشمالية، ويكفى لإدراك هذه الحقيقة أن العالم العربى لم يستطع حتى الآن أن يبث إذاعة عربية قومية باستثناء إذاعة صوت العرب فى العهد الناصرى، التى استطاعت أن تجمع حولها المستمعين العرب، فى حين نجحت بعض الدول الغربية فى إقامة خدمات إذاعية باللغة العربية، تمكنت من استقطاب الكثير من المستمعين العرب، مثل الخدمة العربية لصوت أمريكا، وإذاعة لندن العربية، وإذاعة مونت كارلو العربية، ثم هل نتصور عقلاً أن المشاهد الأوربى أو الأمريكى يترك قنواته الوطنية فى بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا أو الولايات المتحدة ليشاهد القناة المصرية الموجهة إليه.

إن المشاهد العربى يقبل على القنوات الغربية الدولية مدفوعًا بإحساسه بالنقص الهائل فى الخدمات التليفزيونية التى تقدمها محطته الوطنية، سواء كان هذا النقص راجعًا إلى التخلف التقنى، أو القيود السياسية، فهل يعانى المشاهد الغربى من عقدة نقص مشابهة حتى يهرب من قنواته الوطنية إلى القنوات المصرية الموجهة إليه.

- 6 -

التجربة العربية فى البث الفضائى

بعـد ظهـور الفضـائية المصريـة بفـترة قصـيرة اسـتأجرت المملكـة العربيـة السعودية فى نهاية عام 1990م قناتى التليفزيون غزيـرتى الإشـعاع بـالعرب سـات وخصصتهم لبث قناتيها المحليتين إلى الفضاء، وبـذلك كانـت قناتيهـا الفضـائيتين ليسا سوى امتدادًا لقناتيها الأولى والثانيـة الأرضـيتين، وفى منتصـف عـام 2004م، أطلقـت السـعودية قنـاة (الإخباريـة) الفضـائية بجانـب قنـاة فضـائية رياضـية، وأصبح للسعودية أربع قنوات فضائية حكومية، تابعة لوزارة الإعـلام السـعودية، ويلاحظ أن معظم القنوات الفضائية العربية الحكومية الأولى ظهرت على النحـو التـى ظهـرت بـه القنـاتين السـعوديتين الأولى والثانيـة، أى مجـرد بـث القنـوات الأرضية المحلية إلى الفضاء، فقد ظهرت القناة الفضـائية الكويتيـة الأولى فى الأول من أكتوبر عام 1992م كامتداد للقناة الكويتية الأرضية الأولى، كـما تعـد القنـاة الفضائية الكويتية الثانية امتداد للقنـاة الكويتيـة الأرضـية الثانيـة، وكـذلك كـان الشأن مع قناة أبو ظبى الفضائية فى عـام 1996م والفضـائية البحرينيـة فى الأول من أكتوبر 1996م، والفضائية القطرية فى أوائل عام 1993م، والفضائية العمانية فى أوائل عام 1993م، والفضائية السـورية فى يونيـو 1995م، والفضـائية اللبنانيـة فى عام 1996م، والفضائية الأردنية فى فبراير 1993م، والفضائية الفلسـطينية فى 6 يونيـو 1994م، والفضـائية العراقيـة فى 17 يوليـو 1993م، والفضـائية اليمنيـة فى الأول مـن سـبتمبر 1996م، والفضـائية السـودانية فى الأول مـن يونيـو 1995م،

والفضـائية التونسـية فى 7 نـوفمبر 1992م، والفضـائية الجزائريـة فى الأول مـن أكتوبر 1994م، والفضائية المغربية فى 3 مارس 1993م، والفضـائية الموريتانيـة فى الأول من ديسمبر 1994م، أما القنـوات الفضـائية العربيـة الخاصـة فقـد بـدأت بظهور محطة مركـز تليفزيـون الشرق الأوسـط MBCI التـى بثـت إرسـالها مـن لنـدن فى 18 سـبتمبر 1991م، وبـذلك تعتـبر أول قنـاة فضـائية عربيـة خاصـة، وبتمويل سعودى، وبعـدها بفـترة ظهـرت MBC2 كقنـاة متخصصـة فى الـدراما الغربية ثم أطلق مركز تليفزيون الشرق الأوسـط قناتـه الإخباريـة المتخصصـة فى 20 فبراير 2003م، وللمركز عدد آخر من القنوات المتخصصة أبرزها قناة MBC4 الرياضية، ومن العاصمة الإيطالية روما بـدأت شـبكة راديـو وتليفزيـون العـرب الفضائية تبث عددًا آخر من القنوات الخاصة ذات التمويل السعودى بـدءًا مـن 18 أكتوبر 1993م وبتمويل سعودى خاص أيضًـا ظهـرت شـبكة (أوربـت) فى 25 مايو 1994م من روما أيضًا.

وفى عام 2003م بدأ البـث التـدريجى لقنـوات (روتانـا) الفضـائية وبتمويـل سعودى أيضًا وبصدور قانون تنظيم وسـائل الإعـلام المـرئى والمسـموع فى لبنـان فى عام 1996م، بدأت تختفى بالتـدريج حـوالى 50 محطـة تليفزيـون أرضـية خاصـة كانت قد ظهـرت خـلال فـترة الحـرب الأهليـة اللبنانيـة التـى اسـتمرت منـذ عـام 1975م وحتى عام 1991م، أما المحطات الجديـدة التـى رخـص لهـا ببـث قنـوات أرضية وفق القانون الجديد ما لبثت أن قامت ببث قنوات فضائية جاءت امتـدادًا لمحطاتها الأرضية، ففى 29 أكتوبر 1993م بدأ بث قناة المستقبل الفضائية وكانـت امتدادًا لمحطة تليفزيون المستقبل الأرضية، وهو مـا حـدث تقريبًـا مـع الفضـائية الدولية للمؤسسة اللبنانية للإرسال I.B.C وقناة المنار الفضـائية، وقنـاة تليفزيـون المر الفضائية وغيرها من القنوات الفضائية اللبنانية التـى كانـت فى حقيقـة الأمـر امتداد لمحطاتها التليفزيونية الأرضية، وفى الأول من نوفمبر 1996م بـدأ بـث قنـاة

الجزيرة الفضائية من قطر ورغم أن إنشاء القناة تم بمرسوم أميرى وأن حكومة قطر هى الممول الرئيسى للقناة إلا أن إدارة القناة تصر على أن القناة مؤسسة مستقلة وأن دولة قطر يقتصر دورها على التمويل فى حين أن إدارة القناة مستقلة تمامًا ولها شخصية قانونية خاصة وتقوم على أسس تجارية، وقد توسع نشاط القناة بحيث أصبحت تبث عددًا آخر من القنوات الفضائية مثل الجزيرة الرياضية والجزيرة مباشر والجزيرة الدولية وغيرها.

وكان لدول المغرب العربى نصيب فى بث القنوات الفضائية الخاصة ومن أبرزها القناة الفضائية المغربية 2M International التى بدأت البث فى مارس 1989م من مدينة الدار البيضاء بتشجيع حكومى، وقناة الأندلس الفضائية التى بدأت إرسالها فى عام 1998م ومن الغريب أن الجزء الأكبر من تمويلها سعودى بالإضافة إلى عدد من الممولين العرب فى إقليم الأندلس بأسبانيا. وهناك قناة المستقلة التى انطلق إرسالها فى عام 1999م بتمويل من المعارضة التونسية، وهناك أخيرًا قناة الساعة التى انطلق إرسالها فى عام 2008م وبتمويل خاص وثيق الصلة بالحكومة الليبية.

وهناك بالطبع عشرات من القنوات الفضائية العربية الخاصة التى أضيفت إلى عشرات أخرى من القنوات الحكومية والتى تنوعت أشكالها واتجاهاتها ما بين قنوات عامة وأخرى متخصصة وأغلبها قنوات مفتوحة للجمهور العربى العام وبعضها مشفر يقدم خدماته بمقابل مادى، ونصل إلى السؤال المهم: هل أدت هذه القنوات إلى تزايد مساحات الديموقراطية فى البلدان العربية أم ضيقت من هذه المساحة وفى هذا المجال يهمنا أن نسجل الملاحظات التالية على تجربة القنوات الفضائية العربية الحكومية والخاصة بشكل عام، وفيما يتعلق بقضية الديموقراطية بشكل خاص.

1. لا بد أن نعترف بأن ظهور القنوات الفضائية العربية قد قوبل بالمخاوف وأحيانًا بالمقاومة الصريحة من قبل غالبية الحكومات العربية، وقد تمثل ذلك مبكرًا فى وضع العديد من القيود أمام السماح بتملك المشاهدين فى معظم البلدان العربية لأدوات استقبال (الدش) القنوات الفضائية الأجنبية قبل أن تظهر إلى النور أية فضائيات عربية، بل إن هذه المخاوف أو المقاومة قد عطلت المحاولات العربية للاستثمار فى المجال الفضائى، فقد تأخر مشروع إنشاء القمر العربى (عربسات) ما يقرب من عشرين عامًا، فقد أقر فى عام 1967م. فى حين لم ير النور إلا فى عام 1985م، ثم ظل منذ إطلاقه فى عام 1985م معطلاً عن أداء دوره الإعلامى الفضائى حتى عام 1990م حين استأجرت مصر القناة غزيرة الإشعاع لبث أول قناة فضائية مصرية لمخاطبة قواتها المشاركة فى معركة تحرير الكويت.

وإذا بحثنا فى طبيعة هذه المخاوف فلم يكن سببها رفض لمستحدث تكنولوجى ينقل العرب إلى عصر الفضاء، بقدر ما كانت مخاوف مما يمكن أن تفتحه هذه التكنولوجيا من أبواب جديدة للتعبير وما يرتبط بها وينتج عنها من تأثير، لقوى وتيارات سياسية وثقافية وعرقية ودينية، وهو الأمر الذى يتصادم مع الطابع السلطوى الغالب على معظم الأنظمة العربية.

وقد ضاعف من عنف هذه المخاوف ما تردد وقتها (واتضحت صحته) أن هذه التكنولوجيا الإعلامية الفضائية الجديدة غير قابلة للرقابة أو المنع أو التشويش.

2. لوحظ مع بداية البث الفضائى العربى اندفاع العديد من الحكومات العربية فى إنشاء قنوات فضائية بتمويل حكومى مباشر بحيث لم يمر وقت طويل حتى أصبح لكل دولة عربية قناة فضائية رسمية تعبر عنها وتعكس سياستها وترسم صورتها أمام الشعوب العربية، ثم تطور الأمر بحيث أصبح لكل دولة عربية

عدة قنوات فضائية حكومية وتسابقت الدول العربية فى هذا المجال بحيث أصبحت أعداد القنوات الفضائية التى تملكها كل دولة مصدر فخر لها واعتبرها البعض مؤشرًا على تقدمها فى هذا المجال، رغم أن أكثر هذه الفضائيات العربية الحكومية تكاد تكون صورة كربونية من قنواتها التليفزيونية الأرضية، ولم يزد دورها على مجرد أداة إعلامية للتعبير عن سياسة الدولة أو الحكومة والدفاع عن مواقفها وفى حقيقة الأمر فإن دورها كان أقرب إلى الدعاية منه إلى الإعلام.

ولا يرجع هذا الوضع إلى نمط ملكية الدولة لهذه القنوات الفضائية، وإنما إلى الإشراف الحكومى المباشر عليها، ذلك أن ملكية الدولة لجانب من الإعلام الإذاعى والتليفزيونى الأرضى أو الفضائى، موجود فى العديد من المجتمعات الديموقراطية، التى تحرص على ضمان استقلال وسائل الإعلام الإذاعى عن سيطرة الحكومة رغم ملكية الدولة لها.

وهذا الوضع مفتقد فى كافة البلدان العربية، بحيث إن ملكية الدولة لوسائل الإعلام الإذاعى والتليفزيونى يتم تحت إشراف الحكومة المباشر، وهو ما يترجم عمليًا باستئثار الحكومة بتوجيه وسائل الإعلام الإذاعى والتليفزيونى للتعبير عن سياساتها وحرمان كافة القوى الأخرى فى المجتمع من حق التعبير عن مواقفها من خلال هذه الوسائل.

وبالطبع فإن بعض الحكومات العربية الأكثر تطورًا قد تسمح فى بعض الحالات القليلة بالرأى الآخر فى بعض برامجها التى تبثها فى قنواتها التليفزيونية الأرضية أو قنواتها الفضائية، ولكن يظل هذا الأمر استثناء مرهون بإرادة الحكومة إن شاءت سمحت به وإن شاءت حجبته مستندة فى ذلك إلى تشريعات إعلامية تمنح الحكومات احتكار البث الإذاعى والتليفزيونى الأرضى، وتمنعه عن غيرها من

المواطنين، وقد يمتد هذا الاحتكار الحكومى إلى البث الفضائى فى عدد كبير من البلدان العربية، وحين سمح للقنوات الفضائية الخاصة فى مصر بالبث تم ذلك عبر تفسير مرن للقانون اعتمد على أن القانون الذى منح اتحاد الإذاعة والتليفزيون الحكومى وحده حق البث الإذاعى والتليفزيونى لم يكن البث الفضائى قد ظهر بعد، ورغم ذلك أرغمت هذه القنوات الفضائية الخاصة أن تعمل من داخل المنطقة الحرة، وأن تحصل على ترخيصها مما سمى بالمنطقة الإعلامية الخاصة!

وما زالت غالبية الدول العربية تحظر إصدار تراخيص لبث القنوات الفضائية الخاصة مما اضطرها لأن تبث من داخل المناطق الحرة بمدينة الإنتاج الإعلامى فى مصر ومدينة دبى الإعلامية والمنطقة الحرة بعمان وبيروت وغيرها، فى حين آثر البعض الآخر البث من خارج الوطن العربى فى لندن وباريس وروما وغيرها.

3. يلاحظ التزايد المستمر لأعداد القنوات الفضائية العربية الخاصة، وهى ظاهرة إيجابية، ويفترض أن تؤدى كما حدث فى المجتمعات الغربية إلى تدعيم التعددية والتنوع واتساع مساحات حرية التعبير والرأى.

وقد أفاض الكثيرون فى الحديث عن الدور الحيوى الذى لعبته الفضائيات العربية الخاصة فى زيادة مساحات الحرية وإتاحتها فرصة التعبير للرأى الآخر، وقد بالغ البعض فى توصيف هذا الدور إلى الحد الذى قالوا فيه: إن الفضائيات قد أدخلت الديموقراطية إلى العالم العربى.!

ومع اعترافنا بالدور المهم الذى لعبته الفضائيات العربية العامة والخاصة فى تكوين رأى عام عربى حول الكثير من القضايا التى واجهتها الأمة العربية فى السنوات العشر الأخيرة، إلا أن دورها الديموقراطى يحتاج إلى مناقشة.

ولعل أول ما يواجهنا فى هذا الأمر حقيقة أن الكثير من القنوات الفضائية

الخاصة يتم بتمويل حكومى مباشر أو غير مباشر، وليس سرًا أن العديد من شبكات القنوات الفضائية العربية الخاصة، والتى تضم كل شبكة منها العديد من القنوات الفضائية المتنوعة مملوكة لبعض أفراد الأسر الحاكمة فى البلدان العربية أو لكبار المسئولين فيها، والكثير من هذه الشبكات والقنوات تنفق أكثر من دخلها ولعل ذلك السبب فى أن الكثير من هذه الفضائيات لا تنشر ميزانياتها السنوية لكى يتعرف جمهور المشاهدين على نفقاتها ومداخيلها!.

والمتتبع لمحتوى مضامين ما تقدمه هذه القنوات الفضائية فى برامجها لا يخرج بعيدًا عن سياسات ومواقف الدول التى ينتمى إليها أصحابها، وهى لا تختلف كثيرًا عن القنوات الفضائية الحكومية التى تبثها بلدانها إلا فى تحررها من بعض القيود البيروقراطية بما يسمح لها بالإنفاق الزائد على الإبهار الفنى والجودة الإنتاجية، إضافة إلى قدر من المرونة فى البرامج الفنية والاجتماعية لا تسمح به طبيعة البلدان المحافظة لقنواتها الحكومية الأرضية أو الفضائية.

وهناك القنوات الفضائية العربية الخاصة المملوكة لبعض رجال الأعمال العرب، ونحن نعرف الطبيعة الخاصة للرأسمالية العربية، فأغلبها مصدرها يأتى من التعامل مع الحكومات العربية التى تملك كافة الثروات الطبيعية فى بلدانها، فمصالح الرأسمالية العربية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحكومات العربية، لذلك كان من الطبيعى أن تبتعد هذه القنوات الفضائية الخاصة عن الشأن السياسى والتركيز على القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية والرياضية، بدليل أن معظم هذه القنوات لا يقدم أية خدمات إخبارية أو برامج سياسية، وفى الحالات الخاصة أو الأحداث المهمة التى تضطر فيها هذه القنوات إلى معالجة الشأن السياسى فهى تلتزم التزامًا كاملاً بالدفاع عن مواقف حكومات بلدانها.

4. هناك حالة خاصة لقناة الجزيرة تحتاج إلى تحليل وتفسير وتقييم، خاصة مع

وجود استقطاب مع هذه القناة وضدها فى ذات الوقت بين عدد كبير من المشاهدين، فالمؤيدين لفضائية الجزيرة يدعون أنها فتحت أبواب الحريات الإعلامية فى الوطن العربى، وأنها حرصت على تقديم الرأى والرأى الآخر ودفعت ثمنًا غاليًا لذلك فى العديد من العواصم العربية تمثل فى إغلاق بعض مكاتب القناة، أو توقيف ومحاكمة عدد من مراسليها، إضافة إلى ازدياد أعداد الدعاوى القضائية ضد القناة فى العديد من الأقطار العربية.

وقد ادعى المسئولون عن فضائية الجزيرة أنها رفعت سقف الحرية الإعلامية فى الوطن العربى إلى حدود لا نهائية، وأن القناة رغم تمويلها من دولة قطر إلا أنها مستقلة تمامًا فى تحديد سياستها الإعلامية وفى تنفيذها، وأن أداء القناة الإعلامى يتم وفقًا للمعايير المهنية وحدها.

المختلفون مع قناة الجزيرة يدعون أن القناة شأنها شأن غيرها من وسائل الإعلام الجماهيرى تلتزم بسياسة من يملكها، وهى مملوكة بالكامل لحكومة قطر وبالتالى فهى لا تمتلك إلا الالتزام بالسياسة التى تحددها لها الحكومة القطرية.

ومن المعروف أن الحكومة القطرية بعد التغيير الذى أتى بأمير قطر الحالى، تبنت سياسة جديدة تقوم على قيام قطر بدور سياسى فاعل على المستوى الإقليمى والدولى وهو الأمر الذى استتبع إيجاد أداة إعلامية تساعد على أداء هذا الدور السياسى الجديد وكان إنشاء قناة الجزيرة لكى تؤدى هذا الدور، وقد نجحت القناة فى مهمتها بحيث تخطى دورها وشهرتها فى عدد من الحالات دور وشهرة دولة قطر ذاتها.

ومن الإنصاف الاعتراف بالدور المتميز الذى قامت به قناة الجزيرة فى التعبير عن الرأى والرأى الآخر فى كثير من الأقطار العربية وعلى مستوى الوطن العربى كله، وفى كشفها لكثير من القضايا المسكوت عنها فى معظم وسائل

الإعلام العربية الحكومية، وقد ساعدها على تحقيق ذلك كله حسن اختيار الكوادر الإعلامية العربية العاملة بالقناة والذين تميزوا بالكفاءة المهنية وارتفاع مستوى الحرفية، ولكن تظل مشكلة قناة الجزيرة أنها لا يمكن إلا أن تكون جزءًا من النظام الإعلامى القطرى، وهو للأسف نظام سلطوى، فقانون الإعلام القطرى، ما زال يعطى للسلطات الإدارية حق محاسبة ومعاقبة وسائل الإعلام، كذلك يمنع هذه الوسائل من نقد نظام الحكم فى الإمارة، وكذلك يمنع نقد الحاكم، كما أنه يمنع المواطنين من إنشاء خدمات إذاعية أو شبكات تليفزيونية ويجعل هذا الحق حكرًا على الحكومة، كذلك لا يسمح بإصدار تصاريح بإنشاء قنوات فضائية خاصة على أرض قطر، والنظام الإعلامى القطرى انعكاس للنظام السياسى القطرى، حيث لا يسمح بوجود أحزاب سياسية وبالتالى لا توجد انتخابات برلمانية، والحكومة مسئولة أمام أمير البلاد وليست كما هو الشأن فى الدول الديموقراطية أمام البرلمان.

نخلص من ذلك أن قناة الجزيرة استثناء من القاعدة فى دولة قطر، وهى موجودة ومستمرة ما دامت هناك رغبة ومصلحة للنظام الحاكم فى ذلك، فإذا ما تغيرت النظرة أو المصلحة، فلن يكون لهذه الفضائية المميزة وجود!.

إن أهمية الجزيرة يعود إلى قدرتها على نقد الأوضاع فى كافة الأقطار العربية - ما عدا قطر بالطبع - وهو أمر غير متوفر فى غيرها من القنوات الفضائية العربية لأسباب ومصالح وسياسات متعددة، وهو أمر يذكرنا بتجربة إذاعة (صوت العرب) المصرية فى العصر الناصرى حين كانت تنفرد بنقد الأوضاع فى كافة الأقطار العربية، وكان لها نفوذ على الشعوب والحكومات العربية أكثر بكثير مما هو لقناة الجزيرة الآن، ولم يكن هذا النفوذ أو ذلك دليلاً على ديموقراطية صوت العرب أو الجزيرة، فالاثنين ينتميان إلى نظام إعلامى سلطوى، وإنما اكتسبا نفوذهما على النطاق العربى نتيجة السماح لهما بنقد أوضاع

البلـدان العربيـة، وبـالطبع لم يكـن لصـوت العـرب أن يجـرؤ عـلى نقـد النظـام الناصرى، كما لا تجرؤ الجزيرة الآن على نقد نظام الحكم فى قطر.

5. يلاحظ وجود عدد من القنوات الفضائية العربية العامة والخاصة، التى تبـث خدماتها بلغات أجنبية، وتصـل بالبـث إلى خـارج حـدودها الوطنيـة بحيـث تشمل مناطق فى أفريقيا وأسيا وأوربا والأمريكتين، وهى تـدعى أنهـا قنـوات فضائية دولية، وينطبق على هذه القنوات ما سبق أن ذكرناه عن قنـاة النيـل الدولية المصرية، بحيث لا يمكن اعتبارها بأى صورة من الصور، قنوات دولية، وذلك على ضوء المعايير العلمية.

ونخلص من ذلك كله إلى القول بأن العالم العـربى، رغـم إمكاناتـه البشريـة والمادية وموقعه الإستراتيجى ما زال يفتقد إلى وجود إعلام عربى جماهيرى دولى، وأنه فى مجال الإعلام الدولى، مجرد مستهلك يعيش على ما يستورده مـن الإنتـاج الإعلامى الأجنبى!.

وإذا كان العالم العربى يشترك فى هذا الوضـع مـع كافـة دول العـالم الثالـث التى تعانى من التبعية الإعلامية للدول الصناعية المتقدمة، فإن العـالم العـربى بمـا يملكه من إمكانات، مؤهل أكثر من غـيره مـن الشـعوب والأمـم لاخـتراق حصـار التبعية الإعلامية وتحقيق استقلاله الإعلامى، وذلك فى عصر أصبح فيه الاسـتقلال الإعلامى شرط لتحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى!

مراجع الفصل السابع

(1) طرازى. فيليب دى: تاريخ الصحافة العربية – الجزء الأول (المطبعة الأدبية) بيروت، ص 55.

(2) أبو زيد. فاروق: الصحافة العربية المهاجرة (عالم الكتب) القاهرة، ص 324-333.

(3) مجلة الدستور: أسسها فى لبنان خليل أبو جودة فى عام 1927، وصدرت أسبوعية سياسية وقد انتقلت ملكيتها إلى عدة أشخاص حتى انتهت قبيل الحرب الأهلية إلى الصحفى اللبنانى على بلوط، وقد تحولت المجلة إلى تأييد النظام العراقى واضطرت إلى الهجرة إلى لندن بعد دخول الجيش السورى إلى لبنان، ويسيطر عليها فرع حزب البعث العراقى بالسودان، ويرأس تحريرها خلدون الشمعة.

(4) مجلة الحوادث: صدرت فى مدينة طرابلس عام 1911م، وكان يملكها لطف الله خلاط، ثم انتقلت ملكيتها فى عام 1956م إلى سليم اللوزى وتولى رئاسة تحريرها فى الوقت نفسه، واضطرت المجلة إلى الهجرة إلى لندن فى عام 1978 بعد تعرضها للعديد من الإعتداءات المسلحة، وفى فبراير 1980 اختطف مسلحون مجهولون اللوزى وهو فى طريقه إلى مطار بيروت مغادرًا لبنان بعد أن حضر جنازة أمه، وبعد تسعة أيام من اختطافه وجد مقتولا وبجثته آثار تعذيب شديد، وبعد مصرع اللوزى بفترة انتقلت ملكية الحوادث إلى كرم ملحم كرم ومازالت تصدر من لندن.

(5) جريدة الحياة: أصدرها فى 28 يناير 1946 كامل مروة، وغلب عليها الاتجاه اليمينى، وكانت تؤيد حزب الأحرار وكمبل شمعون أثناء أحداث عام 1958، وأثناء الحرب الأهلية فى عام 1975 تعرضت لعدة اعتداءات وقد هاجرت أخيرًا إلى لندن، حيث يرأس تحريرها جهاد الحازن.

(6) مجلة الوطن العربى: صدرت فى باريس فى فبراير 1977 وأسسها وليد أبو ظهر وهو صحفى وناشر لبنانى كان يشترك مع شقيقه هشام أبو ظهر فى إصدار جريدة المحرر اليومية فى بيروت، وقد اضطر وليد إلى الهجرة إلى فرنسا بعدما تعرض مبنى جريدة المحرر فى بيروت إلى هجوم مسلح وأضرمت فيه النار فقتل مدير تحريرها وأصيب

عدد من محرريها وعمالها وموظفيهـا، ثـم قامـت قـوات الـردع السـورية بـاحتلال مبنى الجريدة واستولت على كل ما فيها وحطمت جميع التجهيزات والآلات، وقـد أبدت مجلة الوطن العربى النظام العراقى، وإن بدأت تغير من تأييدها له فى العـام الأخير.

(7) مجلـة المسـتقبل: أسـبوعية سياسـية، صـدرت فى بـاريس فى فبرايـر 1977م ويـرأس تحريرها نبيل الخورى، وهى تحاول أن تخط طريقًا مستقلا بين الأنظمة العربية.

(8) مجلة كل العرب: صدرت فى بـاريس فى أول سـبتمبر 1982م ويـرأس تحريرهـا يـاسر هوارى، وقد بدأت معتدلة ثم انحازت إلى تأييد النظام العراقى.

(9) مجلة التضامن: صدرت فى لندن عام 1982م ويرأس تحريرها الصحفى اللبنـانى فـؤاد مطر، وقد بدأت مستقلة ثم انحازت إلى النظام العراقى.

(10) مجلة الدولية: يصدرها أنطوان نوفل من باريس، وكان يعمل مديرًا للأخبـار بإذاعـة مونت كارلو العربية، وهى مجلة معتدلة.

(11) جريدة الشرق الجديد: وهى جريـدة فى حجـم مجلـة، وأسسـها فى لنـدن الصـحفى السورى عبد الوهاب فتال فى ينـاير 1973م، وهـى جريـدة انتقاديـة يغلـب عليهـا طابع الرأى وقد خاضت معارك مع معظم الأنظمة العربية بما فيها النظام السـورى نفسه، وإن كانت أخيرًا تميل إلى تأييد المواقف السورية.

(12) مجلة الفرسان: تصـدر مـن بـاريس ويشرف عـلى إصـدارها الـدكتور رفعـت الأسـد شقيق الرئيس السورى حافظ الأسد ونائـب رئـيس الجمهوريـة السـابق فى سـوريا، وهى تميل إلى الدفاع عن السياسات والمواقف العربية السورية.

(13) مجلة 23 يوليو: أصدرها الصحفى المصرى محمود السعدنى فى لندن، وكانت مجلـة معارضة للرئيس المصرى السابق أنور السادات، وقد رأس مجلس إدارتها نور السـيد وهو نفسـه محمـود نـور الـدين المـتهم الأول فى قضـية تنظـيم ثـورة مصر المـتهم بالإعتداء على عدد من الدبلوماسيين الأمريكيين والإسرائيليين فى القاهرة، وقد شارك فى تحرير المجلة عدد من الكتاب والصحفيين المصريـين مثـل ألفريـد فـرج وفتحـى خليل وبكر الشرقـاوى وعبـد الحكـيم قاسـم وجـمال إسـماعيل ومحمـد محفـوظ بالإضافة إلى الرسامين صلاح الليثى وجورج البهجورى، وقد توقفت المجلـة بعـد أن أكملت إصدار 45 عددًا لعدم وجود التمويل الكافى لاستمرار المجلة.

(14) مجلة الدعوى: صدرت مجلة الدعوة عـام 1951م كمجلـة "أسـبوعية" ويملـك امتيازهـا صالح عشماوى ويرأس تحريرها فى الوقت نفسه، ثم توقفت المجلة فى عام 1954م، ثم عادت إلى الصدور فى عام 1976 كمجلة شهرية تعبر عن حركة الإخـوان المسـلمين، ثـم

توقفت بعد أحداث 5 سبتمبر 1981، وهاجرت بعدها إلى الخارج وأصبحت تصدر عن المركز الإسلامى بالنمسا، وتعبر عن التنظيم العالمى للإخوان المسلمين، وذلك فى نهاية عام 1981م.

(15) المصمودى. مصطفى: النظام الإعلامى الجديد: "عالم الفكر" الكويت.

(16) عبد اللطيف. صلاح: دور وكالات الأنباء الإقليمية ومجمع وكالات أنباء دول عدم الانحياز فى تحقيق التوازن الإخبارى العالمى – رسالة دكتوراه غير منشورة (كلية الإعلام – جامعة القاهرة) ص 157.

(17) المصدر السابق، ص 152 – 153.

(18) الحلوانى. ماجى، العبد، عاطف: الأنظمة الإذاعية فى الدول العربية (دار الفكر العربى)، القاهرة، ص 477-482.

(19) اتحاد الإذاعة والتليفزيون: الإذاعات الموجهة من القاهرة، القاهرة 1998، ص1.

(20) عبد الحميد. محمد: وسائل الاتصال الإدارى (العبيكان للطباعة والنشر) الرياض، 1998، ص 116-117.

(21) الحلوانى. ماجى: مدخل إلى الإذاعات الموجهة (دار الفكر العربى) القاهرة، ص 14-15.

(22) رشتى. جيهان: الإعلام الدولى بالراديو والتليفزيون (دار الفكر العربى) القاهرة، ص 3-4.

(23) العبد. عاطف: تبادل الأخبار التليفزيونية العربية (دار الهانى للطباعة) القاهرة 1998، ص 89.

(24) الشريف. سامى: الفضائيات العربية، دار النهضة العربية – القاهرة، 2004، ص42.

الباب الثالث

هيمنة القطب الواحد

ومستقبل النظام الإعلامى الدولى

الفصل الثامن

ثنائية النظام الإعلامى الدولى

من المؤكد أن أدبيات علم الإعلام، لم تعرف إصطلاح "النظام الإعلامى الدولى" حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ولكن الاصطلاح بدأ يتردد فى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات عندما شاع استخدام مصطلحات مشابهة فى مجالات السياسة والاقتصاد وغيرهما، ثم سرعان ما أخذ الاصطلاح يشق طريقه إلى الكتابات الإعلامية والأكاديمية عقب المحاولة التى تبنتها منظمة اليونسكو فى منتصف السبعينيات لمناقشة مشكلات الإعلام والاتصال الدولى فيما سمى وقتها "نحو نظام إعلامى دولى جديد". وقد منيت المحاولة بالفشل، لعدم واقعيتها من ناحية وبسبب مقاومة الدول الغربية لها من ناحية ثانية، وقد انتهى الأمر بالإطاحة بأمين عام المنظمة الدولية الذى تبنى المحاولة.

ورغم مرور سنوات على استخدام المصطلح، فإنه يصعب القول بوجود اتفاق عام حتى الآن على مفهومه، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الخلط الذى وقع بين مفهومين ظهرا فى وقت متقارب وهما: النظم الإعلامية والنظريات الإعلامية، والأخير ظهر فى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، حيث شاع القول بوجود أربع نظريات للصحافة والإعلام، وهى: نظرية السلطة ونظرية الحرية ونظرية الشيوعية ونظرية المسئولية الاجتماعية.

ويلاحظ أن هذه النظريات قد بنيت على مجرد تصورات فكرية، ولم تقم على قوانين علمية تم التوصل إليها بأدوات ومناهج بحث علمية، ورغم ذلك فقد لاقت الفكرة رواجًا كبيرًا فى الأوساط الإعلامية والأكاديمية فى الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول غرب أوربا، ثم انتقلت - كالعادة - إلى بقية أنحاء العالم باستثناء دول الكتلة الشرقية التى رفضت الفكرة واعتبرتها نوعًا من التلفيق

الأكاديمى، ودللت على ذلك بإيراد حالات كثيرة استخدمت فيها تلك الفكرة كسلاح فى الحرب الدعائية ضد المعسكر الشرقى.

لذلك فمن المهم أن نؤكد أننا عندما نتحدث عن نظام إعلامى ما، فنحن نشير إلى خمسة أبعاد للمفهوم: الفلسفة الإعلامية التى يقوم عليها النظام الإعلامى وهى مجموعة المبادئ والأسس الفكرية، ثم السياسات الإعلامية، وهى البرامج التطبيقية للفلسفة الإعلامية، ثم الإطار القانونى الذى يترجم الفلسفة الإعلامية إلى تشريعات تحكم عمل المؤسسات الإعلامية، ثم البنية الاتصالية الأساسية، وتشمل مستوى تكنولوجيا الاتصال والكوادر البشرية الاتصالية الأساسية، وتشمل مستوى تكنولوجيا الاتصال والكوادر البشرية المتاحة والإمكانات المادية وغيرها، وأخيرًا تأتى الممارسات الإعلامية فى الواقع الفعلى.

ومن ذلك يتبين أن النظام الإعلامى فى مجتمع ما، ليس سوى انعكاس للنظام السياسى والاجتماعى السائد فى هذا المجتمع ودرجة التطور الحضارى به، وقد حال التعدد فى النظم السياسية والاجتماعية، والتنوع فى درجة التطور الحضارى من إقامة نموذج إعلامى واحد على الصعيد الدولى وانتهى الأمر فى النصف الثانى من القرن العشرين بوجود نظامين إعلاميين تحققت لهما السيطرة الإعلامية على المستوى الدولى وهما: النظام الإعلامى الغربى والنظام الإعلامى الشرقى، وقد تم ذلك انعكاسًا لواقع السيطرة الدولية للنظامين الاجتماعيين الأكثر تطورًا فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهما: النظام الليبرالى (الولايات المتحدة ودول غرب أوربا) والنظام الاشتراكى (الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا). ولم يغير من الطابع الثنائى للنظام الإعلامى الدولى، كون النظامين الإعلاميين السائدين نتائج حضارة واحدة، وهى الحضارة الغربية الحديثة بأيديولوجياتها المختلفة.

وقد جرى تقسيم تلقائى للنفوذ بين النظامين الإعلاميين، كان ميدانه الفسيح دول العالم الثالث الأقل تطورًا فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

ويلاحظ أن كلا النظامين الإعلاميين الدوليين، كانا يعملان فى ظل إطـار فيـه الكثير من أوجه التشابه، حيث وجد بكل منهما مركز رئيسى مسيطر، تنتمى إليه مراكز أخرى أقل أهمية، ثم تتبعه أطراف ثانوية، ففى النظـام الإعلامـى الغـربى، تمثل الولايات المتحدة الأمريكية المركز الرئيسى، وتنتمى إليها مراكـز أقـل أهميـة داخل نفس النظام من بين دول غرب أوربا بالإضافة إلى كندا واليابـان وأسـتراليا، فى حين تشـكل العديـد مـن الـدول الناميـة الخاضـعة للنفـوذ الغـربى، الأطـراف الثانوية التابعـة، ويمثـل الاتحـاد السـوفيتى المركـز الـرئيسى فى النظـام الإعلامـى الشرقى، وتنتمى إليه مراكز أقل أهمية من بـين دول شرق أوربـا فى حـين تشـكل بعض الدول النامية الخاضعة للنفوذ الشرقى، الأطراف الثانوية التابعة.

ويلاحظ أن هذا الإطار الواسع لم يمنع من ظهور مراكـز مـؤثرة داخـل كـل نظام، وجرت محاولات غير قليلة لمنافسة المركز الرئيسى، وتمت محـاولات أخـرى لاتخاذ موقف مستقل، ولكن هذا كله لم يؤثر على وحدة كل نظام، فقد حرصت فرنسا فى عهد ديجول وميتران أن يكون لهـا دور متميـز داخـل النظـام الإعلامـى الغربى، كذلك جرت محاولة شبيهة من جانب رومانيا داخل المعسكر الشرقـى فى عهد تشاوشيسكو ونفس الشىء حدث فى بولندا بعد ظهور حركة تضامن.

ولقد عكست ثنائية النظام الإعلامى الدولى الطـابع الثنـائى للنظـام الـدولى الذى قام عقـب الحرب العالمية الثانية، حيـث وجـدت كتلتـان، الكتلـة الغربيـة والكتلة الشرقيـة، وقد تجســد هذا التقسيم عسكريًّا فى حلف الناتو الذى ضـم دول شمال الأطلسـى وحلـف وارسـو الـذى ضـم الاتحـاد السـوفيتى ودول شرق أوربا.

وقد أقام الحلفاء المنتصرون هيئة الأمـم المتحـدة خلفـًا لعصـبة الأمـم، تلـك المنظمة التى دفنتها أحداث الحرب العالمية الثانية ضمن أشياء أخرى كثـيرة ورغـم

أن هيئة الأمم تضم فى عضويتها معظم دول العالم، إلا أن نظامها كان يعكس أكثر من غيره الطابع الثنائى للنظام الدولى فمجلس الأمن الذى يقع على قمة الهيئة يضم بين عضويته خمسة أعضاء دائمين يمثلون الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا والصين، ولهم وحدهم حق الاعتراض "الفيتو".

ولقد أدى امتلاك الكتلتين المتنافستين لأدوات الردع النووى إلى استبعاد الخيار العسكرى فى حل النزاعات التى يمكن أن تنشب بينهما، ومن ثم فقد بدأ عصر ما سمى بالحرب الباردة، وهى حرب حقيقية بين المعسكرين ولكن بدون استخدام الأسلحة الحربية، حيث استجدت أسلحة أخرى تمثلت فى التنافس الاقتصادى وسباق التسليح، والاستقطاب الأيديولوجى، وفى حالات كثيرة نشبت نزاعات مسلحة بين المعسكرين، ولكن عن طريق أطراف ثالثة، وخارج أراضى الكتلتين، فى أنحاء متفرقة من العالم الثالث، وكانت فى حقيقتها "حروب بالوكالة". وتحملت تبعاتها الدول النامية.

وفى تلك الفترة برز دور وسائل الإعلام الدولية، وتزايدت فعاليتها، وأكسبتها التكنولوجيا الحديثة فى مجال الاتصال والمعلومات إمكانات للتأثير لا حدود لها، وبدت الحرب الإعلامية والحرب الباردة كوجهين لعملة واحدة.

- 1 -

النظام الإعلامى الدولى الغربى

يقوم البناء الفكرى للنظام الإعلامى الدولى الغربى على الفلسـفة الليبراليـة، حيث تشكل تلك الفلسفة أيديولوجيـة النظـام السـياسى والاجتماعـى القـائم فى دول المعسكر الغربى.

والليبرالية كأيديولوجية لها جناحان، الأول اقتصادى وهو الرأسمالية والثانى سياسى وهو الديموقراطية، وتمتد جذورها التاريخية إلى التطـور فى الأفكـار الـذى صاحب القرن السابع عشر والثامن عشر فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا، حيث تمكنـت الطبقة البورجوازية من السـيطرة الكاملـة عـلى السـلطة فى تلـك البلـدان، وقـد أزاحت عن طريقها كافة الحواجز التى تعوق حرية الفرد، حيث لم يعـد الامتيـاز مترتبًا على المركز الاجتماعى ولم تعـد الحقـوق تـرتبط بملكيـة الأرض، وإنمـا حـل العقد الاجتماعى محل المركز الاجتماعـى كأسـاس قـانونى للعلاقـات فى المجتمـع، وحل مبدأ الشك محل اليقين الذى كان سائدًا فى العصور الوسطى، وتراجع مبـدأ الحق الإلهى للحكام أمام مبدأ سيادة الشعوب، ولم تعد السلطة فى أيـدى مـلاك الأرض وبدأت تتحول إلى أصحاب البنوك والتجار وأصحاب المصانع، وصار العلـم هو العامل المتحكم فى تشكيل أفكار الناس وحياتهم، وزالت فكرة توحيـد العـالم المسيحى بزعامته الزمنية والدينيـة وحـل محلهـا الدولـة القوميـة الموحـدة ذات السيادة وانفتح الطريق أمام فكرة المبادرة الفردية.

وتعمل الليبرالية على تقليل القيود التى تضعها الدولة على الفـرد إلى أقصى حد، وحصر دور السلطة فى ثلاثة أهداف فقط وهى تحقيق أمن الفرد وسـلامته وخيره العام، فالمبرر الوحيد لوجود السلطة فى المجتمع الليـبرالى هـو منـع الضرر عن الفرد، فالليبرالية ترفض أى مـبرر لتـدخل الدولـة فى شـئون الأفـراد حتـى لـو ادعت أنها تريد بذلك تحقيق مصلحة لهم، فالليبراليـة تميـل فى المجـال السـياسى إلى الأخذ بالنظم البرلمانيـة والحريـات المدنيـة، وفى مقـدمتها حريـة الـرأى التـى تمثلت فى حرية الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى.

وعلى ضوء الفهـم السـابق للأيديولوجيـة الليبراليـة، فـإن النظـام الإعلامـى الغربى الليبرالى ينطلق من الناحية النظرية من الاعتقاد بأن حق الفرد فى المعرفـة حق طبيعى، وأن الفرد لن يتمكن من ممارسـة هـذا الحـق إذا خضـعت وسـائل الإعلام لأية قيود تحد من حريتها، وقد ترتب على ذلك الاعتقاد، الأخذ بالتعددية الإعلامية، والملكية الفردية لوسائل الإعلام، وتحريم أى نوع من أنواع الرقابة على تلك الوسائل، وباختصار رفض أية قيود تأتى من خارجها.

وقد كشفت الممارسة العملية فى التجربة الإعلاميـة الليبراليـة طـوال القـرن التاسع عشر والنصف الثانى من القرن العشرين، أن تطبيقاتها لم تكن تـتلاءم مـع ادعاءاتها، فالحرية التى طالما ادعتها لم تكن للجميع، وإنما كانت وقفًـا عـلى مـن يملكون وسائل الإعلام، لذلك فقد كانت دائمًا حرية ناقصة، فقد أدى نمو الاحتكار فى وسائل الإعلام وسيطرة الإعلان التجارى، وتنـامى سـلطة الدولـة الحديثـة، إلى تهديد مبدأ أساسى من مبادئ الإعلام الليبرالى وهو التعددية، فرغم الكـم الهائـل من وسائل الإعلام الليبرالية ووفرة الوسائل الإعلامية التى تنتجها، وتنوع مضمون هذه الوسائل إلا أن الطابع الاحتكارى التجـارى أدى إلى تقـديم رؤيـة متشـابهة للقضايا والأحداث الوطنية الدولية تتطـابق مـع سياسـات ومصـالح الاحتكـارات التجارية المسيطرة على وسائل الإعلام، كذلك فإن الدولة الليبراليـة لم تكـن كائنًـا

محايدًا كما كانت تدعى، وإنما أصبحت أداة استغلت لحماية مصالح الملكية وأهدافها، فقد استخدمت الاحتكارات التجارية سلطة الدولة لتدعيم مصالحها فصاغت القوانين وأعادت بناء التعليم وقدمت أدبًا وفنًا وثقافة تخدم أغراضها، بل لقد وصل بها الأمر أن وظفت وسائل الإعلام فى محاولة لإضفاء جو من التقديس حول حقوق الملكية، بحيث صار الهجوم عليها نوعًا من البربرية ومحاولة لهدم أساس الحضارة الإنسانية.

ويقدم عالم الإعلام الأمريكى شيللر تلخيصًا عميقًا للتجربة الأمريكية حين يقول: "إن وسائل الإعلام الأمريكية تعمل طبقًا لقواعد تجارية وتعتمد على الإعلانات، وترتبط بصورة وثيقة باقتصاد المؤسسات الضخمة متعددة الشركات، لذا فإن وسائل الإعلام تشكل صناعة وليس مجرد حاصل إجمالى لمتعهد إعلامى مستقل، ومالكين لحرية التصرف، لذلك فإن ما تقدمه كل وسيلة من وسائل الإعلام من صور وأفكار وتوجيهات مع استثناءات قليلة، إنما يجرى إنتاجه لتحقيق أهداف متشابهة هى ببساطة جنى الأرباح وترسيخ دعائم مجتمع الملكية الخاصة الاستهلاكى".

ومثل شيللر أدرك العديد من المفكرين فى المجتمعات الغربية خطورة ما كشفت عنه التجربة الإعلامية الليبرالية من نواقص ولم يستطع الزهو بالنصر الذى تحقق عقب نهاية الحرب العالمية الثانية أن يخفى عن بعض الأعين الفاحصة أن كثيرًا من مميزات الإعلام الليبرالى تحولت فى بعض اللحظات الحاسمة إلى نقيضها، ففى ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية استخدمت الطبقة الرأسمالية وسائل الإعلام الليبرالية لخلق اقتناع بقبول تنظيم اجتماعى يسمح للرأسمالية بتحقيق أكثر قدر من الربح على حساب الديمقراطية وهدم وسائل دفاع المواطنين الممثلة فى أحزابها السياسية واتحاداتها العمالية وجمعياتها المهنية وتجمعاتها الثقافية ووسائل إعلامها الحرة.

لـذلك لم يكـن غريبًـا أن تعقـب الحـرب حركـة فكريـة قويـة فى الولايـات المتحدة وعـدد مـن دول غـرب أوربـا تـدعو لإيجـاد نـوع جديـد مـن الليبراليـة الإعلامية، يقوم بالربط بين الحرية من ناحية والمسئولية الاجتماعيـة مـن ناحيـة ثانية، أو الحرية المسئولة.

وتقوم هذه الدعوة على الاعتقاد بأن الملكية الخاصة لوسائل الإعلام يجـب أن تبقى، ولكن من الضرورى أن ينظم عمل وسائل الإعلام بحيـث تحقـق توازنًـا بين حرية وسائل الإعلام وحريات المواطنين، بما يحول دون تحول هـذه الوسـائل إلى أداة لخدمة فئة من فئـات المجتمـع وحـدها، وقـد تبلـورت تلـك الأفكـار فى نظرية جديدة للإعـلام الليـبرالى سـميت بنظريـة المسـئولية الاجتماعيـة لوسـائل الإعلام Social Responsibility. وجوهر النظريـة يقـوم عـلى معالجـة سـلبيات الفردية المطلقة فى ليبرالية القرن التاسع عشر والنصف الثانى من القرن العشرين، ومحاولة التخلص من الطابع الاحتكارى التجارى لوسـائل الإعـلام فى المجتمعـات الغربية. وذلـك عـن طريـق ربـط وسـائل الإعـلام بمجموعـة مـن وثـائق الشرف الإعلامية - وهى مجرد مواثيق أخلاقية غير ملزمة - وإن سـعت هـذه المواثيـق إلى ضمان حريات وسائل الإعلام فى مقابل ضمان حريات المواطنين ومصالحهم.

ورغم مرور أكثر من نصـف قـرن عـلى ظهـور تلـك النظريـة، ومـع وجـود صياغات ممتازة للعديد من مواثيق الشرف الإعلامية فى الدول الغربيـة، وإنشـاء مجالس للصحافة فى معظم هذه الدول، فقد ظلت هذه المواثيق وتلك المجالس، مجرد صروح أخلاقية، ومع ما أدخلتـه مـن "تحسـينات عـلى أداء بعـض وسـائل الإعلام، فقد ظل الطابع الاحتكـارى التجـارى هـو الـنمط المسـيطر عـلى وسـائل الإعلام الغربية، بكـل مـا يمثلـه مـن مخـاطر عـلى حريـة الإعـلام، عـلى المسـتوى الوطنى وعلى الصعيد الدولى.

- 2 -

النظام الإعلامى الدولى الشرقى

تشكل الفلسفة الماركسية اللينينية الإطار الفكرى للنظام الإعلامى الشرقى باعتبارها الأيديولوجية التى كان يقوم عليها النظام السياسى والاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى وبقية دول الكتلة الشرقية. وقد قامت الماركسية اللينينية على نقد الليبرالية، حيث اتهمتها بأنها تقوم على استغلال الطبقة البورجوازية للطبقة العاملة، فالجانب الاقتصادى من الليبرالية وهو الرأسمالية يؤدى إلى ثراء أقلية على حساب الأغلبية، وأما الجانب السياسى الليبرالى، وهو الديمقراطية السياسية، فهى تقوم على تزييف إرادة الأغلبية لصالح الأقلية.

وقد ادعت الماركسية اللينينية أن غايتها النهائية هى تحقيق المساواة بين البشر، حسب شعار "من كل حسب طاقته لكل حسب عمله"، وأن تحقيق ذلك رهن بانتزاع السلطة من الطبقة البورجوازية لصالح الطبقة العاملة، وأن إقامة المجتمع الاشتراكى مرحلة أولية يعقبها قيام المجتمع الشيوعى حيث تختفى الدولة، وتتحقق المساواة الكاملة تحت شعار "من كل حسب طاقته لكل حسب حاجته". ويقوم البناء السياسى فى المجتمع الاشتراكى من خلال سيطرة الطبقة العاملة "دكتاتورية البروليتاريا" ممثلة فى طليعتها الثورية، وهى الحزب الشيوعى.

أما الإطار الفكرى للنظام الإعلامى الشرقى، فهو يقوم على الفلسفة الماركسية اللينينية، وقد ساهم فى صياغة هذا الإطار الفكرى عدد كبير من الزعماء والمفكرين الاشتراكيين، فماركس يرى أن حرية وسائل الإعلام ليست

مطلقة، بل هى حرية الطبقة أو الطبقات التى تحكم وتسيطر على وسائل الإنتاج ومصادر الثروة، وبالتالى لا توجد حرية خالصة أو ديموقراطية خالصة، وهى أيضًا حرية البرجوازيين الذين يملكون وسائل الإعلام وليست حرية المواطنين. أما لينين فقد نظر إلى وسائل الإعلام باعتبارها أداة الحزب لتوعية وتحريض وتنظيم جماهير الثورة وفى مقدمتها العمال والفلاحون.

ويؤكد ستالين أن وسائل الإعلام هى الأداة القادرة على التأثير على الجماهير، وهى أداة رئيسية ومن خلالها يخاطب الحزب الجماهير ويقيم الروابط الروحية بين الحزب والطبقة العاملة، أما نيكيتا خروشوف فقد أكد أن وسائل الإعلام هى سلاح أيديولوجى رئيسى، وواجبها أن تواجه أعداء الطبقة العاملة تمامًا كما هو الحال فى الحرب، ولا أحد يستطيع أن يحارب بدون سلاح، لذلك فالحزب لا يستطيع أن يصنع أى عمل أيديولوجى بنجاح بدون مثل هذا السلاح الحاد، ونحن لا نستطيع أن نضعها فى أيد غير أمينة، وإنما يجب أن تكون فى أيد موثوق بها للغاية ومخلصة تمامًا، ووصف ليونيد برجنيف الصحافة ووسائل الإعلام فى تقرير اللجنة المركزية بأنها "البوصلة التى يمكن الاعتماد عليها فى المعلومات اليومية"، وأضاف فى خطاب وجهه إلى اتحاد الصحفيين بأن وسائل الإعلام أداة لكشف الحرب الدعائية ضد التجربة الاشتراكية، وهى أيضًا وسيلة لإبراز الإنجازات التى حققتها تلك التجربة للبشرية.

ويعتبر فرانس فابر، عميد معهد الصحافة الدولى ببرلين الشرقية سابقًا، من أبرز علماء الإعلام الاشتراكيين المعاصرين، وله محاولات فكرية متعددة فى صياغة نظرية للإعلام الاشتراكى، حيث ينطلق من فرضية ترى أن الإعلاميين يمارسون عملهم دائمًا بوصفهم جزءًا من طبقة معينة أو بوصفهم حلفاء لهذه الطبقة وبتكليف منها، فوسائل الإعلام لم تكن على الرغم من كافة الادعاءات الليبرالية، غير ملتزمة أو ظاهرة إنسانية عامة، ولن تكون كذلك، بل إنها تخدم دائمًا أهداف

طبقة معينة، كما تخدم أستراتيجيتها وتكتيكها، إذ إن المضـمون الـذى تخـرج بـه من وسائل الإعلام يرتبط فى الدرجة الأولى بالموقع الاجتماعـى للمؤسسـات التـى تصنع هذا الإعلام، وبمصالح هذه المؤسسات، وهنا نجد السبب الذى يكمن وراء اختلاف الإعـلام الليـبرالى عـن الإعـلام الاشـتراكى، كـما يختلـف الليـل عـن النهـار، فالإعلام الليبرالى يقوم بمهمة تنفيذ الإستراتيجية الرأسمالية وبث موقفها الفكـرى وتنفيذه، وهى تستهدف بذلك تكوين صورة عن العالم فى عقول المواطنين تـؤدى إلى تعبئتهم للتصرف بما يخدم القوى الحاكمة.

أما غايـة الإعـلام الاشـتراكى فهـى عنـد فرانـز فـابر تقـوم عـلى بنـاء الـوعى التقدمى مـن خـلال شرح مضـمون التطـور الاجتماعـى وأهدافـه وإسـتراتيجيته، وذلك انطلاقًا من المتطلبات الاجتماعية ومن مصالح الفرد، وهى فى الوقت ذاتـه تحارب محاولات التخريب الأيديولوجية التى تقوم بهـا وسـائل الإعـلام الغربيـة، فهى تكشف كذب المعلومات التى تمتلئ بها تلك الوسائل وزيـف الصـورة التـى ترسمها للعالم، كما تكشف نواياها المعادية للإنسانية!

إن الوظيفة التنظيمية لوسائل الإعلام تنبع مـن خـلال وحـدة بـين جـانبين الأول نقل المعارف والمعلومات حول قضـية الحيـاة الاجتماعيـة والجانـب الثـانى صياغة الأيديولوجية التقدمية، وبهذه الوحدة بين الجانبين تقـوم وسـائل الإعـلام الاشتراكية بتوجيه الناس وإرشادهم حول مهام الدولة بحيـث يصـبح عـدد كبـير من المواطنين قادرًا على تركيز نشاطه على المشـكلات الاجتماعيـة والمسـاهمة فى حلها.

وهنا يطرح تساؤل مهم: من الذى يوجه وسائل الإعلام الاشـتراكية ويحـدد وظائفها ؟ إنه الحزب القائد، الذى يمثل مصـالح الطبقـة العاملـة، والـذى يمـارس

السلطة السياسية والاقتصادية فى الدولـة الاشـتراكية، وهـو وحـده الـذى يحمـل عبء هذه المسئولية، فوسائل الإعلام، هـى جـزء مـن النشـاط القيـادى للحـزب القائد.

ويخلـص فرانز إلى أربعـة مبادئ يقوم عليها النظام الإعلامى الاشتراكى:

1. إن النظام الإعلامى الاشتراكى جـزء مـن نظـام المجتمـع الاشـتراكى وإن وسـائل الإعلام الاشتراكية تمارس دورها فى جمع المعلومات ومعالجتها ونشرهـا كجـزء من النشاط القيادى للدولة أو الحزب أو المنظمات الاجتماعية.
2. إن مجـال الفعاليـة الاجتماعيـة لوسـائل الإعـلام الاشـتراكية، جـزء مـن تلـك العلاقات الفكرية القائمة بـين المـواطنين فى دولـة مـن الـدول وبـين المجتمـع بأكمله، وتتركز هذه العلاقـات بصـورة خاصـة حـول السـيطرة الفكريـة عـلى قضية الحياة العامة، وعلى العلاقات التاريخية المترابطة بين شـعوب العـالم فى مجالات الحياة المتعددة.
3. إن الوظيفة القيادية لوسائل الإعلام الاشتراكية، تهدف إلى إقامة الانسجام بين مصالح الأفراد ومصالح المجتمع.
4. إن الملكية العامة والاجتماعية لوسائل الإعـلام، ضـمان لعـدم اسـتغلال هـذه الوسائل من قبل الطبقة البورجوازية والاحتكارات الرأسمالية.

وإذا استبعدنا كافة الصياغات الإنشائية والدعائية التى غلبـت عـلى الفكـر الإعلامى الاشتراكى، نستطيع عندئذ أن نلخص خصائص النظام الإعلامـى الاشـتراكى فى النقاط الأربع التالية:

1. الواقعية، بمعنى تصوير الحياة الاجتماعيـة مـن خـلال التركيـز عـلى إنجـازات التحول الاجتماعى فى المجتمعـات الاشـتراكية، مـن ناحيـة، وإبـراز الصراعـات الطبقية فى المجتمعات الرأسمالية من ناحية ثانية.
2. الالتـزام، عـن طريـق ارتبـاط وسـائل الإعـلام بقضـايا ومشـكلات المجتمـع،

وبالأيديولوجية الاشتراكية، وأن تلعب دورًا قياديًا فى التوعية بمبادئ النظام السياسى الاشتراكى.

3. الجماعية، عن طريق التركيز على النشاطات الجماعية بدلاً من المبادرات الفردية، وأن تحول كل عمل فردى إلى مشاركة جماعية، وأن تحرص باستمرار على إبراز العلاقات بين الأحداث الجارية والتطور الاجتماعى.

4. الملكية الاجتماعية: لوسائل الإعلام بدلاً من الملكية الفردية، ويقصد بالملكية الاجتماعية ملكية الحزب والاتحادات العمالية والتجمعات الثقافية والمهنية لوسائل الإعلام.

ومن المهم الانتباه إلى أن الإطار الفكرى لا يصلح وحده للحكم على هوية النظام الإعلامى الشرقى، فالممارسة الفعلية تفصح عن أبعاد لا تشف عنها الأفكار المعلنة، وقد بدأت التجربة العملية للنظام الإعلامى الشرقى بعد استيلاء البلاشفة على السلطة فى روسيا عقب حصولهم على الأغلبية فى مؤتمر السوفيات فى 4 نوفمبر 1917م، فقد أصدر لينين أوامره بإغلاق كافة الصحف "البورجوازية" وفى 10 نوفمبر أى بعد ستة أيام فقط من وصوله السلطة، أصدر لينين مرسومًا بتشكيل محكمة ثورة للصحافة لمحاكمة الصحفيين الذين يعارضون سلطة البلاشفة، وحددت لها عقوبات تبدأ من التوبيخ إلى سحب الجنسية إلى النفى خارج البلاد وإلى السجن، وفى 17 نوفمبر صدر مرسوم آخر بتشكيل لجنة تحقيق تبحث فى صلة الصحف بالبنوك، وفى 10 فبراير 1918م صدر مرسوم بنص على إعلان احتكار الدولة لجميع وسائل الإعلام والمطبوعات وينص على عقوبة مدتها ثلاث سنوات لكل من يبدى اعتراضه على هذا القرار أو يعوق تنفيذه، وفى 6 يونيو 1922م أصدر لينين مرسومًا بتشكيل الإدارة العامة للأدب والنشر التى تولت مهمة الرقابة المسبقة على وسائل الإعلام المختلفة والمطبوعات الأدبية.

إن النظام الإعلامى الاشتراكى الذى أرسى قواعده لينين منذ نجاح الثورة

البلشفية عام 1917م، ظل ملزمًا للاتحاد السوفيتى حتى عام 1985م وهو تاريخ تولى جورباتشوف السلطة، وقد تحـول مفهـوم لينـين للإعـلام الاشـتراكى إلى مبـدأ أضـيف إلى الماركسـية، والتزمـت بـه كافـة الأحـزاب الشـيوعية ولـيس الحـزب الشيوعى السوفيتى وحـده، فلقـد خرجـت تجربـة لينـين فى الإعـلام عـن كونهـا تجربة خاصة لروسيا السـوفيتية، لتصـبح ملزمـة لجميـع الأحـزاب الشـيوعية فى العالم.

ويلاحـظ أن الصـياغات البراقـة للنظـام الإعلامـى الاشـتراكى، لم تسـتطع أن تخفى هويته السلطوية، فهـو فى الحقيقـة صـورة معدلـة مـن النظـام الإعلامـى السلطوى، فالأمر الذى لا شك فيـه أن وسـائل الإعـلام وظفـت لخدمـة السـلطة الحاكمة، وإذا كانت هذه السلطة فى النظام السـلطوى تتمثـل فى حـاكم فـرد أو مجموعة مـن الأفـراد، فإنهـا فى النظـام المـاركسى قـد وظفـت فى خدمـة الحـزب الواحد الذى انفرد بالسلطة، وبمرور الزمن أصبحت وسائل الإعلام فى خدمة فـرد أو مجموعة أفراد تربعوا على قمة السلطة فى الحزب أو الدولة.

كذلك فالنظـام الإعلامـى المـاركسى اللينينـى يتشـابه مـع النظـام الإعلامـى السلطوى فى فرضه الرقابة السابقة أو اللاحقـة عـلى الـنشر أو الإذاعـة، كـما أنـه يحرم الأفـراد مـن حريـة إصـدار وسـائل الإعـلام وتملكهـا، وهـو يعلـق ممارسـة المـواطنين للعمـل الإعلامـى بشرط عضـوية الحـزب أو بموافقتـه، كـما أنـه يمـنح السـلطات الإداريـة أو الحزبيـة حـق معاقبـة وسـائل الإعـلام دون السـلطات القضـائية، فضـلاً عـن كونـه لا يسـمح لوسـائل الإعـلام بنقـد النظـام الحـاكم أو التعـرض لشخصـيات الحكـام، وفى نفـس الوقـت فهـو يلزمهـا بالدعايـة للنظـام الحاكم، والدفاع عن إنجازاته بصرف النظر عن نصيبها مـن الحقيقـة، فهـو مـن كافة هذه النواحى صورة طبق الأصل من النظام الإعلامى السلطوى.

- 3 -

جذور التغيير

إن الارتباط الوثيق بين هوية النظام الإعلامى والنظام السياسى، كـان يعنـى أن إحـداث أى تغيـير جـوهرى فى أى مـن النظـامين الإعلاميـين السـائدين عـلى المستوى الدولى لا يمكن أن يتحقق إلا إذا حدث تغيير فى طبيعة النظام السـياسى فى أى من المعسكرين الغربى أو الشرقى، ولسنوات قريبـة لم يكـن أحـد ليتصـور إمكانية حدوث هذا التغيير، وذلك وفق حقائق الوضع الدولى السائد حتى ذلـك الوقت.

وعلى عكس ما تصور الكثيرون، فإن عوامـل التغيـير بـدأت تتفاعـل، ولقـد بدأت عملها أولا تحت السطح، فى أعماق المجتمعات الغربية والشرقيـة، دون أن يلحظها أحد، ثم سرعان ما خرجت إلى الضوء فى شـكل بركـان ثـائر، يقـذف مـن جوفه بالحمم والنيران.

فعلى الجانب الغربى، تطورت الاكتشافات العلمية، وتفجرت ثورة التكنولوجيا التى مست كافة نواحى الحياة، وقد أضافت الثـورة التكنولوجيـة قـدرات إنتاجيـة هائلة للرأسمالية الغربيـة، مـما مكنهـا مـن تحقيـق مسـتويات عاليـة مـن الرخـاء لقطاعات عريضة من شعوبها، واستغل المعسكر الغربى آليته الإعلامية – بمـا تـوافر لها من إمكانات اتصالية لا حدود لها بفعل ثورة الاتصال والمعلومات – لـكى يقـدم للعالم صورة جديدة براقة للنظام الحر القائم على المبادرة الفرديـة والسـوق الحـرة والديموقراطيـة السياسـية وحريـة الإعـلام، وذلـك بهـدف إقنـاع الشـعوب، وفى

مقدمتها شعوب الكتلة الشرقية، أنه لا رخاء بدون حرية ! وأنـه لا نمـو أو تقـدم بدون الرأسمالية..!

وعلى الجانب الشرقى، شكلت أعباء سباق التسلح عبئًا على تطـور الإنتـاج، فضلاً عما أحدثته البيروقراطية وانعدام الحريات من فساد وإخفاق فى التخطيط المركزى تمثل فى تدهور الإنتاج وتخلف تقنياته، وبدأت تسرى بـين قطاعـات غـير قليلة من شعوب الكتلة الشرقيـة تطلعـات مشروعـة إلى الرخـاء والحريـة، وقـد ظهرت إرهاصات التغيير فى أشكال متعددة، كـان أبرزهـا التمـرد المبكـر فى ربيـع براغ عام 1968م، ثم تمرد عمال حركة تضامن بميناء جدانسـك ببولنـدا فى مطلـع الثمانينيات، وقبلها بقليل أحدث انتصار تيار الحرية فى دول جنوب أوربا وانهيار نظام فرانكو فى أسبانيا وسالازار فى البرتغـال، وحكـم العسـكر فى اليونـان وتركيـا، هزة كبرى فى العديد من الأحزاب الشيوعية الأوربية، وقد اضطر بعضها مـدفوعًا بتلك المتغيرات إلى إحداث تعديلات جوهرية على برامجها لصالح الديموقراطية.

وفى عام 1985م وصل جورباتشوف إلى قمة السلطة فى الاتحاد السـوفيتى، وأصبح الرجل الأول فى الكريملين، وهنا انفتح باب التغيير على مصراعيه، وبـدأت الخطوة الأولى فى انهيار النظام الإعلامى الشرقى..!

الهــــوامش

(1) فى عام 1974 انتخب مختار إمبوا مديرًا عامًا لليونسكو، بترشيح من منظمة الوحـدة الأفريقية، واستمر فى منصبه أربعة عشر عاما، وفى الفـترة مـن عـام 1984-1987م قامـت ضده حملة قوية تتهمه بالانحراف برسالة المنظمة الدولية، وقد جرت الحملة بضغط من اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكيـة وبعـض البلـدان الأوربيـة الأخـرى بسـبب ثلاث قضايا وهى مداومته لمحاولات تهويد القـدس، والأراضى المحتلـة ودعوتـه إلى إلغـاء اللامساواة القائمة فى عالم الاتصال وتوجيه وسائل الإعلام الدولية من طرف الدول الكـبرى، وقد وصل الأمر إلى توقف الولايات المتحدة وعدد من الدول الأوربية عن تمويل المنظمـة فاضطر مختار إمبو إلى الانسحاب وعدم ترشيح نفسه لفترة جديدة. وهو أفريقى مسـلم من السنغال وتلقى تعليمه فى موريتانيا والمغرب وباريس، وقد تولى منصب وزير التربيـة الوطنية فى بلاده مرتين، الأولى عام 1957م والثانية عام 1966م، وله عدة مؤلفـات أهمهـا "مصادر المسـتقبل" الـذى صـدر بالإنجليزيـة والفرنسـية والعربيـة والروسـية والأسـبانية ولغات أخرى، وفيه يشرح وجهة نظره فى إشكاليات الثقافة والإعلام على الصعيد الدولى.

ومن المهم أن نشير إلى الإسهامات العربية الرائدة التى سبقت جهـود اليونسـكو فى هذا المجال، وبخاصة جهد الدكتور محمود عزمى الذى مثل مصر فى لجنـة حريـة تـداول الأنباء التابعة للأمم المتحدة وقدم مشروعا فى 19 مادة لتنظيم حرية تداول الأنباء، وذلك فى يونية 1949، وفى عام 1950 قـدم إلى اللجنـة مشروع عهـد الشرف الـدولى للصـحفيين، وعندما انتخـب رئيسًـا للجنـة حريـة الأنبـاء فى مـارس 1952، نجحـت مسـاعيه فى إقنـاع المجلسى الاقتصادى والاجتماعى للأمـم المتحـدة لإقـرار عهـد الشرف الصـحفى. وإتفاقيـة تصحيح الأنبـاء، ومشروع المعونـات الفنيـة لمنشـآت الصـحافة والإعـلام فى الـبلاد التـى لا تتوافر فيها أسباب تطوير هذه المنشآت، وذلك فى نوفمبر 1952م.

كـذلك قـدم الـدكتور مختـار التهـامى مشروع دسـتور عـالمى للصـحافة فى رسـالة الـدكتوراه

التى تقدم بها إلى جامعة القاهرة فى عام 1958م، وهو المشروع الذى بنيت عليه نظرية جديدة فى الإعلام الدولى أطلق عليها "نظرية المسئولية الدولية"، وذلك فى الطبعة الثانية من كتاب الدكتور التهامى "الصحافة والسلام العالمى" الصادر فى عام 1964م.

(2) ظهر مفهوم نظريات الصحافة الأربع فى عام 1956 على أيدى ثلاثة من علماء الإعلام الأمريكيين وهم ولبور شرام وفرد سيبرت ونيودور بترسون، وقد أعادوا صياغة المفهوم فى كتاب بنفس الإسم صدر فى عام 1963م.

(3) فابر. فراتز: الصحافة الإشتراكية (معهد الإعداد الإعلامى) دمشق، ص112-115.

(4) لقد وقعت خلال فترة الحرب الباردة حوالى 200 حرب، زاد عدد ضحاياها عن مجموع ضحايا الحربين العالميتين.

(5)L'aski, Harold: **Democracy In Crisis**. (George Allen and Unwin) 3rd ed. London. 2002, pp. 22-27 .

(6)Crossctt. John: **Liberai, and Conservative**. (Foreman and Co.) U.S. 2007, pp. 50-52 .

(7)Mill. Jhn. **Stuart: On Liberty**. (Macmillan) London. 2003. pp. 267-269 .

(8)Sabine. H. George: **History of Political Theory**. (Holt Rinehart and Winston Inc.) New York, 1998, pp. 453-457 .

(9)Evans. Harold: **Liberty And License**. (Heinemann) London. 1998, p. 57 .

(10)Smith. G. **Alfored: Media Sociology**. (Cholt Rinchart and Winston) 2002, p. 73.

(11) شيللر. م. هربرت: المتلاعبون بالعقول (عالم المعرفة) الكويت، ص 30، 31.

(12)Thomson Foundation: **Press Councils**. (Thomson Foundation Publication Cardiff, Great Britan. 1977, pp. 5-7.

(13)Lond. A. John: **The Role of Press Councils.** (Journal of Communication Volume 22. Number 2. U.S. 1976) pp. 5-12.

(14) عبد الرحمن. عواطف: المدرسة الاشتراكية فى الصحافة (دار الثقافة الجديدة) القاهرة، ص 23، 24.

(15) المصدر السابق، ص 26.

(16) ولينـين: حـول الصـحافة (منشـورات الطريـق الجديـد) الجـزء الأول، بغـداد، ص 147-176.

(17) عبد الرحمن. عواطف: المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ص 111، 112.

(18)Markham. W. Games: **Communication in Russia.** (Journal of Communication) Volume 22, Number 2, U.S. 1997, pp. 42-56 .

(19) فابر. فرانز: الصحافة نظرية وممارسة (اتحاد الصحفيين السوريين وجمهورية ألمانيا الديمقراطية) دمشق، ص 13-23.

(20) عبد الرحمن. عواطف: المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ص 88-89.

(21) المصدر السابق، ص 93.

(22)Dimitro V. George: **The Press is a Great Force.** (International Organization of Journalists) Prague. Pp. 12-23.

الفصل التاسع

انهيار النظام الإعلامى الشرقى

رغم كثرة ما كتب عن المتغيرات فى الكتلة الشرقية، إلا أن الجانب الإعلامى من تلك المتغيرات لم ينل ما يستحقه من البحث أو التحليل، وآمل ألا نتهم بالتجاوز حين نقول: إن دور الإعلام فى المتغيرات بالكتلة الشرقية لا يقل عن دور السياسة أو الاقتصاد، أو غيرهما من العوامل المؤثرة، وقد تأكد فى بعض الحالات أن أهمية الإعلام ودوره قد تتفوق على غيره من العوامل..!

وقد يشجعنا ذلك على طرح تفسير يرى الإعلام كمحرك رئيسى لما حدث من متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية فى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا، وذلك اعتمادًا على حقيقة أن وسائل الإعلام فى تلك المجتمعات شكلت رأس الحربة التى حطمت الأبواب الموصدة أمام تلك المتغيرات! كذلك فإن التطور الهائل لتكنولوجيا الاتصال فى السنوات الأخيرة، قد مكن وسائل الإعلام من اختراق الحواجز بين الشرق والغرب، وهدم الستار الحديدى الذى فرض لسنوات طويلة على شعوب الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا، ودفع تلك الشعوب إلى التطلع لمحاكاة النموذج الغربى فى الحياة.

ومدخلنا إلى التعرف على أهمية الإعلام ودوره فى المتغيرات بالكتلة الشرقية، يمر بثلاثة محاور، فى المحور الأول نبحث فى العلاقة بين البروسترويكا والجلاسنوست (أى إعادة البناء والعلنية) وأهمية الإعلام ودوره بالنسبة لهما، وفى المحور الثانى نرصد الدور الذى لعبه الإعلام الغربى - مستعينا ومستفيدًا بتكنولوجيا الاتصال الحديثة - فى تلك المتغيرات، أما المحور الثالث والأخير، ففيه نطرح تساؤلات حول تأثير تلك المتغيرات على النظام الإعلامى الشرقى.

- 1 -

الإعلام بين البروسترويكا والجلاسنوست

إن الهدف الرئيسى للرئيس السوفيتى جورباتشوف كان "تحديث الاتحاد السوفيتى" وعملية التحديث غالبًا ما تتطلب إحداث إنجازين، الأول: هدم البناء القديم، والثانى: وضع أسس وقواعد بناء جديد. وهو نفس الطريق الذى سار عليه جورباتشوف، فقد قام أولاً بمحاولة تصفية اشتراكية ستالين وبريجنيف بأسسها البالية، ثم قام ثانيًا بمحاولة بناء أسس جديدة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية للمجتمع السوفيتى.

ولنمعن النظر فى مدلول إصطلاح "البروسترويكا" الذى جاء به جورباتشوف، أنه يعنى إعادة البناء، فهو يتضمن الهدم، والبناء، إذ لا يمكن عقلاً تصور بناء مجتمع جديد، دون أن يسبقه هدم للمجتمع القديم.

أما أداة جورباتشوف لإعادة بناء المجتمع السوفيتى، فقد كان الجلاسنوست، أو العلنية، أو المكاشفة، أو المصارحة، وهدفها خلق قوة دفع بين الجماهير السوفيتية لتحقيق أوسع قدر من المشاركة الشعبية فى عملية إعادة البناء من ناحية، وللمساعدة فى مواجهة وإضعاف القوى المعارضة للبروسترويكا من ناحية ثانية.

ويكشف جورباتشوف فى كتابه "بروسترويكا" عن المعادلة التى تربط بين البروسترويكا والجلاسنوست حين يقول: "بدون العلنية لا ولن تكون هناك ديموقراطية، وبدون ديموقراطية لا ولن تكون اشتراكية عصرية".

أما وسائل العلنية وأدواتها فهى بالضرورة وسائل الإعلام من صحافة وراديو وتليفزيون واتصال شخصى فى الندوات واللقاءات المباشرة مع الجماهير. لذلك فقد أضاف جورباتشوف إلى معادلته التى تربط بين البروسترويكا والجلاسنوست عنصرًا جديدًا وهو الإعلام، ففى لقاء له مع اتحاد الصحفيين السوفييت فى ربيع عام 1989م قال:

"بدون وسائل الإعلام الحرة لا ولن تكون هناك علنية، وبدون العلنية لا ولن تكون هناك ديموقراطية، وبدون ديموقراطية لا ولن تكون هناك اشتراكية عصرية". العلنية إذن ممثلة فى وسائل الإعلام الحرة هى حجر الزاوية فى نظرية جورباتشوف عن إعادة البناء.

وأتصور أنه لم يكن أمام جورباتشوف سوى العلنية لتطبيق نظريته فى إعادة بناء المجتمع السوفيتى، إنها "ضرورة" أكثر من كونها "اختيار" فهو لم يكن يستطيع - حتى لو أراد - أن يلجأ لأسلوب دكتاتورية الحزب أو الطبقة، كأداة لتحديث المجتمع كما فعل من قبله لينين وستالين فى الاتحاد السوفيتى أو ماوتسى تونج فى الصين، فما كان يصلح كأداة لتحديث المجتمعات فى النصف الأول من القرن العشرين، لم يعد ينفع العمل به فى نهاية القرن..!

فى عصر الثورة العلمية الهائلة، وفى ظل تطور تكنولوجيا الاتصال والإعلام والتواصل بين الشعوب، لم يعد فى مقدرة حزب مهما بلغت قوته ولا فى مقدور فرد مهما وصلت جاذبيته أن يصادر حركة المجتمعات وأن يحول جماهير الشعوب إلى مجرد متفرجين، فالإنسان المعاصر وخاصة فى الشعوب المتقدمة، لم يعد يقبل أن يكون مجرد وقود لدفع عجلة التحديث مهما قبل له عن فوائد التحديث، أنه لا يقبل أقل من أن يكون مشاركًا فى اتخاذ قرار التحديث ومراقبًا لتنفيذه، وطرفًا أصيلاً فى تقييم نتائجه.

وهذا بالضبط ما توصل إليه جورباتشوف، وهو أيضًا ما يفرق بين تجربته وبين تجربة "خروتشوف" فى الفترة التى تمتد من منتصف الخمسينيات حتى منتصف الستينيات من القرن الماضى، فقد حاول خروتشوف أن يقوم بالتغيير فى الاتحاد السوفيتى من داخل الحزب الشيوعى وعن طريقه، ولم يسعَ لإشراك الشعب السوفيتى فى التغيير، فكان أن أطاح الحزب به، بينما وقف الشعب السوفيتى متفرجًا..!

ولكن كيف توصل جورباتشوف إلى هذه النتيجة ؟

لقد رصد خلال تجربته الطويلة فى العمل بمختلف مستويات الحزب الشيوعى السوفيتى، وفى جهاز المخابرات K.P.I وأثناء توليه العديد من المناصب التنفيذية، الحقائق التالية:

- انخفاض مستوى إنتاجية العمل فى الاتحاد السوفيتى، مقارنة بمجموعة البلدان الرأسمالية الصناعية وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية واليابان.
- تأخر الاقتصاد السوفيتى عن تطوير وتطبيق إنجازات الحلقات الأحدث للثورة التكنولوجية.
- جمود آليات تخطيط الأسعار وإدارة المشروعات.
- سوء استخدام الملكية العامة بالفساد والتسيب.
- تخلف الصناعة السوفيتية مقارنة بالمقاييس العالمية الأحدث، وانخفاض الكفاءة والجودة فى الإنتاج وارتفاع التكلفة وإهدار الموارد فضلاً عن ضعف القدرة التنافسية فى السوق العالمية وغلبة المواد الأولية فى هيكل الصادرات.

وفى بحثه عن أسباب ومبررات تلك المظاهر السلبية، فقد واستند جورباتشوف على العوامل التالية:

- انفراد نخبة بيروقراطية فى الحزب والدولة بالسلطة واحتكارها لعملية صنع وتنفيذ القرار السياسى.
- سلبية ولا مبالاة الجماهير المبعدة عن المشاركة السياسية الحقيقية.
- ضعف حوافز النشاط الفردى.
- تقييد حرية البحث العلمى والإبداع الفكرى.
- إهدار حقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

وبذلك توصل جورباتشوف إلى حقيقة مؤداها أن الظواهر السلبية فى التجربة الاشتراكية السوفيتية، ترجع إلى افتقادها للديموقراطية.

وفى كتابه "بروسترويكا" وفى مختلف خطبه وأحاديثه، فإن جورباتشوف يعنى بإعادة البناء، إقامة الاشتراكية العصرية، ويعنى بالعلنية، الديموقراطية.

وهكذا فإن جورباتشوف يستخدم سلاح العلنية أو الديموقراطية لهدم أسس الاشتراكية الستالينية وبناء الاشتراكية العصرية، ففى مواجهة انفراد نخبة بيروقراطية بالسلطة واحتكارها لعملية صنع وتنفيذ القرار، طرح للنقاش إمكانية التخلى عن دكتاتورية البروليتاريا وانفراد الحزب الشيوعى بالسلطة.

وفى مواجهة سلبية ولا مبالاة الجماهير المبعدة عن المشاركة السياسية الحقيقية، طرح للنقاش إمكانية وجود التعددية السياسية. وفى مواجهة القيود المفروضة على حرية البحث العلمى والإبداع الفكرى وإهدار حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، طرح للنقاش إطلاق حرية الفكر والتعبير وحرية الاجتماع والسفر، وحرية الصحافة وبقية وسائل الإعلام.

وقد نظر جورباتشوف إلى حرية الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى - وله الحق فى ذلك - باعتبارها حجر الزاوية والمظهر الأساسى لمدى توافر بقية الحريات فى المجتمع، وذلك لعدة اعتبارات وأهمها:

- أن وسائل الإعلام هى الأداة الفعالة للمراقبة الشعبية على نشاط جميع أجهزة الدولة بدون استثناء.
- أن وسائل الإعلام هى القادرة وحدها على رفع مستوى الوعى السياسى لدى الجماهير، فهى التى تستطيع أن تقول للناس: ماذا جرى بالأمس؟ وما الذى يجرى اليوم، ولأى شىء نسعى فى الغد؟ ولذلك فهى تساعد الجماهير على الانخراط فى عملية إعادة البناء.
- أنه بدون وسائل الإعلام لا يمكن التعبير عن وجهات النظر والآراء المختلفة المعبرة عن مصالح كافة فئات المجتمع وتجمعاته.
- أن وسائل الإعلام هى المؤهلة وحدها لاستخدام سلاح النقد من القاعدة، كأداة لاختبار سياساتنا ولمكافحة الظواهر السلبية والتحذير منها.

ويقول جورباتشوف فى هذا الصدد: "لا بد أن نعرف أن النقد دواء مر، ولكن الأمراض تجعل منه شيئًا ضروريًا نشمئز منه، ولكنك تضطر لتناوله، وأن إبطاء وسائل الإعلام فى عملية النقد، يعنى إلحاق الضرر بعملية إعادة البناء.

ويعترف جورباتشوف بالدور الذى قامت به وسائل الإعلام السوفيتية فى دفع عملية إعادة البناء، فيقول: "يمكن القول إنه لم يكن بمقدور عملية إعادة البناء بلوغ المستوى الذى عليه فى مناقشة كافة معضلات عملية التغيير الواسعة والمتناقضة والمتعددة الجوانب، لو لم تنخرط فى الحال وسائل الإعلام الجماهيرى فى هذه العملية وتمارس دورها بنشاط وبالشكل اللائق".

وإذا كان جورباتشوف قد أدرك أهمية وسائل الإعلام الجماهيرى وخاصة الصحافة، فلم ينس دور الاتصال الشخصى فى الدعوة لفكره الجديد، وقد حرص على الاتصال الشخصى بكافة الفئات والتجمعات، وكان وهو يتحرك فى الشارع ويختلط بالناس العاديين يعمل على إيجاد رأى عام فى مواجهة خصوم التغيير. وقد أدرك جورباتشوف بخبرته الطويلة فى العمل السياسى أن المثقفين السوفييت هم

أكثر فئات المجتمع السوفيتى ترحيبًا بإعادة البناء، لذلك حرص على أن يكون لهم دور متميز فى وسائل الإعلام، وقد أتاح للكثيرين منهم منافذ فى أجهزة الإعلام وخاصة الكتاب والأدباء والمفكرين والصحفيين السوفييت الذين اضطرهم الاضطهاد فى الفترات السابقة إلى الهجرة خارج الوطن.

وعقب المؤتمر الثامن لاتحاد الكتاب السوفييت الذى عقد فى موسكو عام 1986م، سمح بنشر كل ما كان ممنوعًا من النشر فى الفترة السابقة ومنها رواية سولجنستين "أرخبيل دائرة معسكرات الاعتقال" ورواية بسترناك "دكتور زيفاجو"، ورواية تفاردوفسكى "بحق الذكرى"، ورواية أناتولى ريباكوف "أولاد شارع أربات"، ورواية ايتماتوف "النطع"، وغيرها من الأعمال الممنوعة والتى تنسب لما سمى بالأدباء المنشقين، وشهدت نفس الفترة أيضًا نشر وإصدار العديد من المقالات والكتابات النقدية التى تتناول الفترة السابقة، كما تزايدت فرص الحوار الحر، والتى أخذ بعضها شكل الاتهامات المتبادلة، وقد شملت هذه الاتهامات كتابًا بارزين أمثال فالنتين راسبوتين ويورى بونداريف وغيرهما، وقد طال الاتهام ألمع أسماء الأدب السوفيتى مثل مكسيم جوركى ومايكوفسكى تولستوى وشولوخوف وبسينين وتغاردفسكى وفادييف وغيرهم، ولم ينج اتحاد الكتاب السوفيتى وغيره من الاتحادات الثقافية مثل اتحاد الصحفيين واتحاد الفنانين من رياح التغيير التى هبت على المجتمع السوفيتى بأكمله، حيث تعرضت إلى حملة نقد واسعة واتهمت بأنها تحولت إلى دوائر بيروقراطية وتخضع مباشرة لسياسة الحزب الشيوعى الثقافى.

وقد أتت سياسة جورباتشوف تجاه المثقفين بنتائجها المرجوة، فحين أجريت انتخابات جديدة فى الاتحادات الثقافية والتى شملت اتحاد الصحفيين واتحاد الكتاب فقد مارس المشاركون فيها النقد والنقد الذاتى وهو الأمر الذى أدى إلى عدم انتخاب القادة السابقين لهذه الاتحادات، وضمت الهيئات الجديدة المنتخبة كثرة غالبة من أنصار إعادة البناء.

- 2 -

أثر الإعلام الغربى
على المتغيرات فى الكتلة الشرقية

لقد لعب الإعلام الغربى دورًا لا يمكن إنكاره فى المتغيرات التى حدثت فى الكتلة الشرقية، وقد استطاع ذلك الإعلام، مستعينًا ومستفيدًا من التطور الهائل فى تكنولوجيا الاتصال والإعلام، أن يخترق الحواجز بين الشرق والغرب، وأن ينفذ من الستار الحديدى الذى فرض على شعوب الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وأن يدفع تلك الشعوب إلى التطلع لمحاكاة النموذج الغربى فى الحياة.

وإذا كان حاجز اللغة والرقابة قد قللا من انتشار الصحف الغربية الدولية بين القراء فى الكتلة الشرقية، وإذا كان "حراس البوابة" فى وسائل الإعلام الشرقية قد وقفوا بين برقيات وكالات الأنباء الغربية والنشر أو الإذاعة فى تلك الوسائل، إلا أن البث الإذاعى الغربى، والبث التليفزيونى الغربى - وإن كان بدرجة أقل - قد استطاعا أن يصلا إلى أعداد متزايدة من المستمعين والمشاهدين فى الكتلة الشرقية، ذلك أن عامل اللغة لا يشكل عائقًا دون وصول البرامج الإذاعية الموجهة إلى المستمعين فى الكتلة الشرقية فهذه البرامج كانت تقدم بكافة اللغات المستخدمة بين شعوب الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا، بل وببعض اللهجات المحلية، أما التليفزيون، فإن طبيعة برامجه التى تعتمد بشكل أساسى على فن الصورة المتحركة، تقلل كثيرًا من أهمية اللغة، وإن كانت لا تلغيها.

وبالنسبة لعمليات التشويش على البرامج الإذاعية والتليفزيونية، والتى لعبت

دورًا مشابهًا لدور الرقابة على الصحف وعلى برقيات وكالات الأنباء، فقد فقدت منذ بداية الثمانينيات تأثيرها وجدواها، حيث ساعد التطور التكنولوجى لوسائل الاتصال الدولى على ابتكار العديد من الطرق للتحايل عليها، فضلاً عن تكاليفها الباهظة والتى تصل فى بعض الأحيان إلى ما يوازى تكلفة الإذاعة المراد التشويش عليها، كما أن إيقاف التشويش الإذاعى والتليفزيونى المتبادل بين الشرق والغرب، كان واحدًا من أسس الوفاق بين المعسكرين، بل واعتبر من المؤشرات المهمة لإثبات مدى صدق النوايا فى استمرار سياسة الوفاق.

ومن المفارقات التاريخية أن الاتحاد السوفيتى كان فى مقدمة الدول التى استفادت من اكتشاف إمكانات الموجة القصيرة فى البث الدولى، فأقامت إذاعة موجهة إلى غرب أوربا باللغة الإنجليزية، وقد بلغ من تأثير هذه الإذاعة، أنها أثارت بريطانيا بحيث سارعت بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى فى عام 1927م. ولكن ندرك حجم الإرسال الإذاعى الذى كان موجها من الغرب إلى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا، يكفى أن نشير فقط إلى جهود دولتين غربيتين وهما الولايات المتحدة وبريطانيا.

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تبث خمس إذاعات موجهة إلى شعوب الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا، وفى مقدمتها إذاعة صوت أمريكا Voice of America وهى إدارة حكومية، وتخدمها 113 محطة إرسال فى الولايات المتحدة وخارجها، وتذيع 776 ساعة أسبوعيًا إلى مختلف أنحاء العالم، من بينها 460 ساعة كانت موجهة إلى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا، وتقدم برامجها بخمس وثلاثين لغة، منها 17 لغة مستخدمة فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا.

وهناك إذاعة RIAS وهى إذاعة أمريكية كانت تبث من برلين الغربية وتعمل 24 ساعة يوميًا، وهى موجهة بالأساس إلى ألمانيا الشرقية.

ووجدت إذاعة راديو أوربا الحرة Radio free Europe وكانت تبث برامجها من ميونيخ بألمانيا الغربية وتديره اللجنة الوطنية لأوربا الحرة، وهى

لجنـة تسـيطر عليهـا المخـابرات الأمريكيـة CIA وتوجـه برامجهـا إلى دول شرق أوربا. وهناك راديـو الحريـة Radio Liberty وكـان يبـث برامجـه مـن ميـونيخ بألمانيا الغربية ويذيع برامجه بعشرين لغة من اللغات المستخدمة فى شرق أوربا والاتحاد السوفيتى، وهو يركز على تناول الأحداث التى تقـع فى الكتلـة الشرقيـة من وجهة نظر غربية.

وهناك أخيراً إذاعة القوات المسـلحة الأمريكيـة التـى كانـت تبثهـا القـوات الأمريكية المرابطة فى ألمانيا الغربية، وتغطى برامجها كافة أراضى ألمانيا الشرقية.

وقد قدرت إحدى لجـان الكـونجرس التكلفـة السـنوية للأنشـطة الإذاعيـة الأمريكية الموجهة إلى الاتحـاد السـوفيتى وشرق أوربـا بنحـو 500 مليـون دولار، وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت.

أما هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C فإنهـا تـذيع 700 سـاعة أسـبوعيًّا منهـا حوالى 320 ساعة كانت موجهة إلى الاتحـاد السـوفيتى ودول شرق أوربـا، وهـى تذيع بعشر لغات من اللغات المستخدمة فى الكتلة الشرقية وتستخدم 70 محطة إرسال داخل إنجلترا وخارجها.

ومن المهم أن نشير إلى أنه لم تكن تخلو دولة فى المعسكر الغربى، وبالـذات دول غرب أوربا من إذاعة موجهة إلى الكتلة الشرقية.

وإذا انتقلنا إلى مجال البـث التليفزيـونى فمـن المؤكـد أن إرسـال محطـات التليفزيون فى ألمانيا الغربية كان يغطى كامل أراضى ألمانيا الشرقية لعدة سنوات، كذلك فإن الإرسال التليفزيونى فى دول غرب أوربا كان يغطى مساحات غير قليلة من دول الكتلة الشرقية المتاخمـة لهـا، وقـد أقامـت دول غـرب أوربـا محطـات تقوية للإرسال التليفزيونى بالقرب من حدودها مـع دول الكتلـة الشرقيـة، مكـن هذا الإرسال من الوصول بوضوح إلى العديد من المناطق فى دول شرق أوربا.

كذلك فقد تم إنشاء شبكة اليورفزيون Eurovision والتى كانت تضم إلى جانب بريطانيا وفرنسا عددًا آخر من دول غرب أوربا ومنها ألمانيا الاتحادية وإيطاليا والنمسا، ثم أنشأت شبكة النوردفزيون والتى تربط بين محطات التليفزيون فى الدول الاسكندنافية وتضم النرويج والسويد والدانمارك وفنلندا وأيسلندا، وقد أدى ذلك إلى تقوية الإرسال التليفزيونى فى دول غرب أوربا، وهو الأمر الذى مكن هذا الإرسال من الوصول إلى عدة مناطق فى شرق أوربا.

ومن المهم أن نشير إلى أن عقدى السبعينيات والثمانينيات قد شهدا نقل البرامج التليفزيونية عبر المحيطات والقارات بعد إطلاق أقمار الاتصال الصناعية Communication Satellites وقد كونت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الرابطة الدولية لأقمار الاتصال والمعروفة باسم إنتلسات Intelsat وقد أطلقت الرابطة عدة أجيال من الأقمار الصناعية باسم إنتلسات، وكانت تغطى كافة أنحاء الكرة الأرضية بما فيها الكتلة الشرقية، وتخدم 80 محطة أرضية فى 60 دولة.

ثم أصبح فى إمكان أجهزة التليفزيون المنزلية التقاط الإرسال التليفزيونى من القمر الصناعى مباشرة، دون حاجة إلى إعادة البث من المحطات الأرضية، وذلك باستخدام هوائيات خاصة.

ولكن من المشكوك فيه، تسرب مثل هذه الهوائيات إلى المواطنين فى الكتلة الشرقية، حيث كان يمنع استيرادها من الخارج أو إنتاجها محليًا..!

أما عن الكيفية التى يؤثر بها البث الإذاعى والتليفزيونى على شعوب الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا، فهى تتنوع وتتشكل حسب تطور الأحداث فى الكتلة الشرقية، ولكن يبرز من بينها الاستخدام المكثف للأساليب الإعلامية التالية:-

- تقديم تغطية إخبارية للأحداث بشكل عام وللأحداث فى الكتلة الشرقية بشكل خاصة من وجهة نظر غربية، وبأسلوب يوحى بأن القرار فى الدول الاشتراكية يتم فى غير صالح شعوب هذه الدول.

- الترويج للأفكار الليبرالية بجناحيها: الاقتصادى المتمثل فى المبادرة الفردية، والسياسى المتمثل فى التعددية السياسية والديموقراطية، وفى الوقت نفسه إبراز مساوئ الاشتراكية بجناحيها: الاقتصادى المتمثل فى ملكية الدولة لوسائل الإنتاج، والسياسى المتمثل فى دكتاتورية البروليتاريا وانفراد الحزب الشيوعى بالسلطة.

- تقديم صورة جذابة لأسلوب الحياة فى المجتمعات الغربية، وإبراز مدى الرفاهية والحرية التى يتمتع بها أفراده، وفى الوقت نفسه تقديم صورة سيئة لأسلوب الحياة فى المجتمعات الشرقية، مع التركيز على افتقاد الحريات والأزمات الاقتصادية وعدم توافر أدوات الرفاهية.

- توظيف الإمكانات التكنولوجية وتطور الأساليب الفنية فى الغرب بالإضافة إلى اتباع أحدث وسائل الحرب النفسية وأساليب الإقناع فى جذب أكبر عدد من المستمعين والمشاهدين فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا للبرامج الإذاعية والتليفزيونية الغربية.

ويعترف تقرير للجنة الشئون الخارجية بالكونجرس حول كسب الحرب الباردة والهجوم الأيديولوجى الأمريكى Wining the cold war: the U.S. Ideological offensive بدور الإعلام الأمريكى فى التأثير على شعوب الدول الاشتراكية حيث جاء به:

"يمكننا أن نحقق بعض أهداف سياستنا الخارجية من خلال التعامل المباشر مع شعوب هذه الدول بدلا من التعامل مع حكوماتها، ومن خلال استخدام أدوات وتقنيات الاتصالات الحديثة يمكننا اليوم أن نصل إلى قطاعات كبيرة أو مؤثرة من السكان فى هذه البلاد، وأن نقوم بإعلامهم والتأثير فى اتجاهاتهم بل ويمكن فى بعض الأحيان أن نحرضهم على سلوك طريق عمل معين، وهذه المجموعات يمكنها أن تمارس ضغوطًا ملحوظة وحتى حاسمة على حكوماتها.

لقد وضع هذا التقرير فى بداية الثمانينيات، وكأنه يرسم بدقة ما حدث بالفعل فى نهايتها..!

وقد اعترف جورباتشوف فى كتابه "البروسترويكا" بخطورة الدور الذى لعبه الإعلام الأمريكى فى التأثير على شعوب الاتحاد السوفيتى وذلك بقوله:

"إن الإعلام الأمريكى يصور للمواطنين السوفيت أن أمريكا هى الجبل المتلألئ، فى حين يصور الاتحاد السوفيتى باعتباره، إمبراطورية الشر".

ومن المهم أن نشير إلى بعض الدراسات والبحوث العلمية التى تكشف عن حجم ومدى ونوعية تأثير الإعلام الغربى على مسار المتغيرات فى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا، ذلك أن بحوث التأثير بطبيعتها تتطلب دراسة الجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية الغربية، عن طريق البحوث الميدانية واستطلاعات الرأى العام، وهو الأمر الذى لم يكن متاحًا فى الاتحاد السوفيتى وشرق أوربا، أما ما تم القيام به من بحوث ودراسات فى الفترات السابقة، فقد كانت تحاط بسرية كاملة، ويحظر نشر نتائجها بدعوى حماية الأمن القومى. ورغم ذلك فمن الممكن رصد بعض الشواهد التى تبين تأثير الإعلام الغربى على مجريات الأحداث فى الكتلة الشرقية، ومن أبرز هذه الشواهد وأكثرها دلالة، أن الحركات التى كانت تقود التغيير فى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا كانت ترفع من الشعارات وتتبنى من الأفكار والسياسات ما يتطابق تمامًا مع ما عملت من أجله وسائل الإعلام الغربية الموجهة إلى الكتلة الشرقية فهذه الحركات ترفع شعارات الحرية والديموقراطية وإصلاح ما أفسده الحكم الشيوعى، وهى تتبنى أفكارًا وسياسات تدعو إلى إنهاء احتكار الحزب الشيوعى للسلطة، والسماح بالتعددية السياسية، والاعتراف بالمبادرة الفردية واعتماد حق الملكية الفردية لوسائل الإنتاج، واحترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية.

وقد أجرى استطلاع للرأى شمل خمسة آلاف من الألمان الشرقيين الذين نزحوا إلى ألمانيا الغربية بعد هدم سور برلين، كشفت نتائجه أن 86% كونوا

فكرتهم عن أسلوب الحياة فى الغرب بصفة عامة وألمانيا الغربية بصفة خاصة عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية الغربية، فى حين ذكر 14% أنهم كونوا هذه الفكرة عن طريق الاتصال الشخصى مع الأقارب والأصدقاء وزملاء العمل. أما الذين اعتمدوا على وسائل الإعلام الجماهيرية فقد ذكر 42% منهم أن مصدرهم لهذه الفكرة جاء عن طريق التليفزيون، وقال 36% أن مصدرهم لهذه الفكرة عن طريق الراديو، فى حين ذكر 8% أن الصحف كانت مصدرهم للفكرة التى كونوها عن الحياة فى الغرب. كذلك أجرى استطلاع للرأى شمل ألفين من سكان مدينة بوخارست عقب الأحداث التى انتهت بإسقاط حكم الرئيس الرومانى تشاوشيسكو.

وقد كشفت نتائج الاستطلاع أن 74% من الشعب الرومانى كان يعتمد فى معلوماته عن تطور أحداث الثورة على الإذاعات الغربية، وأن 10% كانوا يعتمدون على وسائل الإعلام المحلية، وأن 6% كانوا يعتمدون على إذاعة بلجراد، وأن 6% كانوا يعتمدون على إذاعات الدول الاشتراكية المجاورة، وأن 4% كانوا يعتمدون على إذاعة موسكو.

أما بالنسبة للإذاعات الغربية فقد كانت نسبة الاستماع على النحو التالى: 26% يستمعون إلى إذاعة لندن و22% لإذاعة صوت أمريكا و14% لراديو أوربا الحرة و12% لراديو الحرية.

ومن ناحية أخرى، أجرى استطلاع للرأى على عينة من سكان مدينة موسكو للتعرف على مدى مصداقية وسائل الإعلام السوفيتية ووسائل الإعلام الغربية عند الجمهور السوفيتى وقد كشفت نتائجه أن نسبة مصداقية وسائل الإعلام الغربية عند الجمهور السوفيتى بلغت 68% فى حين لم تزد نسبة مصداقية وسائل الإعلام السوفيتية عن 32%.

وقد تبين أن ارتفاع نسبة مصداقية وسائل الإعلام الغربية سببه اعتقاد المشاركين فى البحث أن وسائل الإعلام الغربية تتمتع بحريات أكبر من وسائل الإعلام السوفيتية. وقد كشف الاستطلاع أن وسائل الإعلام لا تتمتع بدرجة

مصداقية واحدة عن الجمهور السوفيتى، ذلك أنه بالنسبة لوسائل الإعلام السوفيتية فقد تبين أن نسبة مصداقية الصحافة تصل إلى 64% فى حين لا تزيد نسبة مصداقية التليفزيون عن 18% والراديو 12% والنشرات الحزبية 4% وقد تبين أن ارتفاع نسبة مصداقية الصحافة السوفيتية عن غيرها من وسائل الإعلام المحلية، هو اعتقاد المشاركين فى الاستفتاء بأن الصحافة السوفيتية تتمتع بحريات أكبر من غيرها، ثم أنه يسمح لها بنشر المقالات الانتقادية التى يكتبها أشخاص من غير أعضاء الحزب الشيوعى، كما أنها تتوسع فى نشر الانتقادات فى أبواب بريد القراء، كذلك فقد تبين أن الصحف التى تصدرها النقابات والاتحادات والجمعيات الجماهيرية أكثر مصداقية عند الجمهور السوفيتى من الصحف التى تصدرها الدولة والحزب، لاعتقاد الجمهور بأن النوع الأول من الصحف أكثر حرية من النوع الثانى.

أما بالنسبة لوسائل الإعلام الغربية فقد تبين أن 24% من المشاركين فى الاستفتاء لم يتعرضوا لوسائل الإعلام الغربية، أما الباقون فقد ذكر 76% أنهم يستمعون إلى الإذاعات الغربية فقط. وذكر 20% أنهم يستمعون إلى الإذاعات الغربية ويقرءون بعض الصحف الغربية، وقد تبين أن النسبة الأخيرة من الفئات الأكثر تعليمًا بين الجمهور السوفيتى، وهذه الفئة ترى أن درجة مصداقية الصحافة الغربية تزيد عن مصداقية الإذاعات الغربية لاعتقادها بأن الصحف الغربية أكثر حرية واستقلالاً من الإذاعات الغربية، بسبب خضوع الأخيرة لنوع من الإشراف الحكومى.

وأهم ما نستنتجه من هذا الاستطلاع أن درجة المصداقية العالية لوسائل الإعلام الغربية بين الجمهور السوفيتى كانت تشير إلى قدر من التأثير تمارسه تلك الوسائل على اتجاهات التفكير عند المواطن السوفيتى.

- 3 -
أبعاد التغيير فى النظام الإعلامى الشرقى

والسؤال الآن: هل تغير النظام الإعلامى الشرقى فى ظل إعادة البناء والعلنية ؟

من المهم التذكير مرة أخرى بأن النظام الإعلامى فى مجتمع ما، إنما هو انعكاس للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى هذا المجتمع، وقد قام النظام الإعلامى الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا، على ضوء المفهوم الماركسى اللينينى للإعلام، وهو مفهوم يرى أن الإعلام الاشتراكى ظاهرة ملتزمة وتخدم باستمرار أهداف الطبقة العاملة، وأن رجال الإعلام مطالبون بالعمل باعتبارهم جزءًا من هذه الطبقة، لذلك فقد تميز الإعلام الاشتراكى بعدة خصائص من أهمها: الواقعية والالتزام والجماعية.

وقد تضمن المفهوم الاشتراكى للإعلام رفض الملكية الفردية لوسائل الإعلام، كما أن من أبرز وظائفه: الدفاع عن النظام الاشتراكى والتوعية بالأيديولوجية الاشتراكية، وفى التطبيق العملى فقد تطلب أداء وسائل الإعلام لهذه الوظائف فرض الرقابة السابقة أو اللاحقة على النشر أو الإذاعة، وتحريم نقد النظام الاجتماعى وقيادته، فضلاً عن قصر العمل فى وسائل الإعلام على أعضاء الحزب الشيوعى.

ومما لا شك فيه أن النظام الإعلامى فى روسيا ودول شرق أوربا تختلف كثيرًا اليوم عما كانت عليه قبل البروسترويكا والجلاسنوست وما تلاهما من انهيار الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا الاشتراكية.

فقد تحولت معظم الأنظمة الإعلامية فى روسيا ودول شرق أوربا من النظام الإعلامى السلطوى إلى النظام الإعلامى الديموقراطى وكان ذلك انعكاسا لتغيير النظام السياسى فى هذه الدول من النظام الاشتراكى إلى النظام الرأسمالى الذى يأخذ باقتصاد السوق والتعددية السياسية وحرية الإعلام. ويمكن أن ترصد ملامح هذا التغيير من النظام الإعلامى فى الظواهر التالية:

- منح وسائل الإعلام حريات واسعة فى نقد النظام السياسى وقياداته.
- فتح أبواب الاشتغال فى وسائل الإعلام لكافة المواطنين، دونما اشتراط العضوية فى الحزب الشيوعى، أو الحزب الحاكم أيًّا كان.
- التوسع فى إتاحة فرصة التعبير أمام كافة القوى السياسية، والاهتمام برسائل القراء فى الصحف ووسائل الإعلام.
- اختفاء الرقابة على وسائل الإعلام، سواء تلك التى تكون قبل النشر أو الإذاعة أو بعدها.
- سحب حق عقاب الصحف سواء بالتعطيل أو الإلغاء أو الغرامة، أو حق معاقبة الصحفيين من السلطات الإدارية، وقصرها على الجهات القضائية وحدها.

ونستطيع أن نقول إن النظام الإعلامى القائم الآن فى روسيا ودول شرق أوربا قد استعار الكثير من مقومات وخصائص النظام الإعلامى الليبرالى، ولكن يبقى أن نسجل ملاحظة على قدر كبير من الأهمية، وهو أن ملكية وسائل الإعلام فى روسيا ودول شرق أوربا لم تعد ملكية جماعية وتحول أغلبها إلى الملكية الخاصة كما أن الحريات الممنوحة لوسائل الإعلام فى قوانين للإعلام والمطبوعات تحدد واجبات الإعلاميين ـ قد تم ترجمتها ـ وحقوقهم، وتحمى هذه الحريات من الإطاحة بها.

والتصوير الحقيقى لواقع الإعلام فى روسيا ودول شرق أوربا، أنها نجحت فى الانتقال من النظام الإعلامى الاشتراكى إلى النظام الإعلامى الليبرالى.

مراجع الفصل التاسع

(1) جورباتشوف. م. بيروسترويكا، عملية إعادة البناء والتفكير السياسى الجديد، لنا وللعالم أجمع ترجمة وليد مصطفى وآخرين. عمان: دار الكرنك للنشر والتوزيع. الطبعة الثانية، 1989، ص 80.

(2)The Times. April 22, 1989 .

(3) جورباتشوف. م: بيروسترويكا، ص 77.

(4) المصدر السابق، ص 81.

(5) المصدر السابق، ص 76.

(6) خلف. عباس: حركة التجديد فى الأدب السوفيتى، (الطبعة الأدبية) العدد 201، 1990م.

(7) بركات. سهير: الإذاعة الدولية. الكويت، ص 21-24.

(8) مانكيكار. د.ر.: التدفق الحر من جانب واحد. ترجمة فائق فهيم (اليونسكو) ص69.

(9)The times: November 3, 1985.

(10)Kivikur. Ullmaija and Varis. Tapio. Tapio: Approaches to International Communication. (Publications of the Finish National Communication for Unesco) No. 35. Helsinki. 1986, pp. 204-209 .

(11)Burto. Paulu: Radion and Television Broadcasting on the European Continent. (University of Minensota Press) U.S. 1967, pp. 38-40 .

(12)Thomson. Foundation: International Communication. (Longman) London. 1998, pp. 236-23 .???

(13)Unesco: World Communication. The Unesco Press. Paris. Pp. 132-137 .

(14) جورباتشوف. م. بيروسترويكا، ص 223-224.

(15)Franz. Karen Annette: The Coverage of the Berlin Wall on Local Television. (Union for Democratic Communication Conference) (UDC). California University. San Dirgo. U.S.A. October, 11/14/1990.

(16)Cha-Jar Young: Changing Communication In a Socialist Country. (UDC), October. 11/14/1990.

(17)Bradford. Keith: An Empirical Analysis of Change in the Soviet Press. (Media and Crisis Conference) Laval University, Quebec. Canada. October, 1990.

(18) لينين: حول الصحافة. بغداد: (منشورات الطريق الجديد). الجزء الأول.

(19)Markham. W. James: Voice of the Red Gianst Communication in Russia and China. (The Iowa State University Press). U.S. pp. 23-27.

(20) فابر. فرانز: الصحافة الاشتراكية. (معهد الإعداد الإعلامي). دمشق، ترجمة نوال حنبلي وآخرون، ص 112-115.

الفصل العاشر

هيمنة القطب الواحد

ومستقبل النظام الإعلامى الدولى

لا شك أننا نشهد اليوم نظامًا إعلاميًا دوليًا يختلف جذريًا عن النظام الإعلامى الذى عرفته البشرية عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، وهو نظام يقوم على السيطرة الثنائية للنظامين الإعلاميين الغربى والشرقى.

والنظام الإعلامى الذى نعيش فى ظله اليوم يتناقض أيضًا وبشكل جذرى مع "النظام الحلم"، الذى سعت إلى إقامته دول العالم الثالث منذ منتصف السبعينيات، والذى أقره المؤتمر العام لليونسكو فى مطلع الثمانينيات، وهو نظام يقوم على تعديل أسلوب تدفق الإعلام الدولى لكى يكون أكثر عدلاً وتوازنًا بين الدول المتقدمة والدول النامية.

أما النظام الإعلامى الدولى القائم اليوم، فهو يقوم على سيطرة نظام إعلامى دولى واحد، وعلى هيمنة القطب الواحد.

- 1 -

هيمنة القطب الواحد - والنظام الواحد

ومن أجل مزيد من التوضيح لفكرتنا عن سيطرة النظام الإعلامى الدولى الواحد، وهيمنة القطب الواحد على هذا النظام الواحد، من الضرورى إعادة التأكيد على المنطلقات التالية:

أولاً: لقد سبقت الإشارة إلى أن النظام الإعلامى فى مجتمع ما ليس سوى انعكاس للنظام السياسى السائد فى هذا المجتمع ودرجة التطور الحضارى به، وأن التعدد فى النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتنوع فى درجة التطور الحضارى قد حال دون إقامة نظام إعلامى واحد على الصعيد الدولى، وقد انتهى الأمر فى النصف الثانى من القرن العشرين إلى وجود نظامين إعلاميين تحققت لهما السيطرة الإعلامية على المستوى الدولى، وهما النظام الإعلامى الغربى الليبرالى وتمثله الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوربا واليابان وكندا وأستراليا، والنظام الإعلامى الشرقى الاشتراكى ويمثله الاتحاد السوفيتى ودول شرق أوربا وكوبا والصين.

وقد تمت هذه السيطرة، انعكاسًا لواقع السيطرة الدولية للنظامين الاجتماعيين الأكثر تطورًا فى العالم.

وقد نتج عن السيطرة الثنائية، تقسيم تلقائى للنفوذ بين النظامين الإعلاميين،

كـان ميدانـه دول العـالم الثالـث الأقـل تطـورًا فى آسـيا وأفريقيـا وأمريكـا اللاتينية.

ثانيًا: إن إحداث أى تغيير جوهرى فى النظام الإعلامى الدولى، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا حدث تغيير فى طبيعة هذا النظام السياسى والاجتماعى والاقتصـادى فى أى من المعسكرين المسيطرين، الغربى والشرقى.

ثالثًا: إن ما تم مـن تغـيرات سياسـية واجتماعيـة واقتصـادية فى النظـام الشرقـى يعتبر بكل المقاييس، تغيرًا جوهريًا فى النظام، بما يغير مـن طبيعتـه القائمـة على الأيديولوجية الاشتراكية، فألمانيا الشرقية اختفت، وأصـبحت جـزءًا مـن ألمانيا الموحدة، وتحولت إلى جزء عضوى فى النظام الغربى الليبرالى، أما بقية دول شرق أوربا وهى رومانيـا والمجـر وبلغاريـا وتشيكوسـلوفاكيا وبولنـدا فقـد نبـذت الأيديولوجيـة الاشـتراكية وأعلنـت بوضـوح عـن اختيارهـا للأيديولوجية الليبرالية القائمـة عـلى التعدديـة السياسـية واقتصـاد السـوق وحرية وسائل الإعلام، وأصبحت هذه الدول جزءًا من المعسكر الغربى.

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى سارت روسـيا، بخطـوات سريعـة إلى اعـتماد التعددية السياسية وحرية وسائل الإعلام، واعتماد اقتصاد السوق، وأصبح النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى السوفيتى لا يختلف كثيرًا عن النظام القـائم فى الولايات المتحدة وغرب أوربا.

أما من بقى من الدول الاشتراكية فلم يصمد طـويلاً أمـام موجـات التغيـير العاتية، ورغم نجاح الصين الشعبية فى قمع موجات التغيـير فـيما عـرف بمذبحـة ميدان تيانان مين Tiananmen، إلا أن القمـع لم يحـل فى المـاضى مشـكلة، ولـن يحول فى المستقبل من ظهور موجات أخرى تطالب بالتغيير.

رابعًا: ويترافق مع ظاهرة النظام الإعلامى الدولى الواحد، تعاظم قدرات الولايات المتحدة الأمريكية ونفوذها داخل هـذا النظـام الواحـد، وتتحـول الولايـات المتحدة الأمريكية بالتدريج إلى القطب المهيمن على هذا النظام الواحد..!

وبعد سقوط النظام الإعلامى الدولى الشرقى واجه العالم بظاهرتين تحدثان فى وقت واحد.

الظاهرة الأولى: تطور النظام الإعلامى الدولى من الطابع الثنائى إلى طابع النظـام الواحد.

الظاهرة الثانيـة: تنـامى قـدرات الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وتعـاظم نفوذهـا الإعلامى بحيث تصبح القطب الواحد المهيمن عـلى هـذا النظـام الإعلامـى الدولى الواحد.

ووجدت العديد مـن المظـاهر التـى تؤكـد تعـاظم قـوة الولايـات المتحـدة الأمريكيــة وتنــامى نفوذهــا الإعلامــى عــلى المســتوى الــدولى، حيــث أكــدت الإحصاءات بأن خمسة وستين فى المائة من الأخبار والمعلومات التى يتم تـداولها فى العــالم بشــكل أو بــآخر تــرد مــن الولايــات المتحــدة الأمريكيــة. وفى دراســة لليونسكو اتضح أن ما يقرب من ثلث البرامج التليفزيونية التـى تـذاع فى العـالم، برامج أمريكية، والنسبة فى ازدياد مستمر.

وأن هيئـة الخـدمات الإعلاميـة الأمريكيـة USIS تتـوزع مكاتبهـا التـى يبلـغ عددها 187 مكتبًا على مائة وإحدى عشرة دولة حول العالم، وتستخدم ألفا ومائتى صحيفة فى غرب وجنوب آسيا المواد الإخبارية التـى تصـدرها هـذه الهيئـة، ونفـس العدد يوجد تقريبًا فى كل من أوربا الغربية وأمريكا اللاتينية وأفريقيا. كـذلك يبلـغ عدد مشاهدى الأفلام التى تقدمها وكالة الاستعلامات الأمريكية ما يقرب من مائـة

مليون سنويًا خارج الولايات المتحدة، وقد بدأت الوكالة البث بالأقمار الصناعية، وهى تنقل 119 برنامجًا بهذه الوسيلة إلى دول العالم المختلفة.

وتمتلك نفس الوكالة أو تدعم مكتبات فى 247 مركزًا للاستعلامات خارج الولايات المتحدة، ولها قاعات للقراءة ومراكز للمشاهدة فى أكثر من ثلاث وتسعين دولة، وتحتوى هذه المكتبات على 1.6 مليون كتاب و 25 ألف دورية، وتخدم أكثر من عشرة ملايين زائر سنويًا.

وفى مجال وكالات الأنباء، فإن وكالة الاسوشيتدبرس تقدم خدماتها إلى 25 ألف مشترك خارج الولايات المتحدة ما بين صحف ومحطات للراديو ومحطات للتليفزيون، ولها مائة مكتب فى مختلف أنحاء العالم ويعمل بها حوالى عشرة آلاف شخص.

ومن المظاهر المهمة الدالة على تعاظم القوة الإعلامية الأمريكية، أن من بين أكبر عشر وكالات إعلانية فى العالم ليس هناك سوى شركة واحدة غير أمريكية، ومن بين أكبر خمسة وعشرين وكالة إعلان دولية، هناك إحدى وعشرين وكالة أمريكية.

وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية ليست مقصورة على العالم الثالث وحده، فقد غزت وكالات الإعلان الأمريكية معظم الدول المتقدمة صناعيًا أيضًا، ففى بريطانيا نجد على سبيل المثال أن سبع وكالات فقط من بين أكبر عشرين وكالة إعلانية فى لندن يملكها بريطانيون ملكية كاملة، بينما يملك أمريكيون الأغلب الأعم من الوكالات الأخرى، وترتبط القلة الباقية بصلات قوية بالوكالات الأمريكية، وتبدو السيطرة الأمريكية أكثر وضوحًا فى حال الوكالات العشر الكبرى ببريطانيا، إذ لا يتمتع بالاستقلال الكامل سوى وكالتين فقط من الوكالات

العشر، وفى ألمانيا وفرنسا وإيطاليا، بل وفى اليابان أيضًا تسيطر الوكالات الإعلانية الأمريكية على معظم أنشطة الإعلان على المستوى القومى، وفى السوق الأوربية المشتركة، وباستثناء شركتين فرنسيتين للإعلان، نجد أن الوكالات العاملة على مستوى القارة الأوربية تمثل كلها مؤسسات أمريكية، وفى أستراليا تسيطر الوكالات الأمريكية للإعلان العاملة فيما وراء البحار سيطرة كاملة وجزئية على 15 وكالة من وكالات الإعلان الأسترالية الـ24 الكبرى.

ويؤكد شيللر أن النشاط التجارى لوكالات الإعلان الأمريكية تمثل أحد الجوانب المتممة لتوسع الصناعة الأمريكية فى الخارج، فمتطلبات التسويق التى لا تعرف الاكتفاء بهذه الصناعة، هى التى تولد الأنشطة العالمية لوكالات الإعلان وتوفر لها الدعم، وتورد قائمة عملاء الوكالات الإعلانية الأمريكية العاملة على نطاق دولى، نفس الأسماء تقريبًا التى ترد فى قائمة أكبر خمسمائة شركة أمريكية.

ويعبر عن نفس الاتجاه تقرير لمجلس الشيوخ الكندى بقوله: "إننا لنتساءل حول كفاية القوانين التى تفرض الملكية الكندية لوسائل الإعلام، إذا كان المصدر الأكبر لعائدات وسائل الإعلام يتم التحكم فيه عن طريق دولة أجنبية حتى لو كانت هذه الدولة هى الولايات المتحدة بل وخصوصًا إذا تعلق الأمر بالإعلان وإذا كانت هذه الدولة هى الولايات المتحدة".

- 2 -

تعدد الأقطـــاب الإعلاميـــة

إن تطور النظام الإعلامى الدولى إلى الوضع الذى يهيمن فيـه قطـب واحـد على النظام الإعلامى الدولى لا يجب أن يخفى عن أعيننـا تواجـد مراكـز إعلاميـة دولية أخرى تملك قدرات إعلامية متميزة ولهـا نفـوذ عـلى المسـتوى الـدولى وإن كانت أقل قدرة وأضعف نفوذًا من الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مثـل بريطانيـا وفرنسا وألمانيا واليابان كما يجب ألا ننسى أيضًـا أن روسـيا مـا زالـت قـوة كـبرى وهناك الصين أيضًا.

إن وجود هذه المراكـز الإعلاميـة المتميـزة يمكـن أن يطـرح تصـورًا مخالفًـا لفكرة هيمنة القطب الواحد على النظام الإعلامى الدولى وهو تصور يقـوم عـلى أن المستقبل قد يحمل بـين طياتـه تعـدد الأقطـاب الإعلاميـة، بـدلاً مـن هيمنـة القطب الواحد ونحن نرى أن الوضع الـدولى الـراهن وكـذلك المسـتقبل المنظـور يشير إلى أن التطور يسير فى اتجاه هيمنة القطب الواحد لا تعدد الأقطاب ولكـن المستقبل البعيد قد يجىء بتعدد الأقطاب وقـد لا يكـون هـذا التعـدد مقصـورًا على الدول الصناعية المتقدمة فى الوقـت الحـالى مثـل روسـيا وبريطانيـا وفرنسـا وألمانيا واليابـان؛ إذ قـد تظهـر قـوى جديـدة فى قـارات آسـيا وأفريقيـا وأمريكـا اللاتينية، ومن القوى المرشـحة لـذلك فى آسـيا، الهنـد، وكوريـا، والعـالم العـربى فى منطقة الشرق الأوسط، والبرازيل فى أمريكا اللاتينية.

ومن المهم أن ننبه إلى أن المعادلة التى تحكم النظام الإعلامى الدولى، تقوم على هيمنة قطب واحد من ناحية، وتبعية كافة الدول لهذا القطب من ناحية ثانية، ولكن درجة التبعية ليست واحدة بالنسبة لكافة الدول، فهى تقل بالنسبة للمراكز الإعلامية، وتزداد بالنسبة لما عداها من الدول الأقل تطورًا، كما أن هذا الوضع لا يلغى نفوذ المراكز الإعلامية على غيرها من الدول الأكثر تبعية، فهذه المراكز الإعلامية الأكثر تطورًا تابعة ومتبوعة فى الوقت نفسه..!

وعلى سبيل المثال فإن تبعية الإعلام البريطانى للولايات المتحدة الأمريكية لن يلغى نفوذ الإعلام البريطانى على غيره من الدول الأقل تطورًا فى العالم الثالث، فالإعلام البريطانى فى ظل النظام الإعلامى الدولى تابعًا ومتبوعًا فى نفس الوقت.

- 3 -

العالم الثالث فى عصر القطب الواحد

لا شك أن التغيير الذى حدث فى النظام الإعلامى الدولى قد أثر بعمق على الدول النامية وقد اتخذ هذا التأثير مسارين متناقضين حيث أدى المسار الأول إلى إعطاء قدر متزايد من الحريات لوسائل الإعلام فى الدول النامية حتى تستطيع أن توائم أوضاعها الإعلامية مع طبيعة النظام الإعلامى الدولى السائد وهو النظام الغربى الذى يقوم على الليبرالية بما يمثله من حرية وتعدد لوسائل الإعلام.

أما المسار الثانى فهو يؤدى إلى مزيد من التبعية الإعلامية واتساع نطاق هيمنة القطب الواحد لتشمل كافة دول العالم الثالث بعد أن كانت مقصورة على الدول التى تخضع للنفوذ الغربى فقط، ذلك أن سقوط النظام الإعلامى الشرقى يمنح الإعلام الغربى وبالتالى القطب المهيمن على هذا الإعلام قوة مضاعفة فى السيطرة والتأثير على العالم الثالث بأكمله.

ومن المهم الانتباه إلى أن النظام الإعلامى الدولى الحالى لا يسمح إلا بقدر محدود من الحرية لوسائل الإعلام فى العالم الثالث، وهو قدر يكفى بالكاد لإعطاء وسائل الإعلام الغربية فرصة أكبر للتسلل والسيطرة على وسائل الإعلام فى الدول النامية، مثل استغلال التعددية الإعلامية فى الحصول على حق وسائل الإعلام الغربية فى تملك أو المشاركة فى تملك وسائل الإعلام فى الدول النامية وكذلك إعطاء وسائل الإعلام الغربية فرصة إلغاء القيود التى تعوق

حريتها فى الحصول على مزيد من المعلومات التى لم تكن متاحة من قبل عن العالم الثالث.

وكذلك إمكانية تحطيم العقبات القانونية والإدارية مثل الرقابة على المطبوعات والدوريات والبرامج التليفزيونية والأفلام السينمائية الأجنبية بما يتيح مزيدًا من التدفق للأنباء والمعلومات والأفكار الغربية إلى مجتمعات العالم الثالث.

وعلينا أن نتذكر أن الغالبية العظمى من الدول الاستعمارية فى القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين كانت دولاً أوربية "ليبرالية" ولكنها مارست فى مستعمراتها أسوأ ألوان الحكم الاستبدادى وبعد استقلال غالبية المستعمرات عقب الحرب العالمية الثانية فإن المعسكر الغربى "الليبرالى" شجع وساند فى الغالب الأعم أكثر الحكومات استبدادًا وتنكرًا للديمقراطية والحرية..!

وللبعض أن يتساءل هل تستسلم دول العالم الثالث لسيطرة النظام الإعلامى الدولى الواحد والقطب الواحد المهيمن على هذا النظام ؟ أم أن هناك سبيلاً يمكن أن تلجأ إليه هذه الدول إن لم يكن للخلاص من تلك الهيمنة فليكن على الأقل للتخفيف من حدتها ؟

ونرى أنه ما من سبيل أمام دول العالم الثالث سوى العمل على التعاون المشترك فيما بينها، سواء فى شكل جماعى أو ثنائى بهدف إقامة تكتل إعلامى يعبر عن مصالحها ويلبى احتياجاتها الإعلامية فى مواجهة هيمنة القطب الواحد. والسؤال المطروح هو: هل توجد ظروف موضوعية تتيح لدول العالم الثالث إقامة تكتل إعلامى فعال يصد عنها جانبًا من الآثار المترتبة على هيمنة القطب الواحد على النظام الإعلامى الدولى.

ونرى أنه من الضرورى أن يتوافر لدول العالم الثالث عدة شروط موضوعية لإقامة التكتل الإعلامى المقترح ومن أهمها وجود المصلحة المشتركة

النابعة من تقارب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتشابه فى درجة التطور الحضارى.

ورغم اعترافنا بأن اختلاف النظم السياسية فى دول العالم الثالث قد يشكل عائقًا لا يجب التهوين من شأنه من أجل صياغة هذا التكتل الإعلامى إلا أننا من ناحية أخرى نجد العديد من العناصر المشتركة بين دول العالم الثالث، سواء فى واقعها السياسى أو الاجتماعى أو الاقتصادى أو الثقافى أو فى درجة تطورها الحضارى، فقد ظهرت غالبية هذه الدول على المسرح الدولى بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن ظلت فترة طويلة خاضعة للاستعمار، كما أن أغلب الدول النامية تشكو من قلة الدخل والاستثمارات وضعف الإنتاج، وهى تعيش فى دائرة مفرغة من المشكلات الصعبة إذ تسودها أساليب إنتاج متخلفة مع ما يرتبط بذلك من بنيان اجتماعى متخلف، أما مظهر هذا التخلف فيكمن فى اختلال الهيكل الاقتصادى مثل اختلال العلاقة بين الموارد البشرية والمادية والاختلال بين نسبة الصادرات والواردات، ومن مظاهر هذا التخلف أيضًا تخلف البنيان الاجتماعى الذى يكمن فى سيادة قيم وعادات وأنماط سلوك متخلفة أى لا تتلاءم مع مقتضيات النمو الاقتصادى، ويضاف إلى ذلك تخلف البنيان الثقافى وهو الأمر الذى ينسحب أيضًا على العلاقات الاجتماعية والمؤسسات السياسية فى هذه المجتمعات.

وقد أطلق على هذه الدول المتخلفة اصطلاح الدول النامية تخفيفًا للوقع السيئ للاصطلاح الأول من ناحية ثم للإشارة إلى المحاولات الجدية من جانب بعض هذه الدول لتخطى الواقع المتخلف من ناحية ثانية، وقد أطلق على عملية تخطى الواقع المتخلف: التنمية ويقصد بها عملية نقل المجتمع من حالة التخلف إلى حالة التقدم وهو ما يقتضى تغييرًا جذريًا فى أساليب الإنتاج المستخدمة.

ومن ذلك يتضح أن الاختلاف الظاهر فى الأنظمة السياسية بين الدول النامية، لا يلغى التشابه الكبير فى الواقع السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى بها، إن معنى ذلك أن دول العالم الثالث صالحة موضوعيًا للاتفاق على

إقامة تكتل إعلامى دولى يعبر عن مصالحها جميعًا ويلبى احتياجاتها ويشارك فى مساعدة شعوبها على تخطى واقع التخلف ويعينها على معالجة التبعية الإعلامية والتخفيف من حدة هيمنة القطب الإعلامى الواحد. ولكن نجاح هذا التكتل الإعلامى رهن بتحديد الوظيفة الإعلامية ومن ترتبط هذه الوظيفة بطبيعة النظام الاجتماعى الذى تعبر عنه، فإذا كانت وظيفة النظام الإعلامى الدولى الغربى الليبرالى تقوم على أساس: الإعلام من أجل الرفاهية والمزيد من الخدمات فإن وظيفة التكتل الإعلامى الدولى لدول العالم الثالث يجب أن تقوم على أساس: الإعلام من أجل التنمية والتقدم، ذلك أن الواقع المتميز للمجتمعات النامية يطرح مفهومًا جديدًا للوظيفة الإعلامية حيث لا تقتصر مهمة وسائل الإعلام على الحصول على الأنباء ونقلها، وتفسير هذه الأنباء وتحليلها ووضعها فى سياقها العام وكشف أبعادها المختلفة وإنما هناك مهمة ثالثة يجب أن ينفرد بها الإعلام فى العالم الثالث بالإضافة إلى المهمتين السابقتين، وهى وظيفة المساهمة فى ترقى المجتمع وتنميته Development Promoion فالإعلام فى البلد النامى ليس مطالبًا بتقديم الحقائق فقط ولا أن يقوم بتفسيرها أيضًا وإنما عليه فى الوقت ذاته أن يعمل على استخدام وسائل الإعلام فى تنمية المجتمع وترقيته من خلال دفع جمهور القراء والمستمعين والمشاهدين إلى إدراك مدى خطورة مشكلات التنمية وجديتها وإلى التفكير فى هذه المشكلات وأن يدفعهم لابتكار الحلول التى تمكنهم من تخطى الحلقة المفرغة من حلقات التخلف التى تعيش فى أسارها غالبية المجتمعات النامية.

إن الإعلام فى العالم الثالث لا يجب أن يقف عند الحد السلبى (كما هو الشأن فى نظرية المسئولية الاجتماعية) أى الاكتفاء بوضع مجموعة من المواثيق الأخلاقية التى تحد من انحراف وسائل الإعلام وإنما يجب أن يتخطاها إلى موقف إيجابى يستهدف تركيز الاهتمام على القضايا والمشكلات المرتبطة بترقية المجتمع وتنميته وهنا لا بد من التأكيد على اعتبارين مهمين:-

الأول: أن التزام الإعلام فى المجتمعات النامية بالمساهمة فى تنمية المجتمع وترقيته يجب ألا يحكم بأى نوع من أنواع "الإلزام" السلطوى أو الأيديولوجى،

وإنما هو "التزام" مهنى يقوم على الإرادة الوطنية الحرة لوسائل الإعلام والنابعة من إدراكها لحاجات مجتمعها النامى وظروفه الخاصة.

وهذا الالتزام لا يقوم على "المنع" أى الحيلولة دون نشر أخبار معينة، وإنما يقوم على أساس "الإختيار" بين الأحداث لتفضيل ما يرتبط منها بتنمية المجتمع وترقيته، فإذا كانت ملاءمة الخبر لسياسة الوسيلة الإعلامية من بين أسس تقييم الخبر (أى المفاضلة بين خبر وآخر عند النشر) فى المفهوم الغربى، فإن وسائل الإعلام فى العالم النامى لا بد أن تضع من بين تلك الأسس، مدى مساهمة الخبر فى تنمية المجتمع وترقيته.

والثانى: أن مضمون الرسائل الإعلامية فى المجتمعات النامية لا بد أن يتصف بالصدق والدقة والموضوعية لتكوين رأى عام موضوعى يمكن شعوب هذه المجتمعات من اتخاذ المواقف السليمة المبنية على المعلومات الصحيحة، ذلك أن افتقاد الوسائل الإعلامية لمثل هذه الصفات بسبب تغليب عنصر الإثارة فى النظام الغربى، فإنه يحول دون تكوين الرأى العام الموضوعى، وقد يكون ذلك أمرًا محتملاً فى دول العالم المتقدم حيث يقلل من خطورة التأثير فى الرأى العام، ارتفاع المستوى الثقافى والحضارى لمواطن العالم المتقدم.

ولكن التكوين الخاطئ للرأى العام فى المجتمعات النامية يشكل جريمة فى حق شعوب هذه المجتمعات التى لا تزال تعانى من التخلف فى مستوى التعليم والثقافة، فإن اتخاذ شعوب هذه المجتمعات لمواقف خاطئة نتيجة لرأى عام بنى على معلومات خاطئة أو محرفة، من شأنه أن يعوق هذه المجتمعات عن التنمية فى عصر تتسع فيه الفجوة يومًا بعد يوم بين الدول النامية والدول المتقدمة.

مراجع الفصل العاشر

(1) مانكيكار. د.ر: التدفق الحر من جانب واحد. ترجمة فائق فهيم (اليونسكو)، ص 61.

(2) Unesco: World Communication (The Unesco Press). Paris. Pp. 12-14.

(3) مانكيكار. د.ر: التدفق الحر من جانب واحد. ص 68، 70.

(4)Evans. Hrold: News Agencies. (Heineman) London, pp. 72-79.

(5) شيللر. هربرت: المتلاعبون بالعقول. (عالم المعرفة) الكويت. ص 167-170، 172.

(6) المصدر السابق، ص 165-166.

(7)Sills. David. I: International Encyclopedia of the Social Science. (The free press) 2003, pp. 43-434 .

(8) محيى الدين. عمرو: التخلف والتنمية. (دار النهضة العربية) القاهرة، ص 209.

(9)Fortner. Robert: International Communications. Louisianan State University Press. U.S.A. 2007. pp. 72-79 .

(10)Crack. Angela: Global Communication Palgrave Macmillan. New York. 2008. p. 172 .

الخـــــــــاتمة

هذا الكتاب لم ينته بعد، فالنظام الإعلامى الدولى الحالى لم تكتمل فصـوله، بل الأصح أنها بالكاد قد بـدأت، أمـا اسـتكمالها فـأمر مرهـون بالمسـتقبل الـذى يحمل فى طياته أبعادًا لا حد لها من التغير السريع والمستمر.

ونعتقد أن وجود نظام إعلامى دولى واحد، ليس شرًّا كله، وليس خيرًا كلـه، فهو يمكن أن يحدث تحولاً عميقًا فى الاتصال الإنسـانى، وأن يفـتح آفاقًـا جديـدة أمام بناء ثقافة عالمية، وأن يتيح ظروفًـا مناسـبة لنمـو الفكـر والإبـداع الإنسـانى ونشره على أوسع نطـاق بـين مختلـف شـعوب العـالم، كـذلك فـإن هـذا النظـام الإعلامى الدولى الواحد، قد يتيح لكافة الشعوب - مدعومًا بـالتطور المتلاحـق فى تكنولوجيا الاتصال والمعلومـات - إمكانيـة أن تعـى الأحـداث الدوليـة فى وقـت واحد، وأن تتبادل نفس المعلومات والأنباء والآراء والأفكار بما يسـاعدها عـلى أن يفهم بعضها البعض على نحو أفضـل، وبشـكل يسـمح بإيجـاد اتفـاق عـام عـلى الكثير من القضايا والمشكلات الدولية، ومن شأن ذلك كله إيجاد رأى عـام عـالمى يعمل على القضاء على بؤر التوتر والنزاعات الدولية. وقد يـيسر النظـام الجديـد إقامة حوار دائم ومباشر بين الشعوب رغم تعددها، وأن يوحد بين الثقافات مـع تنوعها، وأن يقرب بين الأفراد على ما بينهم من فروق، بما يساعد فى خلـق أمـانى وأهداف مشتركة للإنسانية، تتجاوز المصالح الوطنية ولا تتناقض معهـا فى الوقـت نفسه.

ولكن هذا النظام الإعلامى الدولى، يحمل بالتأكيد شرورًا لا حد لها، فإن هيمنة قطب واحد على النظام الإعلامى الدولى، يهدد بالقضاء على الذاتية الثقافية المستقلة لبقية الشعوب وسيطرة ثقافة واحدة، وهى للأسف، ثقافة تجارية تقوم على عنصر الربح والترفيه، هو ما يؤدى إلى قولبة الفكر والإبداع الإنسانى كله لخدمة الثقافة التجارية. كذلك فإن القطب الواحد المهيمن على النظام الإعلامى الدولى - مدعومًا بالإنجازات التكنولوجية الهائلة لثورة الاتصال والمعلومات - سيعوق التبادل الحر والمتوازن للأنباء والأفكار والمعلومات، بحيث تتحول بقية الشعوب إلى تابع يستهلك ما ينتجه القطب الواحد، وبذلك لن تتاح الظروف المناسبة لإيجاد رأى عام عالمى مستنير يعى الأحداث والقضايا والمشكلات الدولية، وسوف يسود رأى عام تابع وموجه، يلبى مصالح القطب الواحد ويحقق أغراضه.

إن الإحباط الذى يمكن أن تشعر به شعوب العالم نتيجة هذا الوضع الإعلامى الجائر، لن يساعد بأى شكل من الأشكال على تنمية مجالات التعاون والتقارب بين الشعوب، بل سيؤدى إلى تعميق مشاعر التباعد ويزيد من أسباب الضغائن ويحيى بؤر التوتر والنزاعات فى كل أرجاء المعمورة. وأخيرًا.. هل تحول الكتاب إلى صيحة تحذير من الخطر المحدق بالجميع ؟

نعم فليكن كذلك، ولكن هل يوجد من يعى ويتدبر ؟

المؤلف فى سطور

- من مواليد قرية بنى رزاح مركز أبنوب محافظة أسيوط فى صعيد مصر (4 يناير 1941م).
- حصل على الليسانس (1963م)، والماجستير (1972م) بتقدير ممتاز قسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة.
- حصل على الدكتوراه (1975م) من كلية الإعلام جامعة القاهرة بمرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى.
- عنوان رسالة الماجستير (نشأة الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية "1828-1882م") وعنوان رسالة الدكتوراه (تطور الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية "1882-1924م").
- عمل بالصحافة فور تخرجه، وعضو نقابة الصحفيين، وكان آخر منصب تولاه نائب رئيس تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون.
- انتقل للعمل مدرساً بكلية الإعلام جامعة القاهرة (1986م) ثم أستاذ مساعد (1981م) ثم أستاذ (1986م).
- رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام (1987-1993م) ثم عميداً للكلية (1994-2000م).
- انتقل للعمل عميداً لكلية الإعلام بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا اعتباراً من عام 2000م ثم نائباً لرئيس الجامعة اعتباراً من عام 2002م وحتى الآن.
- عمل مقرراً للجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين فى الإعلام لدورتين متتاليتين (1994-2000م).

- رئيس لجان تحكيم مهرجان الإذاعة والتليفزيون لمدة ثلاث دورات (1997-1998-2008م).
- عضو المجلس الأعلى للصحافة ورئيس لجنة الممارسة الصحفية (1998-2011م).
- عضو مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون ورئيس لجنة تنمية الكوادر الإعلامية.
- أشرف وناقش عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه.

أهم كتب المؤلف:

1- الصحافة وقضايا الفكر الحر فى مصر (كتاب الإذاعة والتليفزيون) 1974.

2- الديمقراطية فى الصحافة المصرية (مكتبة مدبولى) 1976.

3- الفكر القومى فى الصحافة المصرية (دار الفكر والفن) 1977.

4- عصر التنوير العربى (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت) 1978.

5- فن الخبر الصحفى (مكتبة عالم الكتب) 1981.

6- فن الكتابة الصحفية (مكتبة عالم الكتب) 1982.

7- الصحافة العربية المهاجرة (مكتبة مدبولى) 1985.

8- الصحافة المتخصصة (مكتبة عالم الكتب) 1986.

9- الكتابة للجريدة والمجلة (مكتبة عالم الكتب) 1986.

10- النظم الصحفية فى الوطن العربى (مكتبة عالم الكتب) 1987.

11- مدخل إلى علم الصحافة (مكتبة عالم الكتب) 1988.

12- إنهيار النظام الإعلامى الدولى (دار أخبار اليوم) 1991.

13- الفكر الليبرالى فى الصحافة المصرية (مكتبة عالم الكتب) 1995.

14- دراسات حديثة فى الإعلام (مكتبة العالم – جدة) 2001.

15- الإعلام والسلطة (مكتبة عالم الكتب) 2007.

16- الإعلام والديمقراطية (مكتبة عالم الكتب) 2010.

البحوث والدراسات العلمية:

1- التفسير الإعلامى لظاهرة التطرف والإرهاب.

2- التحديات الإعلامية العربية.

3- إشكاليات الإعلام المحلى فى عصر الاتصال الدولى.

4- إشكاليات إستيراد البرامج الأجنبية فى الوطن العربى.

5- دور الإعلام فى التعاون الأوربى الشرق أوسطى.

6- الإعلام والثقافة.

7- الإعلام والتعليم.

8- الإعلام وتدعيم الهوية الثقافية.

9- إشكاليات التبعية الإعلامية.

10- النظام الإعلامى الدولى الجديد.

المحـــــــتويات

مقدمة	7
الباب الأول	
وسائل الإعلام الدولية	9
الفصل الأول: ثورة الاتصال والمعلومات.	11
الفصل الثانى: الصحافة الدولية	29
الفصل الثالث: وكالات الأنباء الدولية	49
الفصل الرابع: الإذاعات الدولية	73
الفصل الخامس: التليفزيون الدولى بين القنوات الفضائية والإنترنت.	99
الباب الثانى	
الإعلام الدولى فى المجتمعات النامية	123
الفصل السادس: التبعية الإعلامية	125
الفصل السابع: الإعلام العربى الدولى	137
الباب الثالث	
هيمنة القطب الواحد ومستقبل النظام الإعلامى الدولى	181
الفصل الثامن: ثنائية النظام الإعلامى الدولى	183
الفصل التاسع: انهيار النظام الإعلامى الشرقى.	205
الفصل العاشر: هيمنة القطب الواحد ومستقبل النظام الإعلامى الدولى.	227
الخاتمة	244